التفسير الصوفى العرفانى 1

الأعمال الكاملة للحلاج 1

الحلاج

حقائق التفسير

أو

خلق خلائق القرآن والاعتبار



محمود الهندى

مكتبة مدبولى



حقائق التفسير

أو خلق خلائق القرآن والاعتبار

محمود الهندى

الحلاج

حقائق التفسير

أو خلق خلائق القرآن والاعتبار

مكتبة مدبولى

مكتبة مدبولى

العنوان : ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون : ٥٧٥٦٤٢١ - **فاكس :** ٥٧٥٢٨٥٤
البريد الإلكترونى :

WWW.madboulybooks.cominfo@madbo
ybooks. com

الكتاب : حقائق التفسير
أو خلق خلائق القرآن والاعتبار
تأليف : الحسين بن منصور الحلاج
تحقيق وتقديم : محمود الهندى
الغلاف للفنان : محمود الهندى
رقم الإيداع : ٨٨٩٧ / ٢٠٠٦
الترقيم الدولى : 3 - 609 - 208 - 977
القطع : ١٧ × ٢٤

الطبعة الأولى : ٢٠٠٦م

عربية للطباعة والنشر

العنوان : ٧ & ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون : ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣ - فاكس : ٣٢٩١٤٩٧

إهداء

إلى العارف بالله

الشيخ أحمد القصبى النقشبندى

أُمياً عَاشَ

وانتقل دونما بوح

كَتَمَ إلى أَنْ فَاضتْ مَعَارفه

فَنهلتُ عنه

محمود الهندى

تقديم

فى بواكـير الصبـا عودنى أبـى (الرجل الأمى)، العروج علـى محـال بائعى الكتب القديمة فى سور الأزبكية وسور السيـدة زينب، ومحال شارع بورسعيد. حصـلت ـ آنذاك ـ على مجـموعـات من درر الكتب شديدة الندرة، لم أقـدرها حق قدرها بسبب ضـيق أفقى، لكننى كنت فرحاً بها رغم عدم اسـتطاعتى فهم وهضم ما تحـويه، حتى تحول الأمر إلى إدمـان اعتيـادى لاقتناء الكتب وتكديس المكان الضيق الذى تسكنه الأسرة.

وذات مرة شاغل عـينى كتاب جميل السـمت يحمل عنوان الطواسين؛ كان أشبه ما يكون باللغز أو الأحجية. لم أتمكن من التوصل إلى مرادف بعينه يقترب بى من مـعنى الـطواسين، ولم أفـهم النصـوص الموجـودة بـداخل الكتـاب، مما حـفزنى لاسـتـعـادة القراءة المرة تلـو المرة. وفى كل مرة يـذهب جهـدى أدراج الرياح.

قررت تحدى نفـسى، فوجهت جُلَّ اهتمامى لجـمع ما يقع بين يدى لصاحب الطواسين (الحسين بن منصور الحلاج)، الذى صار اسـمه كالمغناطيس، يجذبنى ويشدنى إليه لأشترى ما يـصادفنى من كتب له أو عنه، ومن خلال رحلة البحث عن الحلاج تعرفت على عاشـقه المتيم (لويس ماسينيون) فقـمت بجمع ما ألقاه من أعمـاله بالعربية؛ أو الفـرنسية التى لا أجيـدها. ورغم تلميحـات وتحذيرات كبار المحيطين بى بالابتعاد عن عـالم الكتب الصفراء؛ وهى نصائح أيديولوجية بالدرجة الأولى، إلاّ أننى سبحت عكس التيار، وشممت فى أغلب تلك الكتب عبق ورائحة غرين (طمى) النيل، وتعرفت امتداد التاريخ فى أوج تجسده.

كانت مفـردات الحلاج غير مألوفة، واللغـة غير عادية؛ فهى لغة صـعبة رغم بساطة مفرداتهـا. ورويدا رويدا وجدتنى أجابه لغة إشارية صوفية مـستغلقة، لا يمكن الولوج إلى أعماقـها دون فهم ما وراء المصطلح الصوفى العـرفانى، وكان

الغوص فى لجة بحار التصوف هو السبيل الوحيد.

ساعدنى فى ذلك، ما أحاطنى من الجو الإيمانى للحى الذى أقطن فيه، فأنا محاط من كل الجوانب بعدة مقامات صوفية، مقام سيدى ذى النون، ومقام سيدى الخواص، ومقام سيدى أبو عوف، والمسجد المعلق، ومسجد اليتيّم. وقد صاحبت بعضاً من المتصوفة الغلابة البسطاء، فوجدت الكثيرين منهم ـ ويا للعجب ـ يتحدثون لغة تشبه لغة الحلاج، ويتغنون بأشعار ابن الفارض والإمام البوصيرى فى بساطة وعفوية ومقدرة فائقة دون لجلجة أو تأتأة.

وفى المراحل المتأخرة، وجدتنى أقترب من عالم كتب الحلاج، وكان أهم ما عرفته أن الحلاج أبدع فى اللفظ مثلما أبدع فى المعنى، فقدم شكلاً جديداً مبتكراً فى كتابته للطواسين، ولغة تطال اللغة الشعرية وتعلوها قامة وإن خلت من وزن الخليل بن أحمد؛ رغم أن الإيقاع الصاخب ظل هو الغالب. أما علوم الحلاج ومعارفه فلا تندرج إلاّ ضمن باب الأسرار التى تعجز العبارة فيها عن الإفصاح بمكنون المعنى ووضوحه، فتتحول العبارة إلى إشارة تلميحية تجنح بعيداً عن التلويح والتصريح. وكان أن شرعت فيما يمكن تسميته تجاوزاً بالأعمال الكاملة للحلاج، فقسمت الأعمال إلى عدة أقسام: القسم الأول ويشمل ما بقى من تراث الحلاج عقب المحرقة التى التهمت أغلب أعماله، حتى لم يتبق سوى الديوان الشعرى، وأجزاء من كتاب الطواسين، وكتاب التفسير، وفقرات من كتاب الدرة عن الساسة والسياسة، وبعض النصوص المتفرقة. والقسم الثانى يشمل الكتابات والأقوال المنسوبة للحلاج. والقسم الثالث يمثل ما كتب عن الحلاج: ذكر المقتل، بداية الحال ونهايته، أخباره... وما إلى ذلك.

قمت بإعداد وضبط بعض الكتب، وتحقيق ومراجعة البعض الآخر، وتحمس الصديق الحاج عبده غريب رئيس مجلس إدارة دار قباء لنشر كتاب ذكر مقتل الحلاج لابن زنجى، وطُبع الكتاب، ثم تم إهداء نسخ لأغلب رجال الصحافة

والثقافة وأساتذة الأدب والأدباء والمهتمين بالثقافة فى شتى المجالات،.. ومرت الشهور بطيئة؛ ولم يشر أحد للكتاب، واستطال الصمت ليعقبه صمت فصمت، حتى تحول الهواء إلى حوائط من العزلة، وبينما الهواجس والكوابيس تخيفنى؛ وجدتنى أنزوى وأعتكف بعيداً عن الواقع الأليم؛ والذى يشابه واقع الزمن الذى عاشه الحلاج رضى الله عنه. وساورنى الشك فى أننى غير جدير بالتصدى لمثل تلك الأعمال، أو أننى لا أجيد الكتابة، ومرت السنون ولا حياة لمن تنادى.

وبعد الاعتكاف التام والابتعاد عن الواقع الثقافى الذى لا يعرف سوى لغة المصالح؛ إذ بمجلة الشاهد تثلج صدرى بمقال رائع للشاعر الكبير محمد على شمس الدين الذى لا تربطنى به أية معرفة حتى الآن، سوى معرفتى لكتاباته وأشعاره.

أعاد المقال ثقتى بنفسى، فاستردت عافيتى وعدت مرة أخرى لمجموعة كتب الحلاج التى أنجزتها وأهملتها حين أودعتها بعيداً عن متناول يدى حتى لا يصيبنى الإحباط واليأس. كانت كلمات الشاعر محمد على شمس الدين كالبلسم، شفيت جراحى تمام الشفاء، وتأملت ما أنجزته ببصيرة جديدة، وأعدت ما كتب ثانية وفق حراك النشر ومستجداته. ومن ثم تحدثت مع الناشر الوطنى الحر؛ الصديق الحاج محمد مدبولى حول المشروع فتحمس دون تحفظ لنشر تراث الحلاج، وها نحن نبدأ سوياً بكتاب التفسير الصوفى العرفانى لآى القرآن المجيد، وسوف نعده الكتاب الأول فى سلسلة الأعمال الكاملة للحلاج؛ إلى جانب كونه الكتاب الأول فى سلسلة التفسير الصوفى العرفانى للقرآن ليعقبه العديد من كتب أئمة التفسير،.. ويرجع الفضل فى بقاء ما تبقى من هذا التفسير إلى شيخ مشايخ الصوفية عبد الرحمن السلمى؛ الذى قام بدور مشابه لدور الشريف الرضى فى الحفاظ على نص كتاب «نهج البلاغة» للإمام على

كرم الله وجهه. فقام السلمى بدور الجامع للتفسيرات الصوفية إلى جانب وظيفته كمنظم، ثم كمدوِّن، يتدخل بالحذف والتحريك والتوضيح.

بدأ اهتمامى بهذا التفسير العرفانى عند اطلاعى على التنويه الوارد فى تفسير عرائس البيان فى حقائق القرآن لروزبهان البقلى، حيث نوه إلى كتاب التفسير للحلاج، ونشر العديد من فقراته، وبالبحث عن مصنفات الحلاج فى قوائم المطبوعات وجدنا أنه لم يرد ذكر لكتاب التفسير فى تاريخ الأدب العربى لبروكلمان، ولا عند البغدادى فى هدية العارفين، ولا فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة، ولا فى تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين، ولا الفهرست للنديم، ولا صبح الأعشى للقلقشندى، غير أن مخطوط حقائق التفسير للسلمى ورد به ما نقله عن الحسين بن منصور الحلاج؛ حيث أورد نصوص التفسير دونما ذكر لعنوان الكتاب الذى نقل عنه، ونشر ما سينيون عام ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩م نصوص تفسير الحلاج ضمن كتابه: نصوص صوفية غير منشورة، اعتمد بالكلية على مخطوط السلمى بمكتبة برلين؛ ثم أعاد مركز نشر دانشكاهى بإيران عام ١٣٤٩ هـ =١٩٣٠م نشر نصوص ماسينيون ضمن مجموعة آثار أبو عبد الرحمن السلمى، ولكننا رأينا ضرورة مطابقة نصوص ماسينيون مع مخطوط حقائق التفسير للسلمى الموجود بالجامع الأزهر؛ إضافة إلى زيادات حقائق التفسير للسلمى عن مخطوط خزانة كتب الغازى خسرو فى سراييفو بالبوسنة، ووجدنا الكثير من النصوص قد أهملها ماسينيون؛ فأضفنا ما غفل عنه. ومن خلال بحثنا فى التصنيف العلمى الموثق الذى اعتمده بروكلمان وجدنا شديد التشابه بين روح نص التفسير العرفانى وبين عنوان المصنف الموجود تحت عنوان خلق خلائق القرآن والاعتبار، وهو مصنف فى اصطلاحات المعرفة الإسلامية للقرآن المجيد، اعتمد على التفسير الاصطلاحى الصوفى الإشارى لآيات القرآن الكريم.

ووجدنا أنه يلزم لمزيد الفائدة إضافة بعض من التفسيرات لكبار أئمة ومشايخ الصوفية السابقين واللاحقين للحلاج حتى يمكن للقارئ الكريم الاستفادة من تعدد مستويات التفسيرات، فهى تفسيرات تشبه مفاتيح المستغلق من المعانى الباطنية، تنحو تجاه التحاور مع النص القرآنى، والتجاور مع التفسير الأحادى المتواتر لتعميق الفهم المتعدد المستويات والمختلف الأبعاد لفك شفرة ما وراء اللفظة، وتفجير ما يخفى من شحنات وجدانية.

إن للتفسير الصوفى مكانة رفيعة وشخصية مستقلة، تتميز بالتحرر والانعتاق من أنماط التفسير الجامدة، ويكشف التفسير الصوفى عن أصالة وإبداع فلسفيان. فها هو تفسير الحلاج رضى الله عنه، نورده بحسب نص السلمى المتأيد بجميع علماء الشافعية فى عصور ازدهار التصوف المشبع بالروحانية الإيمانية، وبمحبة الإله الواحد سبحانه والبشر، وإعلاء شأن التفكير، والخضوع التام للحق تعالى، والإيمان الموسع المنفتح على بوتقة العقل والمقيم بالعدالة والخير والإخاء. فنحن أمام تفسير ذى شخصية مستقلة جديدة ومختلفة، تفسير موجز مكثف، شديد الحرية والمرونة؛ يبتعد تمام الابتعاد عن الجمود والثبات؛ غير مؤسس على الطرق المعرفية المألوفة، والتى تعتمد بالأساس على كل ما هو تربوى وعظى تلقينى، وكأنه الحقيقة اليقينية الوحيدة. أما التفسير الصوفى العرفانى فينقب عن مدلولات غير صريحة، لكنها محتملة، مدلولات مباغتة غير مسبوقة، فهو تفسير غير مباشر؛ ولا يعتدى على التفسيرات المخالفة له، لكنه مؤيد لتوسيع دائرة المعنى، وفرض مساحات جديدة وآفاق مديدة للإضافة والإغناء. أما أهم ما نبهنى إليه هذا التفسير فهو أنه كيف لعارف مسلم عالم بأمور دينه كل هذا العلم الكشفى أن يحاكم ويصدر الحكم ضده بمثل ما حدث فى المحاكمة التى أدارها حامد بن العباس جابى الضرائب، ورئيس الوزراء فيما بعد؟.. وهى محاكمة سياسية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالدين، فالحلاج مثل كل رجال الدين الإسلامى الأقوياء قلباً وقالباً؛ لا يمكنه فصل الدين عن الدولة، فكان فى

دفاعه عن الفقراء والبسطاء والمظلومين ضد سياسة القهر والتجويع والاستغلال بكل أشكاله. وفى كتابه «الساسة والخلفاء والوزراء» مرجعية لكبار رجال العصر. ولا يمكن بحال فصل رجل السياسة عن رجل الدين فى سيرة الحلاج، فهو رجل سياسة من طراز فريد، استوعب فكر العديد من التنظيمات والحركات والفرق السياسية، وكان له باع طويل فى السياسة إلى جانب علمه ومعرفته بشتى المعارف الدينية من فقه وشريعة وأحكام. لم يخش فى الحق لومة لائم، ولم ترهبه سياط السلطة أو يستوعبه بريق ذهب الخلفاء والأمراء والوزراء. فالحلاج عرف التصوف كأهم أشكال معارضة الأنظمة العبودية الإقطاعية، وكان لابد لرجال الدولة العباسية لكى يحافظوا على وسائل الهيمنة أن يقمعوا كل أشكال التصوف التى مثلها الحلاج وابن عطاء ويؤيدون تصوف الدروشة والابتعاد عن الواقع المعاش، وهو تصوف لا يعرف أن منزلة الرجال تعطى ولا تتعاطى.

والآن..

أما آن للحلاج أن ينفك عن أسر المفهوم الاستشراقى ليدخل تحت عباءة التصور العربى المحض ضمن حلقات الروحانية الإسلامية. لقد رسخ ماسينيون تصوراته التى شاعت واستقرت لدى الكثيرين ليتناقلها الجميع، وهى تصورات تحتاج إلى مراجعات.

فها هو ماسينيون يتعامل ـ بشكل عنصرى ـ مع الحلاج باعتباره نصرانياً من الداخل، وهى الفكرة التى عمقها بشدة لمحاولة رد تصوف الحلاج إلى أصول سابقة على الإسلام، ومحاولة قولبته فى إطار منظومة الدين المسيحى،.. وسوف ابتعد عن الكلام المرسل ومناقشة النوايا، وصولاً إلى مناقشة صريح ما أدلى به ماسينيون نفسه فى خطاباته.

فى خطاب له إلى الأب انستاس مارى الكرملى، مؤرخ ١٥ سبتمبر ١٩٠٨م، يقول: «لا تنسى كتابى عن الحلاج، سوف أرسل لك نسخة من أدلتى

عن مسيحيته، إن كان بإمكانك أن تصوغها لى بعربية جيدة، وأن تنشر عنه مقالة بحطك فى مجلة المشرق سأكون سعيداً بذلك».

من هنا..

يجب توخى الحذر من رجال المكارثية التابعين للمفاهيم الوافدة والذين يسمون كل من يتصدى أو يشك فى سلوك استعمارى بأنه يتبنى «نظرية المؤامرة» وكأن احتلال الكاوبوى الأوروبى لأمريكا وسحق الهنود الحمر، واحتلال إسرائيل لكافة الأراضى العربية الفلسطينية، وطرد العرب من فلسطين المحتلة؛ وهو النموذج المصغر للاحتلال الأمريكى، وغرس فكرة حق التعويض المادى عن الأراضى المغتصبة لذر العيون وفرض سياسة الأمر الواقع، ورفض حق العودة لأصحاب الأراضى الحقيقيين، ووعد بلفور، واتفاقية سايكس بيكو المشؤمة سيئة الصيت والسمعة، وخارطة الطريق الأمريكية، واحتلال العراق رغم أنف الأمم المتحدة، وتهديد سوريا وإيران، كل ذلك لا يندرج تحت «نظرية المؤامرة»، وإنما هو محض إرساء القواعد الحرية الأمريكية المزعومة والديمقراطية بالقنابل. ودونما خشية من إطلاق اتهام «نظرية المؤامرة» أحيل القارئ الكريم إلى فقرة ضئيلة من رسالة ماسينيون إلى الأب مارى الكرملى فى ١٦/ ٥/ ١٩١٨:

«سوف تذهب الفرق الحليفة العاملة فى فلسطين للإقامة بالغرب، ونحن الآن فى أورشليم منذ ستة أشهر، حيث البابا لم يعترف لنا بالحماية الدينية التقليدية إلاّ بعد مؤامرة صغيرة، حصلت عليها بعثتنا لتستطيع ممارسة سلطاتها خلال الأسبوع المقدس فى قبر السيد المسيح حتى الخميس المقدس، وبوصفى مساعداً لرئيس الحملة[1]، فقد تناولت القربان رسمياً باسم بلدى أمام القبر المقدس. إن اللعبة الحاسمة تُلعب الآن فى فرنسا.

(١) المقصود بالحملة (القادة العسكريين والسياسيين) المنفذين لمعاهدة سايكس بيكو، وهى معاهدة بين بريطانيا وفرنسا لتقسيم الأراضى العربية. وكان اللورد سايكس ممثلا لبريطانيا ومعه مستشاره لورانس، أما جورج بيكو فكان ممثلاً لفرنسا ومعه مستشاره لويس ماسينيون.

إن البعثة الفرنسية التى أشارك فيها، والتى يترأسها السيد جورج بيكو مكلفة بالتحضير لهذه المسائل، ولهذا الغرض تحت دعوتها.

لكل هذا فإنه ينبغى إعادة النظر فى كتاباته وتفسيراته، والبحث عن أغراضه، فمهما ارتدى الجبة والقفطان، وحاضر فى جامعة القاهرة والأزهر الشريف، وأطلق على نفسه اسم عبده لويزماسينيون، ثم عبده محمد ماسينيون، فإن الأمر يحتاج بالفعل إلى مراجعة على المستوى السياسى والثقافى، وإذا كانت الإمكانات الضئيلة قيد يكبل الشعوب ويعوق مقوماتها، إلى جانب خضوع حكام المنطقة العربية لسادتهم الأجانب وعدم توفيرهم الإمكانات المادية للبحث العلمى ومراكز الأبحاث، وهو ما فرض التبعية المستمرة للفكر الأجنبى، إلاّ أن مقاومة ما يتم من انهيار وفساد ستستمر إلى أن يعتدل ميزان الأمر؛ وتعود الأمة الإسلامية إلى عصور النهضة، فأمة تحوى نماذج من أئمة أكابر وأبطال يقدمون أرواحهم فداء لإحقاق الحق وإعلاء كلمة الدين لن يخذلها المولى عز وجل.

و نفع

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي أهل الحقائق خواص أوليائه وجعلهم أهل الفهم لخطابه والعالمين بلطائف ودائع [illegible]

من فوائد القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [illegible] معاني خطابه بمقدار

ما فتح الله على كل واحد منهم من لطائف أسراره ومعانيه [illegible] ما سنح لهم

من بدائع خطابه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من مخطوط المكتبة الأزهرية «حقائق التفسير».

الصفحة الأخيرة من مخطوط المكتبة الأزهرية «حقائق التفسير» وفيها سماعات على المخطوط.

حقائق التفسير

—

1 [الفاتحة] I,1 «بسم الله...»

قال الحسين قول «بسم الله» منك بمنزلة «كن» منه، فاذا أمنت(1) أحسنت ان تقول «بسم الله» تحققت الاشياء بقولك «بسم الله» كما يتحقق بقوله «كن» —

-2- ["] I [1] -

سئل الحسين بن منصور هل ذكره أحد على الحقيقة؟ فقال كيف يذكر على الحقيقة من لا أمد لكونه ولا علة لفعله ليس له دراك، ولا لغيبه هتاك، له من الاسماء معناها والحروف مجراها، اذ الحروف مبدوعة، والانفاس مصنوعة، والحروف قول القائل تنزه عن ذلك من الاحوال(1) خلقه(2)، رجع الوصف الى الوصف، وعمي العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق الى مثله، عدا(3) قدره الظنية(4) وذها نوره العيبة(5) —

-3- [البقرة] -II,14- «..... يستهزئ بهم (اى يحسن)»

قال الحسين "كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم

-1- YJ seul/donne ici - les autres mss. le donnent au verset XXVII, 29 — cf. Ibn 'Arabi "Fotuhat" II,139 - Jamal... al Tirmidhi | 'Abd al Karim Jili "al Kahf wal Raqim" " (1) manque ... K.9 -

-2- (1) YJ: احوال - (2): K اى ذاتا (noté à K 92) - (3) K.91: عرا - (4) sic: YJ, QA - Ach., K 91, K 92 ont: الظنية - (5) Ach: الغيبة - QA: العيّنه (sic) - la leçon d'YJ a été préférée -

-3- K 91 ——

الصفحة الأولى من تفسير الحلاج بخط لويس ماسينيون.

الحقّ، فلا! لانّ القائل عنكم سواكم، و المخبر عنكم غيركم فسقطتم انتم، و بقى مَن لم يزل و لا يزال كما لم يزل -

208 - «قل اعوذ برب الفلق» - CXIII,1 . [الفلق]

قال الحسين: أشار الحقّ تعالى الى جمع خلقه، فى معنى القطيعة عنه، بكلمة واحدة، و هى من لطائف القرآن «قل اعوذ برب الفلق» -



الصفحة الأخيرة من تفسير الحلاج بخط لويس ماسينيون.



سيرة الحلاج

الحلاج:

الحسين بن منصور بن محمى البيضاوى

ويكنى: بأبى عبد الله، وأبى عمارة، وأبى المغيث.

ولد الحلاج فى سنة ٢٤٤= ٨٥٧م، واستشهد سنة ٣٠٩ = ٩٢٢م، اختُلف فى بلده ومنشئه، فمن قائل: إنه من خراسان (نيسابور)، أو من بيضاء فارس، وقيل: من مرو، أو من الطالقان، وقال بعض أصحابه: إنه من الرّى، وقال آخرون: من الجبال، ولا يصح فى أمره وبلده شىء، والأرجح أن مسقط رأسه الطور؛ فى الشمال الشرقى من البيضاء، فى مقاطعة فارس بإيران ـ وكانت البيضاء مدينة شبه عربية ـ على الرغم من كونها معسكراً صغيراً على الطريق الممتد من البصرة إلى خراسان... أما أبوه، فكان يحترف حلج القطن، (يقال إنه سُمى الحلاج نسبة إلى عمل أبيه)، وفى رواية أُخرى وردت بأخبار الحلاج عن ضمرة بن حنظلة السماك، وأكدتها رواية ثالثة عن إسماعيل بن أحمد الحميرى، حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، قال الحسين بن منصور قيل: (إنما سمى الحلاج لأنه دخل واسطاً، فتقدم إلى رجل حلاج وبعثه فى شغل له، فقال له الرجل: أنا مشغول بصنعتى، فقال: اذهب أنت فى شغلى حتى أعينك فى شغلك، فذهب الرجل، ولما رجع وجد كل قطن فى حانوته محلوجاً، وكان أربعة وعشرين ألف رطل. فسمى لذلك الحلاج، ويقال: إنه لما أشار بالمرود أناز الحبَّ عن القطن، وهى من روايات المبالغات وتوقُد الخيال الشعبى الذى يستدعى فكرة الأعمال الخارقة على الدوام. وقيل إنه كان يتكلم فى ابتداء أمره قبل أن ينسب ما نسب إليه عن الأسرار، ويكشف أسرار المريدين، ويخبر عنها، فسمى بذلك حلاج الأسرار، فغلب عليه اسم الحلاج).

ارتحل وأسرته إلى العراق؛ من الحدود الجنوبية الشرقية عند البصرة، فكان رحيله للعمل فى منطقة النسيج الممتدة فى واسط على نهر دجلة؛ وهى مدينة

عامرة كبيرة، تقع ضمن الطريق بين البصرة وبغداد، وفيها نسى الحلاج لغته الفارسية، لينطق العربية.

كانت واسط تعتنق مذهب ابن حنبل، عدا أقلية من الشيعة، وفى واسط قضى الحلاج صباه داخل أروقة الكتاتيب يتعلم القرآن، حتى بلغ الثانية عشرة، فحفظ القرآن الكريم.. وكانت حركة الزنج الشيعية - آنذاك - قائمة، فاستولت على مناطق الأهواز وخوزستان، وهاجمت البصرة، وفى تلك الآونة كان الحلاج يبحث عن المعنى الرمزى الذى يرفع دعاء الروح إلى الله عز وجل، فقصد الارتحال إلى تستر (شوشتر الإيرانية) على شاطئ نهر كارون، الذى يصب فى شط العرب، وقضى الرحلة - رغم المصاعب - ليصحب سهل بن عبد الله التسترى. ويتعلم على يديه التصوف، ويقرأ عليه القرآن، ودامت هذه الصحبة سنتين، تركه بعدها ليرتحل إلى البصرة، وهناك لبس خرقه الصوفية من يد عمرو بن عثمان المكى، وصحبه لمدة سنة ونصف السنة، احتل أثناءها مركزاً مرموقاً فى الأوساط الصوفية؛ بمساعدة أستاذه الجديد، الذى توسم فيه الصلاح والخير، وتوقع له مستقبلاً مشرقاً فى عالم الروح، وحدث أن تزوج الحلاج وهو فى البصرة بأم الحسين بنت أبى يعقوب الأقطع (أو الأكتع) البصرى، منافس عمرو بن عثمان المكى على زعامة الصوفية فى البصرة، مما أدى إلى خصومة بالغة ووحشة بين الشيخين الكبيرين نتيجة تنافسهما على استخلاص الحلاج، الذى كان يعتزل فى جامع البصرة للتعبد والتصوف والقراءة المتأنية. (ظل الحلاج وفياً لزوجته، لم يقترن بغيرها، بل استمر زاوجهما موفقاً حتى النهاية، فأثمر الزواج ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة. الابن الأول هو سليمان، الذى وعد الحلاج ابنة السمرى بتزويجها إيّاه، والثانى هو أحمد أو حمد الذى روى أخبار أبيه، والثالث هو عبد الصمد؛ وقد ذُكر أنه كان السبب الرئيسى فى تأسيس الطريقة الحلاجية، هذا إلى جانب الفتاة.. وكان يكفل لهم معاشهم بفضل صهره، مما أثار غيرة عمرو المكى فاستوغل فى خلافه.. وفى هذه الأثناء أقام

الحلاج فى حى تميم من قبيلة مجاشع، وقد كان الكرنبائيون من مواليهم، ويظهر أن دخوله فى هذه القبيلة «ربما.. جعله يتصل أو يختلط بحركة الزنج، التى كانت القبيلة ومواليها على صلة بها». «وربما» كان ذلك هو الأصل فيما اشتهر عنه دائماً بأنه ينزع إلىٰ الثورة، ومن هنا كان القبض عليه للمرة الأولى. فليس غريباً أن يتصل الحلاج بحركة الزنج، وهى حركة اعتمدت على قوة العبيد والمستضعفين، سواء أكانوا من إفريقيا، أم من الفلاحين أهل البلاد. ويجد هؤلاء الزنج لحركتهم نصيراً، وهو على بن محمد بن عبد الرحيم، الشهير بالبرقعى صاحب الزنج.

فى تلك الأثناء - أيضاً - كانت دعوة القرامطة ناشطة قوية، فاتصل قادتهم بزعيم حركة الزنج بواسطة رشيد القرمطى، وتقابلت الحركتان، وتلاقيا فيما يشبه المزج، وكلتاهما تهدف لمحاربة الدولة العباسية، بما تمثله من طغيان وجبروت، فيتخذ صاحب الزنج لنفسه نسباً علوياً، يصله بعيسى بن زيد بن عباس بن على زين العابدين، وتكتسب حركة الزنج المزيد من القوي الضاربة، وينضم إليهم أهل البحرين. حتى أن أبا سعيد الجنابى انضم إلى الزنج، ليحرزوا جميعاً النجاح تلو النجاح.

ولما كان من ينضم إلى حركة الزنج - وهى حركة سياسية مناهضة - يعد قرمطياً، مما حدا بالعباسيين أن يصروا على القبض على الحلاج دون غيره، فها هو صوفى من أهل الباطن يعمل بالسياسة، مما جعلهم يتوجسون خيفة منه، ويعتبرونه خطراً محيقاً يداهمهم، فروحه الثورية، ومنهجه الفكرى، ودعوته إلى الإصلاح بشقيه السياسى والاجتماعى، كل ذلك تشابه لديهم مع نهج القرامطة ومحاولاتهم تغيير النظم الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك.

ومع أن الحلاج عرف بشطحاته وجرأته فى إزاحة المنطق الظاهر، فقد بقى حريصاً على النطق بأصول الإيمان والقيام بالعبادات والشعائر الدينية والتمسك بأركان الإسلام، رغم تمسكه - على الجانب الآخر - بالمعنى الباطن للشريعة، ويؤول البعض هذا المعنى الباطن على أنه نوع من الشطح الصوفى.

تعتبر شطحات الحلاج من قبيل الإفراط الصوفى فى العشق، وهو ينحو فى مفهومه للتصوف منحى يخالف المنحى التقليدى، فالتصوف عند الحلاج جهاد فى سبيل إحقاق الحق؛ وليس مسلكاً فردياً بين المتصوف والخالق فقط، لقد طوَّر الحلاج النظرة العامة إلى التصوف؛ فجعله جهاداً ضد الظلم والطغيان فى النفس والمجتمع.

نعود مرة أخرى للخصومة التى استمرت بين عمرو بن عثمان المكى، والأقطع صهر الحلاج، مما جعل الحلاج يضطر للصبر مدة طويلة؛ حتى ضاق صدره وأصابه الملل، فقصد إلى الجنيد بن محمد البغدادى الصوفى المشهور ببغداد ـ وكان شيخ الطائفة الصوفية ـ لاستشارته فيما يمكن اتخاذه من مواقف، فأمره بالسكون والمداراة ومراعاة آداب الحضرة، وعاد الحلاج إلى البصرة عازماً العمل بنصيحة شيخه الجنيد، ثم إلى بغداد، ومنها إلى مكة لأداء فريضة الحج لأول مرة، وهناك نذر نفسه بالبقاء عامًا للعمرة فى حرم البيت العتيق، يمارس أشق الرياضات الصوفية بتعريض جسده لأشد ألوان العذاب الجسمانى، وهو فى حالة صوم وصمت دائمين، كما عرض جسده لأشعة الشمس اللافحة فى جبال مكة الجرداء، فقد اختار الحلاج ـ من ناحيته ـ أخذ نفسه بالمجاهدة الشديدة، واختار من بين الطرق أشقها وأصعبها، فإذا بالمريدين يفدون إليه، وقد نعتهم فى قصائده الرقيقة بقوله:

«أصحابى. وخلانى» ـ

وها هو يفتقد شيخه الكبير عمرو بن عثمان المكى بالخصومة، مثلما افتقد من بعده الجنيد شيخ الصوفية؛ الذى أنكر عليه بوحه وجهره.... فخاصمه، مما اضطره للاعتماد كلية على نفسه، وزهده، وعلمه، وقد بقى على رياضته الشاقة ـ تلك ـ سنة كاملة، قضاها فى الحرم، ولما عاد من مكة إلى الأهواز، بدأ الوعظ، زاهداً فى خرقة التصوف ذاتها، فألقاها عنه، وجعل يخاطب الناس بكلام

يصعب عليهم إدراكه، ويبدو أنه لم ينجح النجاح الكافى الذى كان يتوقعه، مما أثار حفيظة رجالَ الصوفية عليه، لكنه تمادى فى طريقته، فتكلم بحرية تامة مع أبناء الطبقات الدنيا؛ حتى صار له بعض الأنصار الذين تزايدوا رويداً رويداً، واشتد عليه أعداؤه من المعتزلة ومن الشيعة، وعلى رأس هؤلاء الأعداء على محمد بن موسى،.. وابن الفرات، وقد أثار هؤلاء الأعداء شغب العامة ضده، واتهموه بالدجل، وبالاحتيال بالمعجزات الزائفة الوهمية، وأطلقوا عليه لقب (حلاج الأسرار)، فكان من رأى الحلاج ـ وقتئذ ـ أنه «ليس على وجه الأرض كفر إلاّ وتحته إيمان، ولا طاعة إلاّ وتحتها معصية أعظم منها، ولا إقرار بالعبودية إلاّ وتحته ترك الحرمة، ولا دعوى للمحبة إلاّ وتحتها سوء الأدب. لكن الله تعالى عز وجل، يعامل عباده على قدر طاقتهم».... إنه يتكلم عن الأضداد التى يجمعها الله فى مخلوقاته، فيجعل واحداً منها ظاهراً والآخر كامناً، تمكيناً من تحقيق قضائه، والنزول على حكمه متى شاء، فهو ينشد، ويأمر بالكاف والنون فيكون ما يكون، لكى يجد كل إنسان الإشعاع النورانى، فهو وحده صاحب المشيئة، يشعشع فى أعماق النفوس ويضىء كل ما حوله وصولاً إلى لحظة الخلاص الدينى. فهو لم يختر التصوف زيّا، ولم يفهمه انعزالاً وعزلة فقط، وإنما هو سعى إلى المعرفة وجهاد ضد النفس وحرب على الظلم والاستبداد والطغيان، ودعوة خالصة إلى الحق والعدل.

من هنا، فقد قرر الارتحال فيما وراء النهر إلى خراسان، شأنه شأن كثير من البصريين، واستمر يدعو ويعظ الجاليات العربية بشرق إيران (طالقان)، ويبث دعوته فى المدن، ويقيم على الحدود، ويرابط مع المرابطين فى الثغور.. وبعد خمس سنوات عاد إلى الأهواز، ومنها إلى بغداد ثانية، وبفضل ما لقيه من سند رسمى فى دعوته من (حمد القنائى ابن عم الوزير على بن عيسى بن الجراح القنائى) أتى ليقيم بأهله فى بغداد، يدعو للصلاح والإصلاح وحوله عدد كبير من المريدين، فعظم أمره بين الناس، ويبدو أن الظروف لم تكن مواتية بفعل

خصومـة بعض رجال الصوفية للحـلاج، فضاقت به الحال من جـديد، واستغل هؤلاء الخصوم ما بلغه الحلاج من شأو عظيم فى التصوف، وما وصله من منزلة روحية عالـية، حتى صار يوصف بين العامة بـ «صـاحب الكرامات»، ونظر إليه الناس على أنه خـارق لقـوانين الطبـيعـة المعـروفة؛ مما جـعل أعـداءه يتـهمـونه بالألاعـيب السحـرية، والشعـبذة والاتصـال بالجن. ويتقـولون عليه الأقـاويل. فاختلطت الروايات، الصحيحة والمنحـولة، واختلف المراقبون بين مؤيد مصدق لكرامـاته ومعـارض منكر لهـا، ودرءًا للمواجـهة وحـقنا للدمـاء، اتجه الحـلاج لطريق مكة ـ حاجًا ـ للمرة الثـانية، وكان يصاحبه حوالى أربعـمائة من تلاميذه ومريديه، يشكلون تظاهرة إيمانية تمثل النقـمة على الفساد، وتصل هذه التظاهرة إلى بيت الله الحرام، وهكذا كانت رسالة الحـلاج ودعوته لإحقاق الحق على كل المستويات، الدينية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وإعلاء كلمة الله عز وجل،.. لقد آثر أن يـظل بعيداً عن بغـداد حتى تصـفو الأمور، مـبدلاً الأوطان، ومغيـراً الخلان. مستأنفاً أسـفاره ليقوم برحلة واسعـة، أبعد من الأولى. شملت الرحلة ـ فيما بعد ـ بلاد الهند، والتركستان؛ حيث وصلها بطريق البحر، وصعد فى نهر السند، وذهب من ملتـان إلى كشميـر ماضياً فى طريقـه، متوجهـاً ناحية الشمـال الشرقى حـتى طرفان وهى المدينة التـى تحدد الأطراف الغربيـة للصين، وفى رحلته مع القـوافل الأهوازية يرمى إلى تحقيق روح الإسـلام، وقد تعلم فى هذه الرحلة كـثيراً من العلـوم. واكتسب شـتى أنواع المعرفـة، وازداد تعمـقه فى البحث عن دقـائق الحقـائق، فتعـرف على مسالك الحكمـة والعلم اللدنى، ومما يذكـره ابن الجـوزى عن رحلة الحـلاج إلى الهند أن أحـمد الحـاسب قـال لابنه على: «وجهنى المعتضد إلى الهند، وكان مـعى فى السفينة رجل يعرف بالحسين الحـلاج، فلمـا خـرجنا من المركب، قلت لـه: فى أى شىء جئت إلى هاهنا؟.. قال: جئت لأتعلم السحر وأدعـو الخلق إلى الله، ويبدو أن هذا الخـبر هو الذى حمل ابن تيمية ـ فيما بعد ـ أن يقرر أن للحلاج كتاباً مشهوراً فى السحر،.. فى

حين أن سحر الحلاج الحقيقى يكمن فى كتابته، فالكتابة وحدها عنده، ـ والكتابة الشعرية على وجه اليقين ـ هى وسيلته الأولى للإفصاح عن الأسرار، ووسيلته المرجوة للمعرفة، وأغلب الظن أنه لم يكن يقصد السحر بالمعنى المتعارف عليه شيوعاً، وإنما قُصِدَ السحر المعرفى، سحر التوصل للحقيقة الربانية والعلوم اللدنية.

كان الحلاج يفكر فى الإنسانية كلها، فأثناء وجوده بالهند زاد نضجاً وعمقاً؛ واعتاد المجاهدات الشاقة، وتعلم التحكم فى نفسه، وأقام بينه وبين أهل الهند جسوراً معرفية؛ فلقبوه بالمغيث، ولقبه أهل ماصين وتركستان بالمقيت، وأهل خراسان بالمميز، وأهل فارس بأبى عبد الله الزاهد، وأهل خوزستان بالشيخ حلاج الأسرار، كما لقبه أهل بغداد بالمصطلم، وفى البصرة المجيب، فهو عند أهل خراسان مميز الحق من الباطل ومفرق النور من الظلمة، ومن بغداد أفنى ذاته ليصطلم بنار الشوق والحب اصطلام الفراشة بنار السراج ولأهل البصرة هو المجيب للحق، ولأهل الهند المغيث من الوقوع فى شرك ضلال النفس،.. وفى خلال رحلته الطويلة الشاقة؛ توافرت له عدة أمور، أهمها ثبات العقل ورجاحته، والتأمل الدائم، وحالة الوعى الصافى، فامتلك قدرة السيطرة التامة على الحس والمنطق والذاكرة والإرادة.

ومن الهند يعود إلى بغداد سنة ٢٩٠ هـ = ٩٠٢م، ليستقر بشكل نهائى، لا يغادرها إلا لتأدية المناسك والشعائر الإسلامية، كان عمره قد بلغ حوالى ستاً وأربعين سنة، يمر فى الأسواق والمساجد لكى يلقى بالأقوال التى تشى بفرط وجده، وصفاء قلبه ونفسيته الخالصة، ولشدة فرطه كان يبكى؛ حتى يبكى الناس تأثراً به، فها هو يتنكر للأنا، وينبذ كل شىء، إلا عشقه للواحد الأحد، الفرد الصمد، ويدعو إلى عدم التعلق بالسراب والوهم. ويدعوه الله تعالى، فيلبى، قاطعاً رحلته إلى مكة ـ حاجًا ـ للمرة الثالثة والأخيرة، وفى ذات الوقت

يتهمه الخصوم بأنه يريد محو الكعبة؛ وأنه يعتقد أن الشوق إلى الله، يجب أن يمحو عقلياً فى نفوسنا صورة الكعبة؛ كيما نجد من أقامها، وأن نحطم معبد بدننا لكى نبلغ من جاء إليه،.. إن الحلاج لا يعرف القول المجرد، فهو يمزج القول بالفعل، ويخلق ـ من خلال اللغة ـ عالماً داخل العالم، تتكون فيه المخلوقات رويداً، وبهدوء، تولد، وتنمو، وتتعانق كل الأزمنة فى حاضر حى، وأثناء حجته الأخيرة يقف الحلاج بعرفات ويصيح: «لبيك»، وسأل الله أن يزيده فقراً، ويجعل الناس تنكره وتنبذه.. فلما عاد من مكة إلى بغداد نحو سنة ٢٩١ هـ = ٩٠٣م، صرّح علانية برغبته فى أن يموت من أجل الإنسانية ومن أجل إحقاق الحق، وكان يصلى فى الليل عند القبور (مختصًا قبر الإمام أحمد بن حنبل)، أما فى النهار فكان يلقى على قارعة الطريق بالأقوال الغريبة، ويصيح فى الأسواق، وهو فى حالة من الانجذاب والطرب، إنه هنا لا يفرق بين الكتابة والحياة، فهو يكتب الشعر ـ تماماً ـ كما يحياه، إنها حالة الوصول إلى الصفاء الكامل. وأثناء ذلك لاحظ ابنه حمد أن أباه قد تغير، وعرف أن الرحلة الأخيرة تعد فاصلة مفصلية فى حياته. فقد توصل الحلاج خلال هذه الرحلة إلى الفكرة والمنهج اللذين يقومان على تغليب جانب الروح على الجسد؛ برياضة النفس بأشد ما تكون الرياضات لتمكين النفس من تقبل الرياضة الربانية التى يعجز البشر العادى عن أن يتحمل إشعاعها فى نفسه، إنه يتجاوز ظاهر النص إلى باطنه كاشفًا عن حركيته وغناه الداخلى، فكان فى رأى الحلاج أن صاحب الدعوة ينبغى أن يمضى فى دعوته إلى الغاية التى ما بعدها غاية، دون تراجع. ورأى أنه ينبغى عليه إذا فشل فى تحقيق فكرته: أن يبذل دمه ليغسل ذنوب البشر بسيل من حشاشته الإنسانية، ليكون موته فى حال إخفاقه سببًا فى ثقة الناس به؛ وتقديرهم لتضحيته، وإيمانهم بفكرته. وأراد الحلاج دعوة المؤمنين للقضاء على عار الجرأة على القول باتحاد ذاته بالألوهية؛ أن يقتلوه، فأثارت دعوته شعور العامة، واهتزت الأوساط المثقفة، خصوصاً وفى ظل ما كتبه من رسائل عن

موضوعات شائكة، لم يتناولها السابقون عليه، فظلت مثاراً للخلاف والجدل، وقد أنفق حوالى عشر سنوات يبشر بدولة الروح، وخلال هذه الدعوة، فقد مودة صحبه وأصدقائه من رجال الصوفية، كالشبلى وغيره لاستعظامهم دعوته وخوفهم من غلوائها وغوائلها، وبالفعل.... ثار محمد بن داود الظاهرى؛ الفقيه السنى، ولم يحتمل تلك الدعوة، فاستغل مركزه كقاضٍ فى محكمة كبير القضاة ببغداد، ورفع أمر الحلاج إلى المحكمة طالبًا ومطالبًا الحكّم بقتله، وقد وقع على هذا الأمر معه آخرون؛ ولكنهم جميعاً اصطدموا بمعارضة قاضٍ شافعى نزيه هو ابن سريج: أبو العباس أحمد بن عمر، وكان من عظماء الشافعيين، وأئمة المسلمين، ويقال له: الباز الأشهب، ونظراً لخفاء حال الحلاج عنه فقد قال: إن مثل هذا الإلهام الصوفى لا يدخل فى اختصاص المحاكم الشرعية. وأنقذت هذه الفتوى رقبة الحلاج، ليستقر، ويتغير عما كان عليه فى البدايات، فاقتنى العقار، وبنى داراً، وانقلب إلى المعارضة السياسية لنظام العباسيين الجائر، وبحث عن حلفاء وأنصار، وسرعان ما اتصل بالعلويين فقصد إلى الكوفة للتشاور مع أبى الحسن العلوى، الذى كان ميالاً للصوفية، وصديقًا مريداً لأبى على الخواص... ويبدو أن هذا العلوى لم يكن مستعداً للمغامرة، مما اضطر الحلاج لأن يتجه إلى علوى آخر أكثر تقبلاً لآرائه هو أبو عمارة محمد بن عبد الله الهاشمى، الذى يبدو أن اشتراكه مع الحلاج فى كنية واحدة هى «أبو عمارة» كان شيئاً يتجاوز المصادفة إلى الوحدة الروحية، وصار أبو عمارة يتكلم فى البصرة عن مذهب الحلاج، ويدعو إليه، وكان الحلاج يحث الناس على الصلاح وعصيان النفس الأمارة بالسوء. ويدعوهم إلى الحب الإلهى، وكلما أمعن النظر فى جور الحكام وظلمهم للناس وإصرارهم على جمع المال، كلما زاد إصرار الحلاج على موقفه وتشدده، ومعارضته للوضع القائم، وتقربه للبسطاء المستضعفين، فتمرد على محبة الدنيا، وحذر الناس منها؛ وأنذرهم من تقلباتها، وتهكم على المتقربين للحكام والمتزلفين، فكانت

دعوته للتمرد على الظلم، وثورته على الفساد والمفسدين، وفى مقدمتهم أولئك الحكام أولى الأمر ببغداد. وبخاصة الوزير حامد بن العباس، الذى كان جشعه وحبه للمال، وشغفه بالسطوة يزيده خوفاً من افتضاح أمره إن هو أبقى على رجل مثل الحلاج، ولهذا السبب وغيره لقى الحلاج بعد ذلك الكثير من العنت والتعنت، فقد اتهمه السيرافى والفسوى. مدعين أنه أجاب بإجابة مشهورة أثارت كثيراً من التأويلات عندما استجوبه صديقه الشبلى، وهو شاعر صوفى فأجاب الحلاج ـ حسب ادعاء الرواية ـ وقد أخفى عينيه نصف إخفاء بطرف كمه قائلاً: «أنا الحق»...

.... وهناك امتعض الشبلى. وكان العباسيون قد توجسوا خيفة من دعوة الحلاج وأنصاره، ورأوا فيه خطراً على مصالحهم الشخصية، مما جعل الوزير على بن محمد بن الفرات يقرر القبض على الحلاج، فقد وشى به رجل من أهل البصرة، لكن الشرطة لم تتمكن منه لهروبه المستمر.

أحيا الحلاج فى قلوب الكثيرين رغبة عارمة للإصلاح الأخلاقى الشامل، وأقنع غالبية المؤمنين بفكرته عن مدى الفائدة الاجتماعية التى يجنونها من الصلوات. وكانت له رسائل ومراسلات تحتوى بين سطورها الهداية الروحية، مما هيأ له الخوض فى السياسة العامة، وفى تلك الظروف انفجرت المؤامرات التى دبرها بعض الداعين إلى الإصلاح كالقنبلة الموقوتة، فلما أعيدت الخلافة إلى الخليفة المقتدر وهو غلام صغير؛ لم يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة، وكان وزيره على بن محمد بن موسى، ابن الفرات من الشيعة، وظل ابن الفرات يبحث عن خصمه وعدوه اللدود؛ الحلاج، الذى كان هاربًا، فقد شعرت الدولة العباسية بكل جبروتها ـ آنذاك ـ بالجهد الذى يبذله الصوفى الهارب فى الثورة عليها، وتقويض نظامها، وإسقاطها من الداخل، فدامت مطاردته ما يربو على السنتين الكاملتين، وفى سنة ٣٠١ هـ = ٩١٣م، وأثناء البحث الدءوب، قبضوا

على غـلام للحلاج، يعـرف بالدباس، فـأطالوا حبسـه، وتعذيبـه، وأوقعـوا به مكروهاً، وبعـد أن خَيَّبَ آمـالهم، بذلوا له مـالاً؛ لكي يجوب ويجـول فى طول البلاد وعرضـها خلف الحلاج، سعـياً فى طلبه، وأمر الوزير ابن الـفرات رجاله بإحكام مـراقبـة الغلام، وبـالتالى أصـدر أوامره الصـريحـة بإلقاء القـبض على الحلاج وأتباعـه ومريديه، فتم القبض على أربعـة من تابعيه، ونجا الحـلاج ومعه الكرنبـائى، وذهبا ليـختـفيـا ببلدة سوس بالأهواز، وهى مـدينة حنبلية.. وبـعد حوالى ثلاث سنوات من التـفتيش المتـواصل بقيادة بعض الخونة، ذكـرت امرأة للشرطة: «أنه قد نزل فى دار، رجل يعرف بالحلاج، له قوم يصيرون إليه فى كل ليلة، خفية، ويتكلمون بكلام منكر»، وعـرف أبو الحسن على بن أحمد الراسبى مـوطن الدار التى دلتـه عليهـا المرأة، فـقبض على الحـلاج، وجئ به إلى بغـداد، فسُلم إلى جابى الضرائب بعد أن أركبـوه جملاً، وشهروا به، وجرسوه، ونودى عليه: «أحد دعاة القرامطة.. فاعرفوه».. وحُبس.

وقد ذكـر ابن الجوزى أن الذى قبض على الحلاج، هـو عبد الرحمن خليـفة على بن أحمـد الراسبى. وهنا ابتدأت بداية نـهاية قضيـة الحلاج التى استـمرت حوالى تسع سنوات، تقدم إليه حـامد بن العباس، وكان قد قرر الانتقـام، نتيجة ما أشـاعه الحـلاج ضده كـمحـصل ضرائب قـاس، فتـوجه إلى الحلاج قـائلاً: «ألست تعلم أنى قـبـضت عليك بدور الراسـبى، وأحـضـرت، فكيف ادعـيت بعدى الألوهية؟». وتم الأمر بسجنه وصلبه صلب الاشتهار وهو حى.

خلاصة القول إنهم حين قبضوا على الحلاج واقتيدت معه زوجته، وولد من أبنائه، واتهموه بالقـرمطة، وهى تهمة ليس عليها دليل، وتعتـبر أسرع التهم إلى الأفواه، فالدولة العباسية لخشيتها القرامطة، جعلت القرمطة تهمة العصر.

وتعد هذه المرحلة النهائية ـ على وجـه التحديد ـ بمثابة ذروة المحنة فى تاريخ الرسـالة الحلاجـية، فـفى سنة ٣٠١ هـ = ٩١٣م، جئ بوزير جـديد هو على بن

عيسى الجراح، وكان أحد أعضاء وزارته «حمد القنائى» حلاجياً صريحاً، يجهر بالدعوة الحلاجية فى وضوح وثقة، فأفسد القضية بشكل مؤقت ومنع كبير القضاة من النظر فيها، عملاً بفتوى ابن سريج الذى أصدرها من قبل، وأطلق سراح تلاميذ الحلاج وأتباعه، ولكن خصومه ـ وهم كثر ـ استطاعوا الظفر بالحلاج، وعرضوه مصلوباً لمدة ثلاثة أيام؛ بحجة واهية، هى أنه يعد «داعى القرمطة». فتم حبسه وصلبه، مرة فى الجانب الشرقى من مجلس الشرطة، ثم فى الجانب الغربى مرة أخرى، حتى رآه الناس وهو معلق بحبل تحت إبطيه كالجرة المعلقة على خشبة، وقد استغرق على هذا الحال أيامًا متوالية ـ كما سبق القول ـ ينزل به ويحبس، ثم يصلب ثانية، وظل ينقل من حبس إلى حبس، إلى أن انتهى أمره بالحبس الدائم فى مؤخرة قصر السلطان. ولم يمنع الحبس أو الاعتقال، الحلاج، من التعبير عن أفكاره، وإظهار مواهبه فى الفراسة السياسية وقراءة الأفكار، وإطلاق الكرامات، والتأثير على من حوله، ومن هنا يتجلى للعيان أن فترة حبسه تعد من أخصب ما مر به فى سنى حياته، ويكفى أنه كتب فى هذه الفترة العصيبة كتابه «الطواسين». لقد اضطر حامد بن العباس أن ينقله من سجن إلى سجن خشية إنقاذ أتباعه له، لكنه لم يستطع سجن أفكاره، فحين استقر به المقام فى حبس منيع؛ ليكون تحت رقابة مشددة من الشرطة، وجد الحلاج فى السجن الطمأنينة وهدوء النفس، فكتب كتاب «السياسة والخلفاء» وكتاب «الدرة»، الذى صنفه باسم نصر القشورى، حاجب المقتدر.. فى تلك الأثناء، وفى المشرق على وجه التحديد، تفاقم أمر جماعات الخوارج، فدخلوا الرى، وهو أمر فظيع، يمثل خطراً على مستقبل حامد وأعوانه، ويعود بالضرر المباشر على مدخراته المالية، ويهدد مصالحه، وحتى يستطيع أو يتمكن من القضاء على حركات الخوارج، فإن الأمر يتطلب وجود الأموال الكافية لتحقيق هذا الهدف، فقرر زيادة الضرائب، وشدد قبضته فى جبايتها، لكن اثنين من رجال القصر هما الوزير على بن عيسى الجراح القنائى، والحاجب نصر

القشورى؛ وقفا دون زيادة الضرائب، فأقنعا الخليفة برفع الضمان عن حامد؛ وصرف عماله عن سواد العراق، وتخفيف الضرائب، وفتح المخازن، وتخفيض الأسعار؛ حتى تخبو جذوة الثورة، وهكذا غُلت يدى حامد بن العباس.

وفى قصر الخليفة، كان الحاجب نصر القشورى من أهم حُماة الحلاج، إلى جانب حام آخر، هو أم المقتدر نفسها، وهى الملقبة بالسيدة، وكانت ذات شخصية طاغية قوية، وحين رأت البسطاء يميلون إلى الحلاج ويتبركون به، وينشدون دعاءه؛ زاد إعجابها له، وتحركت أمومتها خوفا على وليدها عندما أصابته الحمى، وكادت تفتك به، حتى أنه بقى محموماً ثلاثة عشر يوماً، فطلبت استدعاء الحلاج، وهى ملتاعة، تخشى أشد ما تخشاه من تفاقم الأمور، ومضاعفة آثار الحمى؛ حتى تكاد تودى بحياة ابنها، وهنا تدخل الحاجب نصر القشورى، فطلب من الحلاج المثول فى حضرة الخليفة لرقياه، خصوصاً بعد أن فشل فى علاجه أطباء كبار؛ يشار إليهم، أمثال: بختيشوع بن يوحنا، وأبو بكر الرازى، وسنان بن ثابت،.. فلم يفلح علاجهم فى حالة المقتدر، ولما رقاه الحلاج استجاب للرقية فعولج من أزمة الحمى وهى من قصص وحكايات الخوارق الشعبية.

وهكذا استطاع الحلاج أن ينعم براحة البال داخل قصر الخليفة لفترة ما، وإن قصرت، ولكنه أحس بالأخطار تتهدده كل يوم، ومن كل صوب؛ فكانت المؤامرات تحاك ضده... وفى هذه الفترة اتجه قطاع من العامة للتمرد على الأوضاع المتردية، وكان المتمردون يدينون بالولاء للحلاج ـ على وجه الخصوص ـ وللصوفية ـ بوجه عام ـ فهم من أصحاب القيم الروحية، وكان على رأسهم صديق الحلاج وتلميذه المخلص أحمد بن عطاء الأدمّى، ولشدة دهاء حامد بن العباس وخبثه، فقد استغل حالة الشغب والتمرد، فوجد فيها فرصة مواتية، تتيح له الانتقام من خصميه، فاستغل الموقف لينقض من خلال

تمرد ابن عطاء، فيحاكم الصوفى الثائر، الذى فتن الناس، حتى وهو بين غياهب السجن، فقرر إثبات زندقته وتآمره على الخليفة، وعلى الدولة العباسية، ولا يمكن أمام هذه التهم الشنعاء أن يتصدى حامياه على بن عيسى، ونصر القشورى لهذه القضية. فهى بكل المقاييس قضية شائكة، ويمكن لها إضعاف نفوذهما، وزعزعة ثقة الخليفة فيهما، وهكذا أطلقت يدا حامد، فزاد ما شاء فى جباية الضرائب ليشبع نهمه وجشعه وحبه للمال. وقد نجح فى خطته، فأثار عند الخليفة قضية الحلاج. مظهراً إياه فى صورة خائن أشر، موضحاً مكامن الخطر إن هو بقى على قيد الحياة، وأوغر صدر الخليفة، فمنع عليًا بن عيسى من نظر القضية، ومنع نصر القشورى من حراسة الحلاج وحمايته، مذيقًا الحلاج ألوان العذاب والاضطهاد والتنكيل، ولزيادة إحكام قبضته، أمر بالقبض على ابن عطاء، باعتباره صديق الحلاج وتلميذه المخلص الوفى، ولما سيق إليه، حاول إرغامه على الشهادة ضد الحلاج، فاستدعاه ذات مرة، وحين دخل ابن عطاء، جلس فى صدر المجلس، مما أثار غضبة حامد، لكنه كظم غيظه، وحاول بكل السبل استمالة ابن عطاء إليه، ولكن ابن عطاء بما أوتى من شجاعة ورباطة جأش، لم ينصع لأوامر حامد وتهديداته، رافضاً التعاون معه ـ فى تلفيق الأكاذيب ـ لهلاك الحلاج،... لقد حاول حامد إرهاب ابن عطاء لاستخلاص شهادته بإدانة صديقه وأستاذه، فسأله بشكل مفاجئ: هل يصوب اعتقاد الحلاج؟.. غير أن فتوة ابن عطاء وولاءه لأستاذه، حملاه على أن يواجه الوزير بقوله: مالك ولهذا؟.. عليك بما نصبت له من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم!.. مالك ولكلام هؤلاء السادة. فزاد غضب الوزير وقال: «فكّيه».. فضرب فكيه.. فقال ابن عطاء: «اللهم إنك سلطت هذا علىّ عقوبة لدخولى عليه».. فقال الوزير: «خُفَّه يا غلام» فنزع الغلام خف ابن عطاء. فقال حامد: «دماغه».. فأخذ الغلام يضرب رأس ابن عطاء بالخف، حتى سال الدم على منخريه... مما أفقده الوعى، ثم حمل إلى منزله ليموت بعد ذلك بأسبوع، فسبق

الحلاج إلى بارئه بنحو أسبوعين، ولم يشهد العذاب المريع الذى يفوق الاحتمال، حين تعرض له صديقه فيما بعد. وقد روج المعتزلة ـ فى تلك الآونة ـ شتى أنواع الشائعات، ناشرين الأكاذيب المختلقة، والمختلفة، مدعين أن للحلاج حيله السحرية التى يمارسها على أتباعه، واستطاع حامد بن العباس إغراء بعض أصدقاء الحلاج، من ذوى النفوس الضعيفة، فخشى بعضهم رهبته وترهيبه، وأذعن البعض لرغبته وترغيبه، فشهدوا بادعاء الحلاج الألوهية، وهى التهمة التى حاول حامد دمغ الحلاج بها مراراً وتكراراً، وقد زعم حامد أنه وجد فى كتب الحلاج ما يصلح أن يكون فقهاً لمذهبه، فقال ـ مدعياً عليه القول ـ إنه إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها، ولم يفطر، وأخذ فى اليوم الرابع بعض وريقات الهندباء[1]، وأفطر عليها، أغناه عن صوم رمضان،.. وإذا صلى فى ليلة واحدة ركعتين من أول الليلة إلى الغداة، أغنته هذه الصلاة بقية عمره عن الصلاة بعد ذلك، وإذا تصدق فى يوم واحد بجميع ما ملكه، أغناه الله عن الزكاة.. وإذا بنى بيتاً، وصام أياماً، ثم طاف حول البيت عرياناً، مراراً أغناه الله عن الحج، وإذا سار إلى قبور الشهداء بمقابر قريش فأقام فيها عشرة أيام يصلى ويصوم، ولا يفطر إلاّ بشىء يسير من خبز الشعير والملح، أغناه الله عن العبادة باقى عمره.

ولم يكتف حامد باختلاق الأكاذيب، وإنما زين له خياله المريض أن يطعن الحلاج فى شرفه، فزعم أنه استدعى ابنة السمرى ـ التى وعدها الحلاج بتزويجها من ابنه سليمان ـ واستجوبها، وهى التى كانت مقيمة عند الحلاج، فى سجنه، مع أسرته، فقالت (حسبما أرغموها): «كنت نائمة، والحلاج قريب منى، فما أحسست إلاّ وقد غشينى، فانتبهت فزعة، فقال: إنما جئت لأوقظك للصلاة!».

---

(١) الهندباء: كلمة إيطالية الأصل استخدمها العرب، ومرادفها العربى هو اللُّعاعة: وهو عبارة عن نبت برى ناعم فى أول ما يبدو، أخضر اللون ويطلقون عليه فى مصر الشيكوريا أو الجعضيض أو السريس.

كل هذا الادعاء والحلاج بين أسرته، وقد بلغ من العمر خمساً وستين سنة فكان من نتيجة تضافر الادعاءات، وحبكها مجتمعة، أن ظل الحلاج فى الحبس لا يفارقه إلاّ للتعذيب.. فإذا كان ابن الفرات لم يجسر - أثناء وزارته الثانية - أن يعيد فتح باب القضية من جديد، خوفًا من أم الخليفة، فإنه حاول الكرة من جديد.

واستطاع الحلاج - فى تلك الفترة - أثناء حبسه، أن يستكمل مؤلفاته الأخيرة، وأحدها «طاسين الأزل» وعنوانها الكامل هو «طاسين الأزل والالتباس فى صحة الدعاوى الخاصة بالوحدة الإلهية بعكس المعانى». وهى رسالة رائعة.

إذا كان ابن الفرات لم يستطع فتح القضية، فإن حامد بن العباس قد وجد الفرصة سانحة، فخطط، وترك أعوانه وزبانيته ينفذون، وقد سرت فى قصر الخليفة دعاية مغرضة، صادرة عن أحد غلاة الشيعة وهو الشلمغانى، حيث ادعى على الحلاج أنه يقول: «إن الإيمان والكفر، والفضيلة والرذيلة والنجاة والعذاب، كلها متقابلات ضرورية، وكلا الحدين مقدس، مرضى عنه عند الله». وباستجلاء تاريخ الشلمغانى، نتبين أنه حضر إلى بغداد بصحبة حامد بن العباس، الذى كان يستشيره فى كل ما يهمه من الأمور، بالإضافة إلى أن صهر حامد وهو أبو الحسين ابن بسطام كان تلميذاً مخلصاً - كل الإخلاص - للشلمغانى. وهذا الأخير كان رجل دسائس ومؤامرات، وقد حرص - من قبل - على قتل بعض أكابر القنائيين، وبالتالى قتل أنصار الحلاج،.. ولابد أن يكون حامداً قد استشاره حين أراد إدانة الحلاج، ويرجح أنه اقترح - فى هذا - ضرورة تعذيبه وإيلامه. فكان حامد بن العباس ينقل الحلاج من حبسه إلى بيته (أى بيت حامد) مبالغة فى الحرص وإمعاناً فى الحيطة، وكان يتفنن فى إهانته وإيذاءه. مفتوناً بإخراجه أمام الحضور لسؤاله، معتمداً السخرية منه، وقبل إعطائه فرصة

الإجابة، يصفعه، وينتف لحيته، ثم يستنطقه، فلا يظهر منه ما تكرهه الشريعة المطهرة، وكان مما أنقم حامداً وزير المقتدر، وعلى بن عيسى الجراح، أنهما وجدا ضمن أوراقه ورسائله لفظة «النور الشعشعانى». فلم يهتديا إلى معناها، ولم يدريا ما المراد والمغزى، وما معنى الاصطلاح، فسخرا منه. وناصباه العداء.

كانت بغداد ـ فى ذلك الحين ـ أكبر عواصم العالم المتمدين، فكان يجب على أولى الأمر أن يسلكوا مسلكاً حضاريًا، ولكن هيهات،.. نصبت منصة مرتفعة فى القلب من بغداد، وجرت المحاكمة.

كانت الأزمة المالية الطاحنة قد أدت إلى اختيار أشكال جديدة من نظم الحكم، فتشكلت وزارة ائتلافية، تسرب إليها حامد بن العباس، مستعيداً دوره القديم كمحصل خراج، قاس، متجبر، إلى جانب على بن عيسى، وفى واحدة من ثورات الصناع الجياع، الذين ركدت بضاعتهم، وساءت أحوالهم، وتدهورت معيشتهم، فتحولت صرختهم إلى انتفاضة شعبية هادرة، أطاحت بكل الحصون والقلاع، فهاجمت المحتكرين ومخازن الاحتكار بما تحتويه من خيرات خبيئة مخزونة، وثروات مدفونة، وفتحت السجون على مصراعيها، ويقال إن الحلاج رفض الفرار من حبسه، وارتحل حامد إلى واسط، لكنه، وبعد بضعة أسابيع، استفاد ـ مرة ثانية ـ من عودة مؤنس الخادم كبير القادة إلى بغداد، فعرض عليه ضرورة القضاء على الحلاج، ولكنهما ارتأيا مجانبة الوزير البلعمى، وهو شافعى من أنصار الحلاج، وقد رفض من قبل الانصياع للأوامر، ورفض ـ أيضاً ـ تسليم أتباع الحلاج.

قرر حامد استئناف النظر فى قضية الحلاج، مهما كلفه ذلك، وَوُفق فى هذا بفضل شخص ثالث، هو أبو بكر بن مجاهد، شيخ الحفّاظ، وصاحب الكلم المسموع، وخصم الحلاج، فمنع ابن عيسى من النظر فى قضية الحلاج ـ كما ورد من قبل ـ ومنع نصر القشورى من حراسته، وأوكلت القضية برمتها إلى حامد، فتظاهر الحنابلة ضد حامد. ودعوا عليه فى شوارع بغداد، احتجاجاً على

سياسته المالية، ومن أجل إنقاذ روح الحلاج. (وكان هذا الاحتجاج بإيعاز من ابن عطاء، قبل أن يقتل ولما رفض ابن عيسى، وصديقه المؤرخ الطبرى الالتجاء إلى التمرد والفتنة؛ انقلب الحنابلة على الطبرى، وحاصروه فى بيته)، ولكن الوزير حامد كسب الجولة الأخيرة من المعركة، حين دعاه الخليفة المقتدر للمحافظة على النظام، فتمكن من الموقف، وألجم حركة المحتجين، وصار فى وسعه أن يشكل المحكمة على هواه، ووفق رغبته وميله،.. وبالفعل، مَثُلَ الحلاج أمام محكمة غريبة الهيئة، لا تمثل المذاهب الفقهية الأربعة؛ فقد استطاع الوزير حامد أن يحبك خيوط المؤامرة مع كل من القاضى الحنفى؛ أبو جعفر البهلول، الذى كان قد اعترض على قتل الحلاج، ما لم يقر ـ صراحة ـ بالزندقة على نفسه، وهنا لم يمهله حامد، بل عين قاضياً آخر، حنفياً؛ هو أبو الحسين عمر الأشنانى، كما حضر رئيس الشهود؛ القاضى عبد الله بن مكرم، هذا بالإضافة إلى القاضى أبى عمر الحمادى، وهو معروف بتملقه لسلطان القائمين بالأمر، وبحث القاضى عن أسباب مقنعة لاستصدار حكمه بإعدام الحلاج، أو بأقصى عقوبة تلى الإعدام، فزعم أنه «وجد عند الحلاج دفاتر تضمنت نصًا يقول: إن الإنسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه ذلك، فإنه يستغنى عنه بأن يعمد إلى بيته، ويفرد فيه مكاناً، يطهره، ويطيبه، ويعمل له محراباً يشبه الكعبة، ويغتسل، ويحرم، ويقول، ويفعل، ويصلى، ويطوف حوله، كما لو كان فى مكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، فيكرم ضيافتهم، ويطعمهم، ويخدمهم بنفسه، ويغسل أيديهم، ويكسوهم، ويدفع لكل منهم سبعة دارهم».

وادعى القاضى أن هذا شىء شبه متعارف عليه لدى أتباع الحلاج ومريديه، فإنه يقوم مقامه لمن لا يقدر على الخروج بإضافة أو منع أو علة... واستطرد القاضى أبو عمر: إن فى ذلك دعوة صريحة لهدم الكعبة، فما مصدر ذلك؟.. سؤال وجهه أبو عمر الحمادى للحلاج، الذى أجاب إنه قرأه فى كتاب الإخلاص للحسن البصرى، فأنكر أبو عمر ووجود ذلك الكتاب، وأصر الحلاج على قوله، فانتفض أبو عمر، ونهر الحلاج قائلاً: «يا حلال الدم».

فلما سمع الوزير ذلك، قال لأبى عمر: «أكتب بهذا»، فدافعه أبو عمر وتشاغل عنه، غير أن حامداً أصر، وألزمه بذلك، ملحًا عليه إلحاحًا لم يمكنه معه المخالفة، خصوصًا وأن القاضى ابن الأشنانى وافق على ذلك، فكتب بإباحة دم الحلاج، وكتب معه من حضر المحكمة ـ بيده ـ من قضاة وشهود. وجرت المحاكمة فى صورة استجواب للحلاج فيما نسب إليه، ومضت الأسئلة والأجوبة، ومن خلال استعراض المصنفات، جرت الأمور فى البدء لصالح الحلاج، إلى أن وصلت المحكمة إلى ضالتها المنشودة، ألا وهى فقرة ملغزة، ذات معنى باطنى، تقبل التأويلات المختلفة، والاجتهادات، وكانت هذه الفقرة ـ مرة أخرى ـ عن فريضة الحج، وردت فى أدلة الاتهام، وكما نص عليها كتاب «الصدق والإخلاص»، فلما توقف القاضى أبو عمر الحمادى ـ مرة أخرى ـ مستفسراً عن مصادرها، فكان جواب الحلاج ـ ثانية ـ أنه وجد حكمها فى كتاب الإخلاص للحسن البصرى.. ومن هنا يتضح مدى برودة الاستجواب، ووجود نية مبيته، فقد استمر القاضى أبو عمر فى المحاكمة على مضض، فأصدر حكمه فى النهاية بالإعدام، لا عن اقتناع، وإنما خوفًا من بطش الوزير. إذ لم ير فى أقوال الحلاج ـ حسب الوقائع أى كفر أو إلحاد، أو شبهة زندقة، فالحلاج لم يجز ما أجازه فى أمر فقرة الحج لأى قادر، وإنما رهن فقرته بضيق ذات اليد، وعدم القدرة المادية أو الجسدية، أما جملة «يا حلال الدم» التى أطلقها القاضى أبو عمر، فقد وردت نتيجة انفعال عصبى حاد، وبسبب ضغوط الوزير حامد، وقيلت فى سياق الشتم، لكن الوزير أرغمه على إثبات هذه العبارة وتدوينها، واتخاذها مبرراً للحكم بالإعدام حكما مبرمًا لانقض فيه. وخلال اليومين التاليين لنطق الحكم، بذل كل من نصر القشورى، ووالدة الخليفة ما فى وسعهما سعياً لدى المقتدر، فبدل حكم الإعدام، وخفف، واستبدله بالسجن.. فارتبك الوزير حامد ولوّح أمام الخليفة المقتدر بشبح الثورة

الاجتماعية الحلاجية، وراح يسعى للاتفاق مع كبير القادة مؤنس الخادم على الخلاص من الحلاجيين، ومن سطوة صديقهم نصر القشورى..

وهنا..

لابد من ملاحظة ما انطوى عليه تشكيل طاقم القضاة من تحيز وسوء نية ـ من قبل حامد بن العباس ـ تحقيقاً لرغبته العارمة فى الانتقام. فمن المعروف أن المالكية لا يجيزون توبة الزنديق، بعكس أتباع المذاهب الأخرى، فكأن تعيين أبى عمر الحمادى على رأس هيئة المحكمة، إنما أريد به الحكم بالإعدام لا غير. ومما يؤكد هذا الاستنتاج أن قضاة الشافعية لم يُمثلوا فى المحاكمة، ويرجع ذلك إلى سبب فى غاية البساطة والوضوح، وهو قبولهم الصريح لتوبة الزنديق، والحكم بإطلاق سراحه متى اعترف وتاب وأناب،.. كما قُصِدَ باختيار أبى جعفر البهلول كبح جماح السيدة الوالدة من التدخل لدى الخليفة المقتدر لصالح قضية الحلاج، أما القاضى أبو الحسين الأشنانى، وهو المفضل عند السيدة شغب؛ أم المقتدر، فقد وقع فريسة سهلة لرهبة حامد بن العباس، مما جعله يتفق وفتوى القاضى المالكى. وأهم ما يؤخذ على تلك المحاكمة ـ فى عمومها ـ إخضاعها للقالب الدينى البحت، على الرغم من كونها محاكمة سياسية... وقد نجح حامد فى أخذ توقيع الخليفة للأمر بإعدام الحلاج، وكانت هذه الحادثة مفاجئة لنصر القشورى، فلجأ إلى السيدة الوالدة، للتوسط لدى ابنها، لإلغاء الحكم وإصدار عفو عن الحلاج أو تأجيل التنفيذ والتروى فى المسألة، أو تخفيف الحكم، وتقدمت السيدة والدة المقتدر إلى ابنها بما طلبه نصر القشورى، ولكن المقتدر رفض الطلب رفضاً باتًا.

وها قد أفلحت مؤامرة الوزير حامد، ومن خلال الشهود الذين شهدوا بصحة المحاكمة، ووافقوا على الحكم، فاستطاع أن يضرب ضربته، فأحضر عدداً وافراً منهم بمعونة عبد الله بن مكرم؛ الذى اعتاد احتراف شهادة الزور،

وبلغ عدد الشـهود أربعة وثمـانين شاهداً، مما حدا بالوزير أن يكافئ عـبد الله بن مكرم بتقليده منصبًا فخريًا فى قضاء الفسطاط. وفى الـثالث والعشرين من ذى القعدة؛ أعلنت الأبواق أن الوزير يتهيأ لتنفيذ الأمر بالإعدام، فأسلم الحلاج إلى رئيس الشرطة ابن عـبد الصمد، واتخـذت الشرطة الاحتيـاطات للحيلولة دون اندلاع ثورة،.. وفى المساء ظل الحلاج فى حـبسه، يوطن نفسه، ويشجـعها على الاستـشهاد. لم يتوقع الحـلاج أن يكون تسليمه ـ عـلى هذه الصورة ـ بناء على نقل المتـواتر من الشائعـات، وحتى تلك الأقاويـل لا يمكن أن تعد مدعـاة لحكم الإعدام، ولم يتوقع الحلاج التآمر، ومن هنا احتج بشدة مجاهراً: **«ظهرى حمى، وجسـمى حرام، ومـا يحل لكم أن تتأولوا علىّ بما يـبيحـه الدين. وأنا اعتـقادى الإسـلام، ومذهبى السنـة؛ وتفضـيل الأئمـة الأربعة الخلفـاء الراشـدين؛ وبقيـة العـشـرة من الصـحابة ـ رضـوان الله عليـهم أجـمـعين ـ ولى كـتب فى السنة، موجودة فى الوراقين.. فالله فى دمى».**

وفى الرابع والعـشرين، ببـاب خراسان، وبـحضرة مـجلس للشـرطة، وأمام جمع غـفير، جئ بالحـلاج، وضرب ألف سوط، استـعداداً لقـطع يديه ورجليه، وصلبـه وهو لايزال حيـا. فكانت الفـرصة شـبه قـائمة عند أصـدقائه وأعـدائه لاستجوابه؛ لإراحة ضمائرهم، بينمـا كان الثائرون يحرقون بعض الدكاكين فى الأسواق، ولـم يأت أمر الخليفة بالإجهـاز عليه إلا عندما وافى المساء، فأجل أمر الإعدام إلى صبيحة الغد، حتى يستطيع الوزير حضور النطق بالحكم..

لقد تم عـدد السياط ألفـاً لدى جلاديه، وسوطًا واحـداً لديه. فبقى على قـيد الحيـاة وكأنه أراد أن يظهـر للناس ولجلاديه كيف يكـون الصبر وعـزم الأمور.. وكـان حامـد بن العبـاس قد قـال للمقـتدر وهو يستحـثه الموافـقة على الأمـر بالإعدام: «إن أصابـك شىء.. فاقتلنى يا أميـر المؤمنين، إن الحلاج إن بقى قَلَبَ الشريعـة؛ وارتد الخلق على يده، وأدى ذلك إلى زوال سلطانك، فـدعنى أقتله،

وإن أصابك شيء فاقتلني». فأذن الخليفة له، وكان تصديق المقتدر على الحكم مقترنًا بصورة تنفيذه ـ وكأن الأمر كان معداً له من قبل ـ على شكل فظيع، لم تجر العادة به فى مثل حالة الحلاج:

«إذا كان القضاة قد أفتوا بقتله، وأباحوا دمه، فلتحضر محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة، وليتقدم إليه بتسليمه، وضربه ألف سوط، فإن تلف تحت الضرب، ولم يمت، فتقدم بقطع يديه ورجليه، ثم اضرب رقبته، وانصب رأسه، وأحرق جثته». لقد تخوف ابن عبد الصمد صاحب الشرطة من أنصار الحلاج، وخشى أن ينتزع الحلاج من يده عنوة، فوقع الاتفاق بينه وبين حامد بن العباس على أن يحضروا به فى العتمة، حتى يصلوا إلى الجسر، مكان الإعدام، وكان ذلك ليلة الثلاثاء، فلما حل الظلام بالفعل، قدم ابن عبد الصمد وجماعته على بغال موكفة إلى دار حامد بن العباس حيث كان الحلاج قد نقل. وتنكر رجال الشرطة وجروا مجرى الساسة للبغال. وحمل الحلاج على واحد من البغال، وأُدخل فى غمار القوم، وركب غلمان حامد معه حتى أوصلوه إلى رحبة الجسر مكان الإعدام، وبات الحلاج ليلته فى حبسه يهيئ نفسه للاستشهاد.

وفى اليوم التالى، برز الحلاج إلى ساحة الإعدام فى رحبة الجسر بباب خراسان، فى الجانب الغربى من بغداد، شيخا فى الخامسة والستين، أبيض الشعر واللحية، له علامة فى رأسه، هى ضربة، واجتمع عليه خلق كثير، وتقدم، فصلى الركعتين اللتين سنهما خبيب بن عدى قبل القتل فى الإسلام الأول، فبعد أن جدع كبير الشرطة أنفه أمام حشود الجماهير، رفع الحلاج يديه إلى نافورة الدماء، فغسل رسغيه وتوضأ قائلاً: «ركعتان فى العشق ـ تعالى ـ لا يصح وضوؤهما إلاّ بالدم».. ويروى فريد الدين العطار ـ نفس الرواية فى قالب شعرى ـ قائلاً: «مسح الحلاج وجهه بيديه المبتورتين النازفتين دمًا، حتى تلطخ وجهه وساعداه بالدم، فقالوا له: لم فعلت ذلك؟

.. قال: لقد ذهب من جسمى دم كثير، وأعلم أن وجهى قد اصفر، وقد تظنون أن اصفرارى نتيجة للخوف. فمسحت وجهى بالدم حتى يكون فى نظركم محمراً، فحمرة خد الرجال لا تكون إلاّ بدمائهم. فقالوا له: عندما حمَّرت وجهك بالدم. لم لطخت ساعديك أيضًا؟.. فأجاب: إنى أتوضأ.».

وكان حامد قد دعا الشهود الموافقين على الحكم ليتلو كل واحد منهم وبصوت عال، أمام الجميع وفى ساحة الإعدام: «نعم، اقتله!... ففى قتله صلاح المسلمين، ودمه فى رقابنا» بعدها سقطت يداه ورجلاه، ومسح الجلاد سيفه، ثم قطع رأسه، وسقط، فعلق على حربة، وصب الزيت على جذعه، وأحرق بالنار، وألقى فى النار، وألقى برماده من أعلى المئذنة فى الدجلة يوم ٢٤ ذو القعدة سنة ٣٠٩ هجرية، الموافق ٢٦ مارس سنة ٩٢٢ ميلادية.

ومما يذكر أن رأس الحلاج ويديه ورجليه حُملت من ساحة الإعدام إلى السجن الجديد الذى كان يقضى به أيامه الأخيرة، وعلى سور السجن نصب رأسه للناس لمدة يومين وإلى جانب الرأس علقت يداه ورجلاه.

أما فى دار الخلافة فقد ساد الوجوم على أم المقتدر السيدة شغب، وأصيب أصحاب الحلاج وأتباعه بالخيبة، وبعد أن أنزل الرأس عن سور السجن، احتفظ به لمدة سنة كاملة فى خزانة بدار الخلافة كانت مخصصة لحفظ رؤوس كبار من تم إعدامهم، وتسمى «خزانة المعدمين» ثم أُخرج الرأس من دار الخلافة وحُمل إلى خراسان، ليكون عبرة لرفاقه وأصحابه وأتباعه.

وروى بعض الشهود ـ بعد ذلك ـ أنهم سمعوا من الحلاج الكلمات التالية، وهى آخر ما فاه به:

«إلهى!.. إذ تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لم تتودد إلى من يُؤذى فيك؟!».
وأعلن شهادة التوحيد الشرعية الإسلامية قائلاً:

«حسب الواجد إفراد الواحد له». وهذه الكلمات وغيرها، مما استشعرت

فيـها قلوب الأصدقاء أجـوبة مفسـرة لحاله،.. لعلها صـحيحة كل الصـحة من الناحـية التـاريخيـة؛ فإنهـا تحقق مـا توقعـه دعاؤه فى عـشيتـه الأخيـرة: «نحن بشواهدك».

هكذا نفـذ الحكم.. ولكن تنفـيـذ هذا الحكم لم يطو صـفـحة الحـلاج، وإنما زادها إشراقًا ونصوعًـا، وتزايد مريدوه وتلامذته الأوفياء النجـباء، يتوافدون من كل صوب نحو طريقته، واختلفت نظرة الأعداء له، فارتفعت الأصوات هادرة، قوية العبـارات واضحة، تزيل الغبار عن سجل الحـلاج المطموس، وتغسل الدم عن وجهه النورانى المرفوع فـوق الرمح فى شوارع خراسان، لتعيد إليـه اعتباره، وترفـعه إلى المكـان اللائق به، فهـا هو أبو بكر الشـبلى ـ الذى أعـرض عنه فى أخـريات حـيـاته ـ يقـول: «كنت أنا والحـلاج شـيـئـاً واحـداً، إلا أنه أظهـر... وكتمت».

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلى بن موسى بن عبد الله الحنبلى: «عثر الحلاج، فلم يكن فى زمنه من يأخذ بيده، ولو كنت فى زمنه لأخـذت بيده». ويضعه أبو حامد الغزالى بين العارفين الذين عرجوا إلى سماء الحقيقة، فيقول: «العارفون ـ بعد العروج إلى سماء الحقيقة ـ اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود إلا الواحد الحق. لكن منهم من كـان له هذه الحال عرفـاناً علمياً، ومنـهم من صار له ذلك حـالاً ذوقيًـا. وانتفت عـنهم الكثرة بالكـلية، واسـتغـرقوا بـالفردانيـة المحضـة، واستوفيت فيهـا عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فـيهم متسع؛ لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضًا. فلم يكن عندهم إلا الله عز وجل».

***

انتهت مـحاكمـة الحلاج بصلبه، وهى مـحاكمة سـياسيـة فى الأساس؛ وإن استند قضاتها على مقولته فى الحج كـحجة واهية لصلبه وإعدامه. إنهم نسوا أو تناسـوا قول المولى عـز وجل ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ

وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾... سورة قريش/ مكية/ الآية٤. إنه تنبيه على ما كان عليه أهل مكة من عبادة للكعبة.. لقد حارب الإسلام الأول فكرة عبادة الأماكن، ففكرة المسجد أو الجامع لا تنطوى على أى معنى من معانى التفضيل لمكان بعينه دون آخر، وإنما تنحصر فى فكرة الاجتماع فى مكان واحد تحقيقا للمعنى المقصود من صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الجمعة.

قالت رابعة العدوية (البصرية) من قبل ما قاله الحلاج، ولم تحاكم، ولم تقتل،.. وروى العطار فى تذكرة الأولياء: كانت رابعة فى طريقها إلى الكعبة ذات يوم، فبقيت وحدها فى الصحراء، وشعرت بالوحشة؛ فصاحت: «إلهى! إن قلبى ليضطرب فى هذه الوحشة. أنا لبنة، والكعبة حجر. وما أريده هو أن أشاهد وجهك الكريم!» فناداها صوت من عند الله تعالى يقول: «يا رابعة!.. أتطلبين وحدك ما يقتضى دم الدنيا بأسرها؟.. إن موسى حين رام أن يشاهد وجهنا، لم نلق إلاّ ذرة من نورنا على جبل فخر صعقا».

ورابعة هنا تتحدث عن الكعبة الحجرية فحسب، متخلصة من التلبس بالمعنى الحسى فى الحج.. ففى رواية ثانية يقول العطار: «كانت رابعة بسبيل الحج، فرأت الكعبة قادمة نحوها عبر الصحراء، فقالت: لا أريد الكعبة، بل رب الكعبة، أما الكعبة فماذا أفعل بها؟!. ألا تتفق مقولة رابعة ومقولة الحلاج «إن شوقنا إلى الله يجب أن يمحو عقليا فى نفوسنا صورة الكعبة كيما نجد «من» أقامها، وأن نحطم معبد بدننا كيما نبلغ «من» جاء إليه ليتحدث إلى بنى الإنسان». ها هو الحلاج يستحضر صورة رابعة وقد أمّحت فى نفسها صورة الكعبة، لأنها تريد أن تجد من أقامها، وصار فى وسعها أن تستغنى عن فريضة الحج، لأنها ستجد الله فى نفسها؛ فى حاجتها بعد مشاهدته عند الكعبة!.

قال على الجريرى: قيل عن رابعة إنها حجت. فقالتك «هذا الصنم المعبود فى الأرض، وإنه ما ولجه الله ولا خلا منه».

ها هى ترى فى الكعبة صنماً، وفى التبرك بها وثنية؟! وهى لا تنشد من الحج سوى وجه الله.

ويروى العطار أن إبراهيم بن أدهم أمضى أربعين سنة ليبلغ الكعبة، ولما بلغها لم يجدها فى مكانها، فقال نائحًا شاكيًا: «واأسفاه!.. أأظلم بصرى حتى لم أعد أر الكعبة؟» فسمع صوتا يقول: «يا إبراهيم!.. لست أعمى، لكن الكعبة ذهبت للقاء رابعة». فتأثر إبراهيم؛ ثم رأى الكعبة وقد عادت إلى مكانها، وشاهد رابعة تتقدم مستندة إلى عصا، فقال لها: «أى رابعة! يا الجلال أعمالك!.. ثم وما تلك الضجة التى تحدثينها فى الدنيا!.. فالكل يقولون: إبراهيم يتوقف فى كل خطوة ليصلى ركعتين». فقال إبراهيم: «نعم أمضيت أربعين ربيعًا أجتاز هذه الصحراء». هنالك قالت رابعة: «يا إبراهيم! لقد جئت أنت بالصلاة، أما أنا فقد جئت بالفقر». ها قد استحالت المراسم الدينية لدى رابعة إلى رموز، كما صارت الشعائر معانى مجردة، فالفقر هنا يعنى الفقر من المادة والتجرد عنها وعن الدنيا، فالفقر أصله رجوع العبد إلى عدمه الأصلى حتى يرى وجوده وعمله وماله ومقامه كلها فضلاً من الله وامتنانًا محضًا.

وتقول رابعة: «لما كانت الكعبة قد أقبلت إلىّ فى العام المنقضى، فسأقبل أنا عليها هذا العام». إنها الصلة المتبادلة، صلة الصداقة والمحبة بين رابعة وبين الحضرة الإلهية التى ترمز إليها الكعبة. وهى أيضًا نفس الصلة بين الحلاج وبين الحضرة الإلهية.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١١٥.

لماذا لم تتهم رابعة بالكفر، وتُحاكم.. بينما حوكم الحلاج؟!.. الجواب الصريح هو خوض الحلاج فى خضم المسألة السياسية، وقيامه بثورة إصلاحية كادت تهز عرش المقتدر؛ وتزعزع نفوس رجال الدولة آنذاك، وعلى رأسهم حامد بن العباس.

الحسين بن منصور الحلاج

كتاب التفسير

أو خلق خلائق القرآن والاعتبار

مع نصوص موازية من التفسير الصوفى العرفانى لأكابر الأئمة

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ١٤.

يقول الإمـام ابن عجيـبة: فمن يرضى يقـول أحسن ما يعلم، ومن يسخط يقـول أقبح ما يعلم، وقد رأى أولئك فى أزمانهم من الأذى والتنقص وإساءة الظن بهم ما كان يقصر عنه صبـر غيـرهم، وقد أُخـرج أبو زيد البسطامى من بسطـام مراراً، ورفع الشبـلى والخواص والنورى للسلطان، وتسـتر الجنيد بالفـقه حين ضُيق علـى الفقراء، وقُـبض على الحلاج، وضُرب ومُثل به على أنه ساحر زنديق.

سورة الفاتحة

مكية، وآياتها سبع آيات.

وقد أُختلف فيها؛ فعند الأكثرين هى مكية من أوائل ما نزل من القرآن الكريم. وعند مجاهد أنها مدنية. قال الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه.

وللسورة عشرة أسماء: الفاتحة، والوافية، والكافية، والشافية، والسبع المثانى؛ لأنها سبع آيات عند الشافعى بالبسملة؛ وأسقطها مالك؛ وجعل السابعة ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾، وأم القرآن، وسورة الحمد والشكر، وسورة تعليم المسألة، وسورة الصلاة، وأساس القرآن الكريم.

﴿بِسْمِ اللَّهِ . . .﴾

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ١.

قول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ منك بمنزلة «كُن» منه، فإذا آمنت أحسنت إن تقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ تحققت الأشياء بقولك﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كما يتحقق بقوله «كن».

يقول الإمام جعفر الصادق: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الباء بقاؤه والسين أسماؤه والميم ملكه، . . والباء بهاء الله والسين سناؤه والميم مجده. والله إله كل شيء، وهو اسم تام؛ لأنه أربعة أحرف: الألف وهو عمود التوحيد، واللام الأول لوح الفهم، واللام الثانى لوح النبوة، والهاء فى الإشارة، والله هو الإسم الفرد المتفرد؛ لا يضاف إلى شيء؛ بل تضاف الأشياء كلها إليه.

ويقول الجنيد البغدادى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ هيبته. وقيل الباء فى «بسم الله» بالله ظهرت، وبه فنيت، وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره فتحت وسمحت.

ويقول ابن عطاء: الباء بره لأرواح الأنبياء بإلهام الرسالة والنبوة، والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس، والميم منته على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة. وقوله «الله» هو إظهار هيبته تعالى وكبريائه.

ويقول أبو بكر الشبلى: ما قال الله أحد سوى الله، فإن كل من قاله قاله بحظ وأنى يدرك الحقائق الحظوظ.

ويقول الإمام القشيرى: بالله ظهرت الحادثات، وبه وجدت المخلوقات. وقال: «بسم الله» ولم يقل بالله على وجه التبرك بذكر اسمه عند قوم، فورود قوله: «الله على قلب منقى وسر مصفى».

ويقول محيى الدين بن عربى: اسم الشيء ما يعرف به، فأسماء الله تعالى هى الصور النوعية التى تدل بخصائصها وهوياتها على صفات الله وذاته، وبوجودها على وجهه، وبتعينها على وحدته؛ إذ هى ظواهره التى بها يعرف. والله: اسم للذات الإلهية من حيث هى هى على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات؛ ولا باعتبار لا اتصافها.

سئل الحسن بن منصور الحلاج. هل ذكره أحد على الحقيقة؟ فقال: كيف يذكر على الحقيقة من لا أمد لكونه، ولا علة لفعله. ليس له درّاك، ولا لغيبه هتّاك، له من الأسماء معناها، والحروف مجراها. إذ الحروف مبدوعة، والأنفاس مصنوعة، والحروف قول القائل تنزه عن ذلك من الأحوال خلقه، رجع الوصف إلى الوصف، وعمى العقل عن الفهم، والفهم عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، ودار الملك فى الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، عدا قدره الظنية، وزها نوره العينية.

حكى أن أبا الحسين النورى [هو أحمد بن محمد الخراسانى البغوى الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، صحب السرى السقطى وكان الجنيد يعظمه] بقى فى منزله سبعة أيام لم يأكل، ولم ينم ولم يشربِ، ويقول فى ولهه ودهشه: الله الله، وهو قائم يدور، فأخبر الجنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظ عليه أوقاته أم لا؟ فقيل: إنه يصلى الفرائض، فقال. الحمد لله الذى لم يجعل للشيطان عليه سبيلا. ثم قال: قوموا حتى نزوره، إما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه وهو فى ولهه قال: يا أبا الحسين ما الذى دهاك؟ قال: أقول: الله الله زيدوا علىّ، فقال الجنيد: انظر هل قولك الله الله، أم قولك قولك إن كنت القائل الله فالله ولست القائل له وإن كنت تقوله بنفسك فأنت مع نفسك، فما معنى الوله. فقال: نعم الود. فسكنت وسكن عن ولهه، فكان الشبلى يقول: الله. فقيل له: لم لا يقول لا إله إلاّ الله؟. فقال: لا أنفى به ضداً.

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ٢.

ما من نعمة إلاّ والحمد أفضل منها، والحمد النبى ﷺ، والمحمود هو الله عز وجل. والحامد العبد، والحميد حاله التى توصل بالمريد.

يقول الإمام جعفر الصادق، فى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾ من حمده بجميع صفاته كما وصف نفسه فقد حمده، لأن الحمد حاء وميم ودال. فالحاء من الوحدانية والميم من الملك والدال من الديمومة، فمن عرفه بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفه.

ويقول ابن عطاء: معناه الشكر لله إذ منه الامتنان على تعليمنا إياه حتى حمدناه.

ويقول الإمام القشيرى: حقيقة الحمد الثناء على المحمود بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة، واللام هنا للجنس؛ ومقتضاها الاستغراق، فجميع المحامد لله سبحانه إما وصفا وإما خلقاً.

ويقول محيى الدين بن عربى: الحمد بالفعل، ولسان الحال هو ظهور الكمالات وحصول الغايات من الأشياء؛ إذ هى أثنية فاتحة ومدح رائعة لموليها بما يستحقه. فالموجودات كلها بخصوصياتها وخواصها وتوجهها إلى غاياتها، وإخراج كمالاتها من حيز القوة إلى الفعل مسبحة حامدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لما تجلى الحق سبحانه من عالم الجبروت إلى عالم الملكوت، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة حمد نفسه بنفسه، ومجد نفسه بنفسه، ووجد نفسه بنفسه. فقال فى تمجيد نفسه بنفسه مترجماً عن نفسه بنفسه: أنا الحامد والمحمود، وأنا القائم بكل موجود، أنا رب الأرباب، وأنا مسبب الأسباب لمن فهم الخطاب، أنا رب العالمين، أنا قيوم السموات والأرضين، بل أنا المتوحد فى وجودى، والمتجلى لعبادى بكرمى وجودى، فالعوالم كلها ثابتة بإثباتى، ممحوة بأحدية ذاتى.

سورة الفاتحة/ مكية/ الآية ٦.

فى قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال رحمه الله: طريق المحبة لك والسعى إليك. اهدنا إلى طاعتك، كما أرشدتنا إلى علم توحيدك.

ويقول الجنيد البغدادى: إن القوم إنما سألوا الهداية من الحيرة التى قدرت عليهم من أسماء صفات الأزلية، فسألوا الهداية إلى أوصاف العبودية ليلا، ليستغرقوا فى رؤية صفات الأزلية.

ويقول الإمام القشيرى: الهداية الإرشاد، وأصلها الإمالة، والمهدى من عرف الحق سبحانه، وآثر رضاه وآمن به. والأمر فى هذه الآية مضمر؛ أى اهدنا بنا، والمؤمنون على الهداية فى الحال.

ويقول محيى الدين بن عربى: ثبتنا على الهداية ومكننا بالاستقامة فى طريق الوحدة التى هى طريق المنعم عليهم بالنعمة الخاصة الرحيمية التى هى المعرفة والمحبة والهداية الحقانية الذاتية من النبيين والشهداء والصديقين والأولياء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اهْدِنَا﴾ بالتثبيت فيما هو حاصل، والإرشاد فيما ليس بحاصل، والهداية إما للعين وإما للأثر الدال على العين، ولا نهاية للأولى، فالأولى لأهل الشهود والعيان. والثانية لأهل الدليل والبرهان، فالهداية للعين هى الدلالة على الله. والهداية للأثر هى الدلالة على العمل.

سورة البقرة

مدنية، وآياتها مائتان وست وثمانون آية.

وهى أول سورة نزلت بالمدينة المنورة، وفيها ستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة. قال رسول الله ﷺ: «لكل شىء سنام، وإن سنام القرآن الكريم سورة البقرة...» وسنامه، أى: ذروته؛ لأنها اشتملت على جملة ما فيه من أحوال الإيمان وفروع الإسلام.

﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١٥.

قال الحسين بن منصور رحمه الله: أي يحسن.

يقول الإمام القشيري: يجازيهم على استهزائهم، وكذلك لما ألقى القوم أزمتهم فى أيدى الشهوات؛ استهوتهم فى أودية التفرقة، فلم يستقر لهم قدم على مقام فتطوحوا فى متاهات الغيبة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: أى يستخفهم، لأن الجهة التى هم بها ناسبوا الحضرة الإلهية فيهم خفيفة ضعيفة، فبقدر ما فنيت فيهم الجهة الإلهية ثبتوا عند أنفسهم، كما أن المؤمنين بقدر ما فنيت فيهم أينيتهم النفسانية وجدوا عند الله تعالى شتان بين المرتبتين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ بما يظهر لهم من صور الكرامات والاستدراجات، ويمدهم فى تعاطى العوائد والشهوات، وطلب العلو والرئاسات، متحيرين فى مهامه الخواطر والغفلات.

﴿...كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٠.

إذا أضاء لهم مرادهم من الدنيا والدين ألفوه، وإذا أظلم عليهم من خلاف بعقولهم قاموا مجهولين.

يقول الإمام القشيرى: من تمام مثل المنافقين؛ كذلك أصحاب الغفلات، إذا حضروا مشاهد الوعظ، أو جنحت قلوبهم إلى الرقة، أو داخلهم شىء من الوهلة تقرب أحوالهم من التوبة، وتقوى رغبتهم فى الإنابة حتى إذا رجعوا إلى تدبرهم، وشاوروا إلى قرنائهم، أشار الأهل والولد عليهم بالعود إلى دنياهم، وبسطوا فيهم لسان النصح، وهددوهم بالضعف والعجز، فيضعف قصودهم، وتسقط إرادتهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: أضاء لهم، أى: ترقوا وقربوا من قبول الحق والهدى، وأظلم عليهم، أى: ثبتوا على حيرتهم فى ظلمتهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كلما لمع شىء من الحق تعالى مشى إلى حضرته، وإذا كرت عليه الخصوم والخواطر، وأظلم عليه الحال، وقف فى الباب حيران، ولو شاء الله تعالى لذهب بعقله وسمعه وبصره، فيصرفه إلى حضرته. من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته؛ فقد استعجز القدرة الإلهية.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا . . .﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٣٤.

ولما قيل لإبليس: «اسجد لآدم» خاطب الحق تعالى، فقال: أرفع شرف السجود عن سرى إلاّك حتى أسجد له؟ إن كنت أمرتنى فقد نهيتنى، قال له: فإننى أعذبك عذاب الأبد، فقال: أو لست ترانى فى عذابك؟ قال: بلى، فقال: فرؤيتك لى تحملنى على رؤية العذاب، افعل بى ما شئت، فقال له: وإنى أجعلك رجيما، قال إبليس: أو ليس لم يحامد سوى غيرك [كذا] افعل بى ما شئت.

يقول ابن عطاء: لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم أمرهم بالسجود لغيره؛ يريهم استغناءه عنهم وعن عباداتهم.

ويقول الإمام القشيرى: السجود لا يكون عبادة لعينه عليه السلام، ولكن لموافقة أمره سبحانه، فكأن سجودهم لآدم عبادة لله تعالى؛ لأنه كان بأمره، وتعظيما لآدم لأنه أمرهم به تشريفًا لشأنه، فكأن ذلك النوع خضوع له ولكن لا يسمى عبادة، لأن حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه.

ويقول محيى الدين بن عربى: سجودهم لآدم انقيادهم وتذللهم له ومطاوعتهم وتسخرهم له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا كمل تصفية الروح، وظهر شرفها، خضع لها كل شىء، وتواضع لها كل شىء، وانقاد لأمرها من سبقت له العناية، وهبت عليه ريح الهداية، لأنها صارت آدم الأكبر، إلاّ من أبلسته المشيئة، وطردته القدره، فاستكبر عن تحكيم جنسه على نفسه، وكان من الكافرين لوجود الخصوصية، فجزاؤه حرمان شهود طلعة الربوبية، وهبوطه إلى حضيض العمومية.

﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٥٤.

ما شرع الحق إليه طريقًا إلاّ وأولته التلف. قال الله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فاقتلوا أنفسكم، فمادام يصحبك تميزك وعقلك فأنت فى عين الجهل حتى يضل عقلك، ويذهب خاطرك، وتفقد سبيل إذ ذاك «عيسى» و«لعل».

قال ابن منصور الحلاج: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ فاقتلوا أنفسكم. التوبة محو البشرية بإثبات الإلهية، وفناء النفوس عما دون الله تعالى؛ وعن الله تعالى، حتى يرجع إلى أصل العدم، ويبقى الحق كما لم يزل.

ويقول الإمام القشيرى: الإشارة إلى حقيقة التوبة بالخروج إلى الله بالكلية.

ويقول محيى الدين بن عربى: فتوبوا إلى خالقكم برفع الحجاب الأول لدلالة ذكر البارئ عليه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يا من بخس نفسه بإرخاء العنان فى متابعة هواها، حتى حرمها من مشاهدة جمال مولاها، تب إلى ربك، وانتبه من غفلتك، واقتل نفسك بمخالفة هواها، فلعلها تحظى بمشاهدة مولاها، فما دامت النفس موجودة، وحظوظها لديها مشهودة، وآمالها ممدودة، كيف تطمع أن تدخل حضرة الله، وتتمتع بشهود جماله تعالى وسناه.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٦٠.

هذا يشرب مزجًا، وهذا يشرب صرفًا، وهذا يدرك شخصًا، وهذا يلحظ أحدًا، وهذا بوصفه يحتجب، وهذا يتيه في أودية الطلب، وهذا يغرق في بحار التفكر. وهم الخارجون عن الحقيقة، الكل قصدوا بهم فضلوا.

يقول الحسن البصري: من كان رائده نفسه فمشربه الدنيا، ومن كان رائده قلبه فمشربه الآخرة، ومن كان رائده سره فمشربه الجنة، ومن كان رائده روحه فمشربه السلسبيل، ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة على المشاهدة.

ويقول الإمام القشيري: أراد الحق سبحانه أن يكون كل قوم جاريًا على سنة، ملازمًا لحده، غير مزاحم لصاحبه، فأفرد لكل سبطة علامة يعرفون بها مشربهم. فهؤلاء لا يردون مشرب الآخرين، والآخرون لا يردون مشرب الأولين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: علم كل أناس مشربهم، على حسب ما سبق لهم، فيقول الحق تعالى: كلوا من ثمرات ما اجتنيتم من العلوم والمعارف التي أوليناكم، واشربوا من مناهل المنازل التي فيها أقمناكم، أو كلوا من ثمرات المعرفة ما تتقوى به معانيكم، ولا تتعدوا أطواركم من القيام بوظائف العبودية، ومعرفة عظمة الربوبية، فتكونوا لسلب ما أولام متعرضين، ولعقوبته مستحقين.

﴿... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١١٥.

وجهه حيث توجهت، وقصده أين قصدت. قال ابن منصور الحلاج: هذا مثل إبداء الحق للخلق؛ كمثل الهلال يرى من جميع الأقطار، ويحتجب بالرسوم والآثار، فإذا ارتفعت الرسوم؛ صار ناظراً ولا منظوراً.

يقول الإمام القشيرى: مادام يبقى من الإحساس والتمييز بقية - ولو شظية - فالقبلة مقصودة، فإن لم تكن معلومة تكون مطلوبة. وعلى لسان العلم إذا اشتبهت الدلائل بكل وجهة، ولا معرفة بالقبلة. تساوت الجهات فى جواز الصلاة إلى كل واحد منها إذا لم يكن للنية ترجيح.

ويقول محيى الدين بن عربى: أى جهة تتوجهوا من الظاهر والباطن ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أى: ذات الله المتجلية بجميع صفاته، ولله الإشراق على قلوبكم بالظهور فيها والتجلى لها بصفة جماله حالة شهودكم وفنائكم، والغروب فيها بتستره واحتجابه بصورها وذواتها، واختفائه بصفة جلاله حالة بقائكم بعد الفناء. فأى جهة تتوجهوا فثم وجهه، لم يكن شىء إلاّ إيّاه وحده تعالى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الأماكن والجهات وكل ما ظهر من الكائنات؛ قائمة بأنوار الصفات، ممحوة بأحدية الذات، كان الله تعالى ولا شىء معه، وهو الآن على ما عليه كان؛ إذ لا وجود لشىء مع الله ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ محق الآثار بأفلاك الأنوار، وانمحت الأنوار بأحدية الأسرار، وانفرد بالوجود الواحد القهار.

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٥٥.

سئل ابن منصور الحلاج رحمه الله عن هذا، فقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ يقتضى شيئين، إزالة العلة عن الربوبية، وتنزه الحق عن الدرك.

يقول **أبو الحسين النورى**: لم لا تقول ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾. فقال: بل أقول: الله ولا أبغى له ضداً.

ويقول **الإمام القشيرى**: هو إخبار عن نفى النظير والشبيه، بما استوجب من التقديس والتنزيه. ومن تحقق بهذه القالة لا يرى ذرة من الإثبات بغيره أو من غيره؛ فلا يرفع إلى غيره حاجته، ولا يشهد من غيره ذرة، فيصدق إليه انقطاعه، ويديم لوجوده انفراده، فلا يسمع إلاّ من الله وبالله، ولا يشهد إلاّ بالله، ولا يقبل إلا على الله ولا يشتغل إلاّ بالله، فهو محو عما سوى الله، فما له شكوى ولا دعوى، ولا يتحرك منه لغيره عرق، فإذا استوفى الحق عبداً لم يبق للحظوظ ألبته مساغ.

ويقول **محيى الدين بن عربى**: هو فى الوجود، فكل ما عبد دونه لم تقع العبادة إلاّ له تعالى ـ علم أو لم يعلم ـ إذ لا معبود ولا موجود سواه سبحانه تعالى. و﴿الْحَيُّ﴾ الذى حياته فى عين ذاته، وكل ما هو حى لم يحيى إلاّ بحياته. و﴿الْقَيُّومُ﴾ الذى يقوم بنفسه ويقوم كل ما يقوم به، فلولا قيامه ما قام شىء فى الوجود.

ويقول **الإمام ابن عجيبة**: ﴿اللَّهُ﴾ الواجب الوجود لا يستحق العبادة غيره، فمن عبد غيره فقد أتى بظلم عظيم ﴿الْحَيُّ﴾ الدائم بلا أول، الباقى بلا زوال، الذى لا سبيل عليه للموت والفناء ﴿الْقَيُّومُ﴾ دائم القيام بتدبير خلقه فى إيصال المنافع ودفع المضار، وجلب الأرزاق وأنواع الارتقاء.

﴿... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾

سورة البقرة/ مدنية/ الآية ٢٥٥.

فى قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، فأى الشفيع إلى من لا يسعه غيره، ولا يحجبه سواه؟.. والعرش والكرسى إظهاراً للقدرة لا محلاً للذات.

يقول الإمام القشيرى: خطاب على قدر الفهم، وإلاّ فأى خطر للأكوان عند صفاته؟.. جل قدره عن التعزز بعرش أو كرسى، والتجمل بجن أو إنسى.

ويقول محيى الدين بن عربى: أى، علمه؛ إذ الكرسى مكان العلم الذى هو القلب. والكرسى فى اللغة: عرش صغير لا يفضل عن مقعد القاعد، شبه القلب به تصويراً وتخييلاً لعظمته وسعته. وأما العرش المجيد الأكبر فهو الروح الأول، وصورتهما ومثالهما فى الشاهد الفلك الأعظم، والثامن المحيط بالسموات السبع وما فيهن.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن السموات والأرض فى جانب الكرسى كحلقة فى فلاة. والكرسى فى جانب العرش كحلقة فى فلاة. وعن ابن عباس رضى الله عنه: «أن السموات فى الكرسى كدراهم سبعة فى ترس». وقيل: كرسيه علمه تعالى.

سورة آل عمران

مدنية، وآياتها مائتان آية.

وكلماتها ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمانون كلمة.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ . . .﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ١٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج لرجل: «أتشهد بى الأذان؟»، قال: «نعم». قال: ألحدث من حيث وجدت فى مشهدك حيث شهدت لله تعالى وللرسول ﷺ، ولم تفرق بينهما حتى تشهد لله تعالى بالتعظيم، وللرسول عليه السلام بالبلاغ والتسليم، عند ذلك تاهت الأسرار فيما وراء الغير ولا غير.

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ بوحدانيته وأبديته وصمديته، وشهد الملائكة وأولوا العلم له بتصديق ما شهد هو عز وجل لنفسه. ولما سُئل عن حقيقة هذه الشهادة ما هى؟ قال: هى مبنية على أربعة أركان: الأول اتباع الأمر، والثانى اجتناب النهى، والثالث القناعة، والرابع الرضا.

ويقول سهل التسترى: شهد لنفسه بنفسه وهو مشاهد ذاته، واستشهد من استشهد من خلقه قبل خلقه لهم، فكان ذلك تنبيه أنه عالم بما يكون قبل كونه، وإنه لا يتجاوز أحد من خلقه ما تجلى به.

ويقول أبو بكر الشبلى: ما قلت الله إلاّ استغفرت من ذلك، لأن الله تعالى يقول: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ فمن شهد بذلك له من الأكوان إلاّ عن أمن أو غفلة.

قال الحسين بن منصور فى قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ شهادته لنفسه أن لا صانع غيره، آمن بنفسه قبل أن يؤمن به مما وصف من نفسه، فهو المؤمن بغيبه، الداعى إلى نفسه، والملائكة مؤمنون به وبغـيبه، داعين إليه، والمؤمنون يؤمنون به وبغيبه، داعون إليه وكتبه ورسله، فـمن آمن به فقد آمن بغيبه، وكل ما فى القرآن الكريم مما يشير إلى غيبه، فإنما يشير بنفسه إلى غيبه، ولا يعلم غيبه إلا هو.

ويقـول ابن عطاء: دلنا الحق تعالى بنفسه من نفسه على نفسه بأسمائه، وفيه بيان ربوبيته وصفاته، فجعل لنا فى كلامه وأسـمائه شاهدًا ودليلاً، وإنما فعل ذلك لأن الله تعالى وحد نفسه ولم يكن معه غيره، فكان الشاهد عليه توحيده، ولا يستحق أن يشهد عليه من حيث الحقـيقة سـواه، إذ هو الشاهد فلا شـاهد معه، ثم عـاد الحق إلى شهادته، فـمن وافقت شهادته فقد أصاب حظه من حقيقة التوحيد، ومن حُرم ضَلَّ.

ويقـول مـحـيى الدين بن عـربى: طلع الوجه البـاقى، فشهـد بذاته فى مقـام الجمع على وحدانيته، إذ لم يبق شاهد ولا مشهود غيره. ثم رجع إلى مـقام التفصيل فشهد بنفسه مع غيره على وحدانيته فى ذلك المشهد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ بحكم الحقيقة. فإثبات الرسوم شريعة، ومحوها حقـيقـة، فتوحـيد أهل الرسـوم والأشكال دلالة من وراء الحجـاب، وتوحيـد أهل المحو والاضمحلال شهادة من داخل الحجاب، وتوحيد أهل الرسوم دلالة وبرهان، وتوحيد أهل المحو شهادة وعيان، أهل الدليل والبرهان عمـوم عند أهل الشهود والعيان. إثبات الرسوم إسلام وإيمان، ومحوها شهود وإحسان.

﴿... هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٦، ١٨.

فى قوله تـعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ شهادة لنفسـه أن لا صانع غيره آمن بنفسه. قـيل: أن يؤمن به بما وصف من نفسه فهو المؤمن لغـيبه، الداعى إلى نفسه والملائكة مؤمنون، أى شهد به، وبغـيبه، داعين إليه. والمؤمنون؛ مؤمنون به وبغيبه، داعون إليه وكتبه ورسله، فمن آمن به فقد آمن بغيبه. وكلّ ما فى القرآن، فما يشير إلى غيبه فإنما يشير بنفسه إلى غيبه، ولا يعلم غيبه إلاّ هو.

يقول الإمام القـشيرى: ﴿هُوَ الْعَـزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا يعقب حكمه بالـنقض، أو يعارض تقديره بالإهمال والرفض.

ويقول محيى الدين بن عربى: القاهر الذى يقهر كل شىء باعتبار الجمع فلا يصل إليه أحد فهـو «﴿الْعَـزِيزُ﴾، و﴿الْحَكِـيمُ﴾ الذى يدبر بحكمته كل شىء، فيعطيـه ما يليق به باعتبار التفصيل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يعلم أنه الموصوف بهما، وقدّم ﴿الْعَزِيزُ﴾ ليتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته.

قال المزنى رحمه الله: دخل الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله مكة، فَسُئل عن شهادة الذر للحق بالوحدانية، وعن التوحيد. فتكلم فيه حتى نسينا التوحيد، فقلنا: أهذا يليق بالحق؟. فقال: هذا يليق به من حيث رضى به نعتاً وأمراً. ولا يليق به وصفًا ولا حقيقة كما رضى بشكرنا لنعمه، وأنى يليق شكرنا بنعمه. وما دمت تشيره فلست بموحد حتى يستولى الحق تعالى على إشارتك بإفنائك عنك. قال: يبقى مشيراً ولا إشارة.

يقول الإمام القشيرى: أى عَلِمَ الله وأخبر الله وحكَم اللهّ بأنه لا إله إلاّ هو، فهو شهادة الحق للحق بأنه الحق، وأول من شهد بأنه الله : الله، فشهد فى آزاله بقوله وكلامه وخطابه الأزلى، وأخبر عن وجوده الأحدى، وكونه الصمدى، وعونه القيومى، وذاته الديمومى، وجلاله السرمدى، وجماله الأبدى. وأثبت من دلائل اليقين، وأوضح من الآيات، وأبدى البينات، فكل جزء من جميع ما خلق وفطر ومن كتم العدم أظهر، وعلى ما شاء من الصفة الذاتية حصل من أعيان مستقلة، وآثار فى شأن وجودها مضمحلة. فهو لوجوده مفصح، ولربوبيته موضح، وعلى قدمه شاهد، وللعقول مخبر بأنه واحد، عزيز ماجد، شهد سبحانه بجلال قدره، وكمال عزه.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٢٦.

﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ فتشغله به، و﴿تَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾، أى ممن اصطفيته لك، فلا تؤثر فيه أسباب الملك لأنه فى أسر الملك، و﴿تُعِزُّ مَن تَشَاءُ﴾ بإظهار عزتك عليه، و﴿تُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ باتصافه برسوم الهياكل.

يقول أبو بكر الشبلى: فى هذه الآية الكريمة الملك هو الاستغناء بالمكون عن الكونين.

ويقول الإمام القشيرى: معناها يا الله، والميم فى آخرها يدل على حرف النداء وهو «يا». فهذا تعليم الحق كيفية الثناء على الحق، أى صفته بما استحقه من جلال القدر. والملك من المخلوقين من تذلل له، . ومنزوع الملك ممن تكبر عليه، فتجمل الخلق فى تذللهم للحق، وعزهم فى محوهم فيه، وبقاؤهم فى فنائهم به.

ويقول محيى الدين بن عربى: تملك ملك عالم الأجْسام مطلقاً، تتصرف فيه لا مالك ولا متصرف ولا مؤثر فيه غيرك، فتجعله متصرفًا فى بعضه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من ملك نفسه وهواه فقد ملكه الله تعالى ملك الدارين، ومن ملكته نفسه وهواه فقد أذله الله فى الدارين، ومن ملك نفسه لله فقد مكنه الله من التصرف فى الكون بأسره، وكان حرًا حقيقة.

﴿... فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٣١.

حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، والاتصاف بأوصافه.

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله تعالى ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ قيّد أسرار الصديقين بمتابعة نبيه ﷺ لكى يعلموا أنهم وإن علت أحوالهم وارتفعت مراتبهم لا يقدرون مجاورته ولا اللحوق به.

ويقول ابن عطاء: فى هذه الآية الكريمة أمر بطلب النور الأدنى من عمى عن النور الأعلى.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بلا علة، بل هو حقيقة الوصلة، ومحبة العبد لله حالة لطيفة يجدها من نفسه، وتحمله تلك الحالة على موافقة أمره على الرضا دون الكراهية، وتقتضى منه تلك الحالة إيثاره سبحانه على كل شىء. وشرط المحبة ألا يكون فيها حظ بحال، فمن لم يغن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة شظية، ويقال شرط المحبة امتحاء كليتك عنك لاستهلاكك فى محبوبك.

ويقول محيى الدين بن عربى: ألقى الله تعالى محبته على الرسول ليسرى من باطن روح النبى ﷺ نور تلك المحبة إليه، فيكون محبوبًا لله تعالى، محباً له، ولو لم يتابعه لخالف باطنه باطن النبى صلوات الله عليه، فبعد عن وصف المحبوبية وزالت المحبية عن قلبه أسرع ما يكون، إذ لو لم يحبه الله تعالى لم يكن محبًا له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ركن من أركان الطريقة، وشرط فى إشراق أنوار الحقيقة، فمن لا اتباع له، ومن لا طريق له لا وصول له. فالرسول ﷺ حجاب الحضرة وبوابها، فمن أتى من بابه؛ بمحبته واتباعه، دخل الحضرة وسكن فيها، ومن تنكب عنها طرد وأبعد.

﴿... وَسَيِّداً وَحَصُوراً...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٣٩.

السيد من خلا من أوصاف البشرية، وأظهر بنعوت الربوبية.

يقول الإمام جعفر الصادق: السيد، المباين عن الخلق وصفاً وحالاً وخلقاً.

ويقول ابن عطاء: السيد المتحقق بحقيقة الحق، والحصور المنزه عن الأكوان وما فيها.

ويقول الإمام القشيرى: السيد من ليس فى رق مخلوق، تحرر من أسر هواه، ولم يطلب لنفسه مقامًا. وحصوراً، أى: معتقًا من الشهوات، مكيفًا أحكام البشرية مع كونه من جملة البشر، متوقيًا عن المطالبات، مانعًا نفسه عن ذلك تعززًا وتقربًا، وقيل: منعته استئصالات بواده الحقائق عليه، فلم يبق فيه فضل لحظ.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَسَيِّدًا﴾لجميع أصناف القوى ﴿وَحَصُورًا﴾ مانعا نفسه عن مباشرة الطبيعة الجسمانية وملابسة طبائع القوى البدنية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ عن شواغل الحس، مستغرقًا فى مشاهدة القرب والأنس، ينبئ بعلم الغيوب، ويصلح خلل القلوب، فإذا استعظم ذلك واستغربه، قيل له: الأمر كذلك يفعل الله ما يشاء إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون فحسبك الاشتغال بذكر الله تعالى، والغيبة عما سواه.

﴿... وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٨٣.

أخذهم عن شهود شواهدهم بخصائص الاطلاع عليهم، فمن طالع الذات أسلم طوعًا، ومن طالع الهيبة أسلم كرهاً.

يقول الإمام القشيرى: من لاحظه على غير الحقيقة، أو طالع سواه فى توهم الأهلية/ الاستحقاق؛ كراء (مُشاهد) السراب. ظنه ماء فلما أتاه وجده هباء. ومغاليط الحسبانات منقطعة مشكلة فمن حل بها نزل بواد قفر. ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لإجراء حكم الإلهية على وجه القهر عليهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الدين الحقيقى هو الانقياد إلى الله فى الظاهر والباطن، أما الانقياد إلى الله فى الظاهر فيكون بامتثال أمره واجتناب نهيه، وأما الانقياد إلى الله فى الباطن فيكون بالرضى بحكمه والاستسلام لقهره. فكل من قصّر فى الانقياد فى الظاهر، أو تسخط من الأحكام الجلالية فى الباطن، فقد خرج عن كمال الدين، فيقال له: أفغير دين الله تبغون؛ وقد انقاد له ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فإما أن تنقاد طوعًا أو ترجع إليه كرهًا.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ٩٦.

أورد الحق تعالى تكليفه على ضربين: تكليفا عن وسائط، وتكليفا بحقائق، فتكليف الحقائق بدت معارفه منه؛ وعادت إليه. وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه؛ ولم يتصل به إلاّ بعد الترقى منها إلى الفناء عنها، ومن تكليف الوسائط إظهار البيت والكعبة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، فما دمت متصلا به كنت منفصلا عنه، فإذا انفصلت عنه حقيقة وصلت إلى مظهره وواضعه، فكنت مترسماً بالبيت، متحققًا بواضعه. وهو مباركاً لمن ينزل عليه بهمة، وطالب الطرق به إلى ربه، هدى لمن اهتدى به إلى الهادى.

يقول الإمام القشيرى: البيت حجرة، والبعد مدرة، فربط المدرة بالحجرة، فالمدر مع الحجر تعزز وتقدس من لم يزل. ويقال: البيت مطاف النفوس، والحق سبحانه مقصود القلوب. والبيت ببكة حجر، ولكن لقلوب الأحباب مزعج، ولقلوب قوم مثلج مبهج. من زاره بنفسه وجد ألطافه، ومن شهده بقلبه نال كشوفاته.

ويقول محيى الدين بن عربى: من أجل ذلك جعله الحق تعالى نظيراً ومثالاً لعرشه، وجعل الطائفين به من البشر، كالملائكة ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أى، بالثناء على ربهم تبارك وتعالى، وثناؤنا على الله فى طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه. إنه البيت الذى اصطفاه الله على سائر البيوت، وله سر الأولية فى المعابد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: القلب هو بيت الرب، فما دام بيت القلب خاليًا من نور الرب اشتاق إلى حج البيت الحسى، فإذا تعمر القلب بنور سكانه؛ صار قبلة لغيره، واستغنى عن الالتفات إلى غير نور ربه عز وجل، بل صار كعبة تطوف به الواردات والأنوار، وتحفه المعارف والعلوم والأسرار، ثم يصير قطب دائرة الأكوان، وتدور عليه من كل جانب ومكان، فكيف يشتاق هذا إلى الكعبة الحسية، وقد طافت به دائرة الوجود الكونية؟

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ١٤٤.

ليس للرسول ﷺ إلاّ ما أمـر به، أو كوشف له، ألا تراه لما سُئل فيمـا يختصم الملأ الأعلى بقى حيث لم يسمع حساً ولا نطقـاً، فقال: لا أدرى، فلما غيب عنه شاهده بوقع الصفـة عليه، شاهدهم بشهود الحق، وذهب عنه صفـة آدميته، أى: لما عاين مـا أطلعه الله تعالى عليـه من مشاهدته غاب عن صـفته، لأنه صار غـير عين الآدمى؛ فتكلم صلوات الله تعالى عليه بالعلوم كلها.

يقول الإمام القشيرى: إن الرسل موقوفون حينما وقفوا، ومخبرون عما عرفوا؛ فإذا أيدوا بأنوار البصائر أطلعوا على مكنونات السـرائر بلطائف التلويح بمقدار ما أعطوا من الإشراق بوظائف البلوغ.

ويقول محيى الدين بن عربى: إنه رسول بشر، سيموت أو يقتل كحال الأنبياء قبله، فمن كان على يقين من دينه فـبصيرة من ربه لا يرتد بموت الرسـول وقتله، ولا يفتر عـما كان عليه، لأنه يجاهد لربه لا للرسول كأصحاب الأنبياء السالفين.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: لما مات الرسول عليه الصلاة والسلام؛ دهشت الناس، وتحيّرت لوقوفـهم مع شهود النعـمة، إلاّ الصديق رضى الله عنه؛ كان نـفذ من شهود النعـمة إلى شهود المنعـم، فخطب حينئذ على الناس، وقـال: «من كان يعبد محـمداً فإن محـمداً قد مات، ومن كان يعبد الله سبحانه؛ فإن الله حى لا يموت». ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، وهم الذين نفذوا إلى شهود المنعم، ولم يقفوا مع النعمة.

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ...﴾

سورة آل عمران/ مدنية/ الآية ١٩١.

سُئل الحلاج: هل فى الجنة ذكر؟. قال: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذكر. وأنشد:

كفى حزناً انى أناديك دينًا كأنى بعيداً أو كأنك غائبا

وأطلب منك الفضل من غير رغبة ولم أر مثلى زاهداً فيك راغبا

يقول الإمام جعفر الصادق: يذكرون الله تعالى قياماً فى مشاهدت الربوبية، وقعوداً فى إقامة الخدمة، وعلى جنوبهم فى رؤية الزلف.

ويقول ابن عطاء: يذكرونه قياماً بشرط قيامهم لوفاء الذكر، ويذكرونه قعوداً بقعودهم عن المخالفات، وعلى جنوبهم على كل جهة يجنبهم عليها. أى يحملهم.

ويقول الإمام القشيرى: استغرق الذكر جميع أوقاتهم؛ فإن قاموا فبذكره، وإن قعدوا أو ناموا أو سجدوا فجملة أحوالهم مستهلكة فى حقائق الذكر، والذكر عنوان الولاية، وبيان الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية، ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشأة عن الذكر.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ فى جميع الأحوال، وعلى جميع الهيئات، ﴿قِيَامًا﴾ فى مقام الروح بالمشاهدة، ﴿وَقُعُودًا﴾ فى محل القلب بالمكاشفة، «وعلى جنوبهم» أى تقلباتهم فى مكان النفس بالمجاهدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قدَّم الحق تعالى الذكر على الفكر على ترتيب السير، فإن المريد يؤمر أول أمره بذكر اللسان؛ حتى يفضى إلى الجنان، فينتقل الذكر إلى القلب، ثم إلى الروح وهو الفكر؛ ثم إلى السر وهو الشهود والعيان. وهنا يخرس اللسان، ويغيب الإنسان فى أنوار العيان.

سورة النساء

مدنية، وآياتها مائة وست وسبعون آية.

وهى ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفاً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ . . .﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ٥٩.

العبد مبتلى بالأمر والنهى، ولله تعالى فى قلبه أخطار تخطر دائما، فكلما خطر خاطر عرضه على الكتاب، فهو طاعة لله تعالى، فإن وجد فهو شفاء، وإلاّ عرضه على السنة وهو طاعة الرسول ﷺ، فإن وجد فهو شفاء، وإلاّ عرضه على سير السلف الصالحين، وهو طاعة أولى الأمر.

يقول الإمام جعفر الصادق: لابد للعبد المؤمن من ثلاث سنن: سنة الله عز وجل، وسنة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وسنة الأولياء رضوان الله عليهم أجمعين.

ويقول ابن عطاء: أى، يا أيها الذين أعطيتهم قلوباً لا تغفل عنى ولا تحجب دونى طرفة عين. وهم الذين خصصتهم ببرى ومشاهدتى.

ويقول الإمام القشيرى: قَرَنَ طاعته بطاعة الرسول ﷺ تفخيمًا لشأنه ورفعًا لقدره.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بتوحيد الصفات، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بتوحيد الذات والفناء فى الجمع، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بمراعاة حقوق التفصيل فى عين الجمع وملاحظة ترتيب الصفات بعد الفناء فى الذات، ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ممن استحق الولاية والرياسة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أولو الأمر عند الصوفية هم شيوخ التربية العارفون بالله تعالى، فيجب على المريدين طاعتهم فى المنشط والمكره، وفى كل ما أمرو به، فمن خالف لم يفلح أبدًا، فإن تعارض أمر الأمراء وأمر الشيوخ، قدَّم أمر الشيخ إلاّ لفتنة فادحة، فإن تنازعتم يا معشر الفقراء فى شىء من علم الشريعة أو الطريق، فردوه إلى الكتاب والسنة.

﴿ . . . لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ . . . ﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ٨٣.

استنباط القرآن المجيد على مقدار تقوى العبد فى ظاهره وباطنه وتمام معرفته؛ وهذا أجلُّ مقامات الإيمان.

يقول الإمام القشيرى: لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم من ينقل إليه أسرارهم؛ فأظهروا السر بعضهم لبعض. فأما المؤمنون فعالم أسرارهم مولاهم، وما يسنح لهم خاطبوه فيه فلم يحتاجوا إلى إذاعة السر لمخلوق؛ فسامع نجواهم الله، وعالم خطابهم الله. ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ ﴾ مع أوليائه لهاموا فى كل واد من التفرقة كأشكالهم فى الوقت.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أشغل الله تعالى علماء الظاهر بتقرير علم الفرق، وهى بطالة وخلل عند أهل الباطن. ولولا اشتغالهم بذلك لتعطلوا وتبطلوا، إذ لا قدرة لهم على عمل القلوب من الفكرة والنظرة، لكن العارفون يقرون لهم ذلك، ويحتجون لهم بما فى نشر العلم من الأجور، من الكتاب والسنة، لأنهم قاموا بنظام علم الحكمة ورفعوا علم الشريعة، ولولا قيامهم بذلك لتعين على أهل الباطن، فتشوش عليهم قلوبهم.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ . . .﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٠٢.

ليس لله تعالى مقام ولا شهود فى ناديه، ولا استهلاك فى حيزه، ولا ذهول فى عظمه يقطع عن آداب الشريعة، ولا له موقف أوقف فيه الموحدين أشهدهم الشريعة، فصح أن جزناها بها عليهم علمًا للغير لا لهم، ومما يصحح هذا قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، فجعل إقامته للصلاة أدباً لهم، وهو فى الحقيقة فى عين الحصول، ولا يرجع إلى غير الحق تعالى فى متصرفاته، ولا يشهد سواه فى سعاياته.

يقول الإمام القشيرى: فى هذه الآية الكريمة دلالة على أن الصلاة لا ترتفع عن العبد مادام فيه نفس من الاختيار؛ لا فى الخوف ولا فى الأمن، ولا عند غلبات أحكام الشرع إذا كنت بوصف التفرقة، ولا عند استيلاء سلطان الحقيقة إذا كنت بعين الجمع.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا كنت فى جند الأنوار، وأحدقت بك حضرة الأسرار، ثم نزلت إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فلتقم طائفة من تلك الأنوار معك، لتحرسك من جيش الأغيار وجند الأكدار، حتى يكون رجوعك إلى الآثار مصحوباً بكسوة الأنوار وحلية الاستبصار، فيكون رجوعك إليها بالله لا بنفسك، فإذا سجد القلب فى الحضرة كانت تلك الأنوار من ورائه والأسرار من أمامه، ولتأت طائفة أخرى لم تصل هذه الصلاة، لأنها لم تبلغ هذا المقام، فلتصل معك اقتباسًا لأنوارك، لكن تأخذ حذرها وتبتعد عن خواطر الأشغال، كى لا تميل عليهم فتفتنهم عن الحضور مع الكبير المتعال.

﴿... وَاتَّخَذَ ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٢٥.

اتخذه خليلا ولا صنع لإبراهيم فيه، وذلك موضع المنة، ثم أثنى عليه بالخلة؛ وذلك فعل الكرام.

يقول ابن عطاء: اتخذه خليلا فلم يخالل سرائره شيئا غيره، وذلك حقيقة الخلة، وأنشد:

قد تخللت مسلك الروح منى   وبـذا سمـى الخليل خليلا

فإذا مـا نطقت كنت حـديثى   وإذا ما سكت كنت الغليلا

ويقول الإمـام القشـيرى: جرّد الحديث عن كل سعى وكـد وطلب وجهد، فعُلِمَ أن الخلة لبسة يلبسها الحق لا صفة يكتسبها العبد.

ويقول محـيى الدين بن عربى: يخاله، أى: يداخله فى خلال ذاته وصـفاته بحيث لا يذر منها بقية، أو يسد خلله ويقوم بدل ما يفنى مـنه عند تكميله وفقره إليه. فالخليل وإن كان أعلى مرتبـة من الصفى، لكنه أدون من الحبـيب، لأن الخليل محب يوشك أن يتوهم فـيه بقية غيرية، والحبيب محبوب لا يتصور فيه ذلك. ولهذا ألقى فى نار العشق دونه.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: اصطفاه وخصه بكرامة تشـبه كرامة الخليل عند خليله، وسمى خليلاً لأنه قد تخللت مـحبة الله فى جميع أجـزائه. فمن انقاد بكليته إلى مـولاه فلا أحد أحسن منه عند الله، ومن تخلق بخلق الحبيب كان أقرب إلى الله من كل قريب.

﴿... أَيبتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ ...﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٣٩.

من اعتز بالعزيز أعزه، ومن اعتز بغير الحق سبحانه تعالى فبعزه أذله.

يقول أبو سعيد الخراز: العارف بالله تعالى لا يرى العز إلاّ منه.

ويقول سهل التسترى: العزة بمعنى النعمة.

ويقول الإمام القشيرى: طلب العز فى ذل القهر؛ وأسر القبضة. أم حسبان ذلك وتوهمه من غير الله، ومن طلب الشىء من غير وجهه فالإخفاق غاية جهده، ومن رام الغنى فى مواطن الفاقة فالإملاق قصارى كده.

ويقول محيى الدين بن عربى: التعزز بهم فى الدنيا والتقوى بما لهم وجاههم فلا سبيل إلى ذلك، وهم قد أخطأوا لأن العزة كلها صفة من صفات الله تعالى منيع القوى والقدر، له قوة القهر والغلبة للكل، فبقدر القرب منه وقبول نوره وقوته والاتصاف بصفاته تحصل العزة فهى بأهل الإيمان أولى وأهل الحجاب والكفر بالزلة أولى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: العز إنما يكون بعز التوحيد والإيمان، وعزة المعرفة والإحسان، وبصحبة أهل العرفان الذين تعززوا بعز الرحمن، فمن تعزز بعز يفنى مات عزه. ومن تعزز بعز يبقى دام عزه، والشبكة التى يصطاد بها العز هو الذل لله تعالى، يظهره بين عباد الله.

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ . . .﴾

سورة النساء/ مدنية/ الآية ١٤٧.

ما يفعل الله عز وجل بتعذيبكم أنفسكم فى أنواع المجاهدات إن شكرتم، أن طالعتم برى وإحسانى إليكم وآمنتم. قطعتم الهمم عمن سواى.

يقول الإمام القشيرى: هذه الآية الكريمة من الآيات التى توجب حسن الرجاء وقوة الأمل، لأنه تعالى جعل من أمارات الأمان من العقوبات شيئين اثنين: الشكر والإيمان، وهما خصلتان يسيرتان خفيفتان؛ فإن الشكر قالة، والإيمان حالة. ولقد هوّن السبيل على العبد حين رضى منه بقالته وحالته، والشكر لا يصح إلاّ من المؤمنين؛ فأما الكافر فلا يصح منه الشكر؛ لأن الشكر طاعة؛ والطاعة لا تصح من غير المؤمن. وقوله تعالى: ﴿آمَنتُمْ﴾ يعنى فى المآل؛ فكأنه بيّن أن النجاة إنما تكون لمن كانت عاقبته على الإيمان. والشكر شهود النعمة من الله، والإيمان رؤية الله فى النعمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الإخلاص من أعمال القلوب؛ فلا يطّلع عليه إلاّ علاّم الغيوب. ولا يجوز أن يحكم على أحد بالرياء بمجرد ما يرى عليه من الإظهار، وقد تدخل الرياء مع الأسرار، وتتخلص من القلب مع الإظهار. فإذا تخلص العبد من دقائق الرياء، وأصلح ما بينه وبين الله، واعتصم به دون شىء سواه، كان مع المخلصين المقربين، فيكون عمله موفوراً، وسعيه مشكوراً.

سورة المائدة

مدنية/ وآياتها مائة وعشرون آية.

وهى ألفـان وثمان مـائة وأربع كلمـات، وقرأها الـنبى ﷺ، نزلت فى حجـة الوداع. وهى مكملة لما تضـمنته سورة النساء.

﴿... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٢.

يصح للمتوكل الكسب بنية المعاونة كما قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتقوى﴾، ويصح له ترك الكسب بحقيقة الله تعالى له، ومن خالف فى العقد كسباً أو تركاً فقد أخطأ.

يقول **سهل التسترى**: البر: الإيمان. والتقوى: السنة. والإثم: الكفر. والعدوان: البدعة.

ويقول **الإمام القشيرى**: البر فعل ما أمرت به، والتقوى ترك ما زجرت عنه. والمعاونة على البر بحسن النصيحة وجميل الإشارة للمؤمنين، والمعاونة على التقوى بالقبض على أيدى الخاطئين بما يقتضيه الحال من جميل الوعظ، وبليغ الزجر، وتمام المنع على ما يقتضيه شرط العلم. أى: الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذى يقتدى بك فيه.

ويقول **محيى الدين بن عربى**: بتدبير تلك القوى وسياستها بالإحسان إليها بحقوقها ومنعها من حظوظها أو بمراعاة الأهلين والأقارب والأصدقاء بمواساتهم والإحسان إليهم، والمعروف فى حقهم مع مخالفتهم إلى ما يمنعكم عنه والاجتناب عن ذلك.

ويقول **الإمام ابن عجيبة**: يجب على العبد كف أذاه عنهم وحمل الجفا منهم، وألاّ ينتقم لنفسه ممن آذاه منهم، ولا يحمله ما أصابه منهم على أن يعتدى عليهم ولو بالدعاء، بل إن وسع الله تعالى صدره بالمعرفة قابلهم بالإحسان، ودعا لعدوه بصلاح حاله؛ حتى يأخذ الله بيده، وهذا مقام الصديقية العظمى والولاية الكبرى، وهذا غاية البر والتقوى الذى أمر الله تعالى بالتعاون عليه، والاجتماع إليه، دون الاجتماع على الإثم والعدوان.

﴿... وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٢٠.

أى أحراراً من رق الكون وما فيه.

يقول سهل التسترى: ملوكاً، مالكين لأنفسكم ولا كملككم نفوسكم وأنشد:

ما ملكت نفسى وذاك ملك   ما مثله للأنام ملك

فصار حراً يملك نفسى   فما خلف علىّ ملك

ويقول الإمام القشيرى: الملك من ملك هواه، والعبد من هو فى رق شهواته. وقال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ لم يخرجكم إلى أمثالكم، ولم يحجبكم عن نفسه بأشغالكم، وسهل إليه سبيلكم فى عموم أحوالكم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من رزقه الله من يأخذ بيده ومن يستعين به على ذكر ربه، فليذكر نعمة الله تعالى عليه، فقد أسبغ الله عليه نعمة ظاهرة وباطنة. وكل من ملك نفسه وهواه وأغناه الله عما سواه، فهو ملك من الملوك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١، ٢، ٨، ١١، ٣٥.

دخل خادم الحسين بن منصور الحلاج إليه فى الليلة التى وعد من الغد قتله، فقال له: أوصنى. قال: هى نفسك.. عليك بنفسك، إن لم تشغلها شغلتك.

يقول الإمام جعفر الصادق: فيه أربع خصال: نداء وكناية وإشارة وشهادة. يا: نداء، وأى: خصوص نداء، وها: كناية، والذين: إشارة، وآمنوا: شهادة.

ويقول ذو النون المصرى: علاقة المؤمن خلع الراحة وإعطاء المجهود فى الطاعة ومحبة سقوط المنزلة.

ويقول ابن عطاء: أى، يا أيها الذين أعطيتهم قلوبا لا تغفل عنى، ولا تحجب دونى طرفة عين. وهم الذين خصصهم المولى ببره ومشاهدته لا يكونون كمن أعماهم عن مشاهدته ومطالعة بره تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: من أمارات السعادة الوقوف على حد الأمر؛ إن أباح الحق شيئاً قبله؛ وقابله بالخشوع، وإن حظر شيئاً وقف ولم يتعرض للجحود.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالتزكية.

ويقول أبو العباس المرسى: كل من لا يكون له فى هذا الطريق شيخ لايفرح به ولو كان وافر العقل منقاد النفس، واقتصر على ما يلقى إليه شيخ التعليم فقط، فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى.

﴿... وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٣٥.

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ التى كانت منى إليكم، لا منكم إلىّ، فالوسيلة منه إليك من غير سبب ولا سؤال.

يقول الإمام جعفر الصادق: اطلبوا منه القربة.

ويقول ابن عطاء: الوسيلة هى القربة بآداب الإسلام وأداء الفرائض لدخول الجنة والنجاة من النار.

ويقول الإمام القشيرى: ابتغاء الوسيلة هو التبرى عن الحول والقوة، والتحقق بشهود الطول والمنة، والتقريب إليه بما سبق من إحسانه. والوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة، واختياره لك بالجميل؛ وخلوص العقل عن الشك، وابتغاء الوسيلة استدامة الصدق بالولاء إلى آخر العمر، وتجريد الأعمال عن الرياء، وتجريد الأحوال عن الأعجاب، وتخليص النفس عن الحظوظ.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ بالتحلية.

ويقول الامام ابن عجيبة: لا وسيلة أقرب من صحبة العارفين، والجلوس بين أيديهم وخدمتهم، والتزام طاعتهم، فمن رام وسيلة توصله إلى الحضرة غير هذه فهو جاهل بعلم الطريق.

﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ٥٤.

البقاء مقام النبيين عليهم السلام أُلبسوا السكينة، لا يمنعهم ما حل عن فرضه ولا عن فضله.

يقول أبو بكر الوراق: الجهاد ثلاثة. جهاد مع نفسك، وجهاد مع عدوك، وجهاد مع قلبك. والجهاد فى سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا تتمكن منه الغفلة بحال، وجهاد النفس لا تفتر عن الطاعة بحال، وجهاد الشيطان أن لا يجد منك فرصة فيأخذ منك بحظه.

ويقول الجنيد البغدادى: الناس فى مجاهداتهم ثلاثة: نفر مرتبطون بأفعالهم وصفاتهم. ونفر غلبت صفات الله على سرائرهم، فهم ينظرون إلى السبق وإلى ما جرى به من الحكم. ونفر تجلى الله تعالى لقلوبهم فخشعت عما سواه، فهم لا يدركون صفاتهم وأعمالهم ولا يدركون صفات الحق انقطاعًا إلى الله عز وجل واتصالاً به.

ويقول الإمام القشيرى: بيّن سبحانه أن الجميع إليه لا منهم؛ فقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ متفضل عليم بمن يختص ذلك من عبيده.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ليس للمحبة طريق إلاّ محض الفضل والكرم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لكن صحبة المحبوبين عند الله من أسبابها العادية، وهم أولياء الله الذين هم حزب الله، فولايتهم والقرب منهم من أسباب القرب والمحبة، ومن موجبات النظر والغلبة.

﴿... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١١٦.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾، لأنك أوجدته، ولا أعلم ما فى نفسى لك، ولا أعلم ما فى نفسك لبعد الذات عن الدرك.

يقول الإمام القشيرى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ أى: علمك محيط بكل معلوم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ لإحاطتك بالكل، فعلمى بعض من علمك، ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أى: ذاتك لأنى لا أحيط بالكل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تعلم ما أخفيته فى نفسى، كما تعلم ما أعلنته، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك.

﴿... هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ ...﴾

سورة المائدة/ مدنية/ الآية ١١٩.

فى هذه الآية الكريمة: إذا قابل الصادق ربه بصدقه، وجهل أمر ربه، وطالب ربه عز وجل بحظه ووعده، فطالبه ربه بصدق صدقه، فأفلسه من رتبته، وأبعده عما قصده. وإنما ينفع صدقه من لقيه بالإفلاس أيقن أنه كان مستعملا تحت حكمه وقبضته.

يقول ذو النون المصرى: ثلاثة من أعلام الصدق: ملازمة الصادقين، والسكون عند نظر المتفرسين، ووجدان الكراهية لتغير السر لرب العالمين.

ويقول ابن عطاء: تنفعهم إرادتهم فى بيان أحوالهم بجوارحهم.

ويقول الإمام القشيرى: من تعجل ميراث صدقه فى دنياه من قبول حصل له من الناس، أو نفع وصل إليه من جاه أو مال. فلا شىء له فى آجله من صواب صدقه، لأن الحق سبحانه نص بأن يوم القيامة ينفع فيه الصادقين صدقهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿هَذَا يَوْمُ﴾ نفع صدقك إياك، وصدق كل صادق لكونه خميرة الكمالات وخاصية الملكوت.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ينتفع الصادقون فى الدنيا بصدقهم، ويتضرر الكاذبون على الله بكذبهم. والمراد بالصادقين أهل التوحيد، الذين نزهوا الله تعالى عما لا يليق بجلاله وجماله، فصدقوا فيما وصفوا به ربهم. فإن كان مقصوده بالتصدّر للتعظيم والأمر به، حظ نفسه وفرح بتربية جاهه والإقبال عليه، افتضح وأُهين بما افتضح به الكاذبون المدعون.

سورة الأنعام

مدنية/ وآياتها مائة وخمس وستون آية.

وهى مكية غيـر ست آيات أو ثلاث. وقيل: الأنعام كلها مكيـة إلاّ آيتين نزلتا بالمدينة.

﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ . . .﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٢.

ردهم إلى قيمتهم فى أصل الخليقة، ثم أوقع عليهم نور السيد وخاصية الخليقة، فتميزوا بذلك عن جملة الحيوانات بالمعرفة والعلم واليقين.

ويقول الإمام القشيرى: أثبت الأصل من الطين، وأودعها عجائب السر، وأظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق، فالعبرة بالوصل لا بالأصل؛ فالوصل قربة والأصل تربة، والأصل من حيث النطفة والقطرة، والوصل من حيث القربة والنصرة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ المادة الهيولانية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: القوالب من الطين، والأرواح من نور رب العالمين، فالطينية ظرف لنور الربوبية الذى هو الروح؛ لأن الروح نور من أنوار القدس، وسر من أسرار الله، فمن نظف طينته ولطفها ظهرت عليها أسرار الربوبية والعلوم اللدنية، وكُشف للروح عن أنوار الملكوت وأسرار الجبروت، وانخنست الطينية، واستولت عليها الروح النورانية.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج: القاهرية تمحو كل موجود.

يقول الإمام القشيري: فوق عباده بالقهر والرفعة، وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإنزال العقوبة عليهم والسخطة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربي: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بإفنائهم ذاتا وصفة وفعلاً بذاته وصفاته وأفعاله، فيكون قهره عين لطفه كما لطف بهم بإيجادهم وتمكينهم وإقدارهم على أنواع التمتعات وهيأ لهم ما أرادوا من أنواع النعم والمشتهيات فحجبوا بها عنه وذلك عين قهره. فسبحان الذي اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته واشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ لجميع خلقه كلهم في قبضته، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ بهذه القهرية والغلبة والقدرة. وفي الآية الكريمة حض على محبة الحق، وولايته على الدوام، ورفض كل ما سواه ممن عمه الفقر من الأنام.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٩.

لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد به فى الأزل لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ....﴾.

يقول الإمام القشيرى: غلبت شهادة الحق سبحانه كل شهادة، فهم إذا أقبلوا يشهدون فلا يحيط بحقائق الشىء علومهم، والحق سبحانه هو الذى لا يخفى عليه شىء، ثم أخبره ﷺ أنه مبعوث إلى الكافة ومن سيوجد إلى يوم القيامة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: فى الآية الكريمة حث على الاكتفاء بعلم الله تعالى، والاستغناء به عما سواه، واعلم أن الحق تعالى إذا شهد لك بالخصوصية، ثم اكتفيت بشهادته فأنت من أهل الخصوصية، وإن لم تكتف بشهادته، وتطلعت إلى أن يعلم الناس بخصوصيتك، فأنت كاذب فى دعوى الخصوصية. واطلاع الحق تعالى على ثبوت خصوصيتك هو شهادته لك، فاقنع بعلم الله، ولا تلتفت إلى أحد سواه.

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٥٣.

قال فى معنى الآية الكريمة: قطع الخلق بالخلق عن الحق، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا...﴾.

يقول أبو بكر الوراق: هى فتنة الرجل بولده وزوجته، والاشتغال بهم وبأسبابهم، وقد ذُكر عن بعض السلف أنه قال: ما شغلك عن الله تعالى فهو مشئوم، وهو بلاء وفتنة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ أى: مثل ذلك الفتن والابتلاء العظيم، ﴿فتنا بَعْضَهُم﴾ وهم المحجوبون بالبعض، فإن المحجوبين لما لم يروا منهم إلاّ صورتهم وسوء حالهم فى الظاهر وفقرهم ومسكنتهم، ولم يروا قدرهم ومرتبتهم وحسن حالهم فى الباطن، استحقروهم وازدرتهم أعينهم بالنسبة إلى ما هم فيه من المال والجاه والتنعم وخفض العيش.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ومثل ذلك الاختبار، وهو اختلاف أحوال الناس فى أمر الدنيا ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أى: ابتلينا بعضهم ببعض فى أمر الدين، فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان.

﴿لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ . . .﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٦٧.

فى قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أى: لكل دعوى كشف.

يقول **الإمام القشيرى**: يعنى قل لهم إنما علىّ تبليغ الرسالة، فأما تحقيق الوصلة بالوجود والحال فمن خصائص القدرة وأحكام المشيئة الأزلية.

ويقول **الإمام ابن عجيبة**: الله هو الحفيظ ﴿لِّكُلِّ نَبَأٍ﴾ أى: خبر بعذاب أو إيعاذ به ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ أى: وقت استقراره ووقوعه، يعرف عند انقضائه صدقه من كذبه ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحل بكم عند وقوعه فى الدنيا والآخرة.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا . . .﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٠.

لا تلاحظ من شَغَلَهم خلقنا عنا، وأنسوا بحياتهم فى دنياهم، وهو فى الحقيقة موت، والحى من يكون به حيًا.

يقول الإمام القشيرى: أى كِلْهم وما اختاروه فإنا اعتدنا لهم «من خفى المكر ما إذا أحللناه بهم كسرنا عليهم» خمار الوهم والغلظة.

ويقول محيى الدين بن عربى: أترك الذين دينهم وعادتهم الهوى واللهو، لأنهم لا يرفعون بذلك رأسا لرسوخ ذلك الاعتقاد فيهم، واغترارهم بالحياة الحسية، وأعرض عنهم وانذر بالقرآن كراهة أن تحجب نفس بكسبها، أى: لا يكون دينها وديدنها ذلك ولم ترسخ تلك العقيدة فيها، لكن ترتكب بالميل الطبيعى أفعالاً مثل أفعالهم، فتحجب بسببها فإنها تتأثر به وتتعظ فتنتهى، فانذرها حتى لا تصير مثلهم؛ فتحبس بعملها عن الهداية، وحينئذ لا يقبل منها فدية إذ حجبت بكسبها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بنوا أمر دينهم على التشهى، وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلاً وآجلاً، كعبادة الأصنام واتخاذ البحائر والسوائب، أو اتخذوا دينهم الذى كلفوا بالدخول فيه لعبًا ولهوًا، حيث سخروا به، أى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم.
تقدم مراراً التحذير من مخالطة أهل الخوض وصحبة العوام، وكل من ليس من جنس أهل النسبة، فإن ألجأه الحال إلى صحبتهم فليذكرهم ويعظهم، وينهضهم إلى الله بمقاله أو حاله ما استطاع.

﴿... قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٣.

هو الحق، ولا يظهر من الحق إلاّ الحق، قال الله تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ...﴾.

ويقول الإمام القشيري: يعني أنه لا يعترض على قدرته سبحانه حدوث مقصود، ولا يتقاصر حكمه عن تصريف موجود.

ويقول محيي الدين بن عربي: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أي في ذلك الوقت سيما سرمدي إرادته التي اقتضت وجود المبدعات على ما هي عليه ثابتة في حالها؛ غير متغيرة، اقتضت ما اقتضت على أحسن ما يكون من النظام والترتيب، وأعدل ما يكون من الهيئة والتركيب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾حاصل يوم يقول للبعث والحشر: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ أي: انفرد الملك له يوم ينفخ في الصور فيقول: لمن الملك اليوم؟ فلا يُجاب. فيقول: لله الواحد القهار.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ . . .﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٧٦.

فى تفسير هذه الآية الكريمة، أنشد النصر أباذى من شعر الحلاج:

إن شمس النهار تطلع بالليل وشمس القلوب ليس تغيب

يقول الإمام القشيرى: يعنى أحاطت به سُتر وظلمات الطلب، ولم ينجل له بعد صباح الوجود.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: فلما أظلم عليه ليل عالم الطبيعة الجسمانية فى صباه وأول شبابه، «رأى» كوكب ملكوت الهيكل الإنسانى التى هى النفس المسماة روحًا روحانية، وجد فيضه وحياته وربوبيته منها، إذ كان الله تعالى يريه فى ذلك الحين باسمه المحيى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لما كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب والقمر والشمس، أراد أن يرشدهم إلى التوحيد من طريق النظر والاستدلال ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ أى: ستره بظلامه، فلما كُوشف إبراهيم عليه السلام بعالم الملكوت، رأى الله تعالى فى الأشياء كلها.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٩١.

كيف يقدره أحد حق قدره، وهو بقـدره يريد أن يقدر قدره، ولو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم عند كل وارد يرد عليهم من صنعـه، وأوصاف الحدث أين يقع من أوصاف القدم.

يقول الإمـام القشـيرى: من توهم أن العلوم تحيط بجلاله فالإحاطة غـير سائغة فى نعته، كما أن الإدراك غير جائز فى وصفه؛ كما أن الإشراف محال على ذاته.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: مقادير المحسوسات من الأعمال أوزان؛ وبالأوزان عرفت الأقدار. وما عرفوه حق معرفته؛ إذ بالغوا فى تنزيهه حتى جعلوه بعيداً عن عباده بحيث لا يمكن أن يظهر من علمه وكلامه عليهم شىء، ولو عرفـوه حق معرفته لعلموا أن لا وجود لعباده ولا لشىء آخر إلاَّ به.

ويقول الإمـام ان عجيـبة: ما عرفوه حق معرفتـه فى الرحمة والإنعام على العباد بالوحى وغيره، إذ لو عرفـوه لهابوا أن ينكروا بعثه الرسل، أو ما جسـروا على هذه المقالة، أو ما عظموه حق تعظيمه. حيث كـذبوا رسله وأنكروا أن يكون أنزل عليهم كتابًا، إذ لو عظموه حق تعظيمه لصدّقوا الرسول الوارد عنه.

﴿... قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ...﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ٩١.

دعا الله تعالى خواصه بهذه الآية إلى الانقطاع عن كشف ما له إلى الكشف عما به، وقد قال الله عز وجل إلى جريان السر: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ فى سرك؛ وذر ما فى لسانك».

يقول ابن عطاء: لأنهم لله لا لشىء دونه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾. وقد ينكر عليهم من لم يفهم إشارتهم، تجمدًا ووقوفًا مع الظاهر.

ويقول أبو بكر الشبلى: عليك بالله تعالى، ودع ما سواه، وكن معه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

ويقول الإمام القشيرى: يعنى صرّح بالإخبار عن التوحيد، ولا يهولنك تماديهم فى الباطل، فإن تمويهات الباطل لا تأثير لها فى الحقائق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ استشهد به الصوفية فى طريق الإشارة على الانفراد والانقطاع إلى الله، وعدم الالتفات إلى ما عليه الناس من الخوض والاشتغال بالأغيار والأكدار، والخروج عنهم إلى مقام الصفا، وهو شهود الفردانية، والعكوف فى أسرار الوحدانية.

﴿... وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

سورة الأنعام/ مكية/ الآية ١٠٣.

فى قوله تعالى: ﴿اللَّطِيفُ﴾، لطف عن الكنه فأنى له وصف، ومن لطفه ذكره لعبده فى الدهور الخالية، إذ لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية قبل سبق الوقت وإظهار الكونين وما فيهما، فهذا معنى اللطيف.

يقول الإمام القشيرى: قدّس الصمدية عن كل لحوق ودرك، فأنى بالإدراك ولا حد له ولا طرف؟! ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ الذى لا يخفى عليه شىء، ﴿الْخَبِيرُ﴾ الذى أحاط علمه بكل معلوم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يحيط علمه بالأبصار؛ إذ لا تخفى عليه خافية ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فيدرك ما لا تدركه الأبصار، ويجوز أن يكون تعليلاً للحكمين السابقين على طريق اللطف. لأنه اللطيف، وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير، فيكون اللطيف مقابلاً للكثيف، لا يُدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها.

سورة الأعراف

مكية/ وآياتها مائتان وخمس آية.

وهى مكية إلاّ ثمانى آيات.

﴿الٓمٓصٓ﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١.

وفى قوله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ﴾، الألف ألف الأزل، واللام لام الأبد، والميم بينهما، والصاد اتصال من اتصل به، وانفصال من انفصل عنه، وفى الحقيقة لا اتصال ولا انفصال،، وهى ألفاظ تجرى على حسب العبارات، ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبارات. وقل: الألف ألف المألوف، واللام لام الآلاء، والميم ميم المُلك، والصاد صاد الصدق،.. وقال: فى القرآن الكريم علم كل شىء، وعلم القرآن فى الأحرف التى فى أوائل السور، وعلم الأحرف فى لام ألف، وعلم لام ألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية فى الأزل، وعلم الأزل فى المشيئة، وعلم المشيئة فى غيب الهو، وغيب الهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

يقول ابن عطاء: لما خلق الله تعالى صورة الأحرف؛ جعل لها سراً. فلما خلق آدم عليه السلام، بث فيه ذلك السر؛ ولم يبثه فى الملائكة. وفجرت الأحرف على لسان آدم بفنون الجريان وفنون اللغات. فجعله الله صورة لها.

ويقول أبو محمد الجريرى: إن لكل حرف ولفظ من الحروف مشرباً وفهماً غير الآخر. ومن شرح ذلك ﴿الٓمٓصٓ﴾: الألف للفهم فى محضرهم استماع إلى حسن مخرج؛ وطعم عذب موجود، ونظر إلى المتكلم، وكذلك اللام حسن استماع من مخرج غير الألف، وطعم فهم موجود؛ وكذلك الميم حسن استماع من مخرج غير اللام، وطعم فهم موجود، والصاد حسن استماع إلى حسن مخرج، وطعم فهم موجود غير الميم، فممزوج ذلك كله بملاحظة متكلمة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿الٓمٓصٓ﴾ الألف إشارة إلى الذات الأحدية، واللام إلى الذات مع صفة العلم، والميم إلى التميمة الجامعة التى هى معنى محمد ﷺ؛ أي: نفسه وحقيقته، والصاد إلى الصورة المحمدية التى هى جسده وظاهره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هذه الآية الكريمة رمز إلى ذكر بعض حروف المحبوب، اتقاء الرقباء..

﴿... رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٣.

قال الحسين بن منصور الحلاج: الظلم هو الاشتغال بغيره عنه.

يقول ابن عطاء: ظلمنا أنفسنا باشتغالنا بالجنة وطلبها عنك.

ويقول أبو بكر الشبلي: ذنوب الأنبياء تؤديهم إلى الكرامة والرتب، كما كان ذنب آدم عليه السلام أداه إلى الأجتباء والاصطفاء، وذنوب الأولياء تؤديهم إلى الكفارة، وذنوب العامة تؤديهم إلى الإهانة.

ويقول الإمام القشيري: اعترفا بالظلم جهراً، وعرفا الحكم فى ذلك سرًا؛ فقولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ اعتراف بالظلم من حيث الشريعة، وعرفان بأن المدار على الحكم من حيث الحقيقة؛ فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة، ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة.

ويقول محيى الدين بن عربى: هو لتنبه النفس الناطقة على نقصانها من جهة الطبيعة وانطفاء نورها وانكسار قوتها، وحصول الداعى فيها على طلب الكمال بالتجرد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ حين صدرناها للمعصية، وتعرضنا للإخراج من الجنة. فكل ما نهى الله تعالى عنه فهو شجرة آدم، فمن دخل جنة المعارف، ثم غلبه القدر فأكل من تلك الشجرة، وهى شجرة سوء الأدب. أُخرج منها، فإن كان ممن سبقت له العناية أُلهم التوبة، فتاب عليه وهداه، وأهبطه إلى أرض العبودية، ليكون خليفة الله تعالى فى أرضه.

﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٩.

فى قـوله عـز وجل: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، أى: لا تغـتروا بما يجـرى من الأعمال، لأن الأعمال قد توافق الخلقة أو تخالفها.

يقول أبو الحسين النورى: تجرى عليكم فى الأبد ما قضينا به عليكم فى الأزل.

ويقول ابن عطاء: ابتدأ خلقه إبليس على الكفر والخلاف، ثم استعمله بأعمال المطيعين بين الملائكة والمقربين، ثم رده إلى ما ابتدأه عليه من الخلاف.

ويقول الإمام القـشيرى: من كانت قسمته سبحانه له بالسعادة كانت فطرته على السعادة، وكانت حالته بنعت السعـادة، ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقـبته إلى السعادة، ومن كانت القسمة له بالعكس فالحالة ضد.

ويقول مـحيى الدين بـن عربى: بدأنا على غير مثال، كذلك يعـيدنا على غير مثال. ولـم يبعـد عليه أن يكون الشـخص فى أماكن مخـتلفة فى الزمن الواحـد، وهذا أمر تستـحيله العقول، ويشهد بصحته الكشف. فهو محال عقلاً، وليس بمحال نسبة إلهية. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ بإظهاركم واختفائه ﴿تَعُودُونَ﴾ بفنائكم فيه واختفائكم ليظهر.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: لا تعبدوا معه غيـره، فإنكم راجعون إليه﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٩٩.

لا يأمن المكر إلاّ من هو غريق فى المكر فلا يرى المكر به مكراً. وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر فى جميع الأحوال، إذ السوابق جارية؛ والعواقب خفية. وقال أيضا: من لا يرى المكر تلبيسًا، كان المكر منه قريبًا.

يقول الإمام القشيرى: من عرف علو قدره سبحانه جل شأنه خشى خفى مكره، ومن أمن خفى مكره نسى عظيم قدره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ وهو أن يستدرجهم بالنعم حتى يأخذوهم بغتة﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا أنفسهم، بترك النظر والاعتبار، حتى هلكوا، فلم ينفعهم حينئذ الندم.

﴿... أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٤٣.

فى قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ وكلمة ربه، قال لما أتى إليه الحق؛ أزال عنه التوقيف والترتيب، وجاء إلى الله على ما دعاه إليه وأراده له؛ وأخذه عليه، وأوجده منه؛ وأظهره عليه ببذل المجهود والطاقات، وركوب الصعب والمشقات، فلما لم يبق عليه باقية بها يمتنع، أقيم مقام المواجهة والمخاطبة، وأطلق ما اصطنعه لسانه بالمراجعة والمطالبة، أما سمعت قوله؛ قبل هذا الحال، طالباً منه ما طُولع بحال الربوبية، وكُوشف لمقام الألوهية سائلاً حل عقدة من لسانه ليكون ـ إذا كان ذلك ـ مالكاً لنطقه وبيانه.

يقول الإمام جعفر الصادق: الميقات طلب الرؤية. أى: سمع كلامه خارجاً عن بشريته وأضاف الكلام إليه، وكلمه من نفسه فغاب موسى عن نفسه وفنى عن صفاته، وكلمه ربه من حقائق معانيه فسمع موسى عليه السلام من ربه، ومحمد ﷺ سمع من ربه صفة ربه، وكان أحمد المحمودين عنده تعالى، ومن هذا كان مقام محمد عليه السلام: المنتهى، ومقام موسى عليه السلام: الطور، ومنذ كلم الله تعالى موسى على الطور أفنى صفته، فلم يظهر فيه النبات ولا تمكين لأحد عليه.

وقال لما سئل مليكه شرح صدره ليتسع لمقام المواجهة والمخاطبة، ثم نظر إلى أليق الأحوال به؛ فإذا هو تيسير أمره، فسئل ذلك على التمام ليترقى به حاله إلى أرفع المقام؛ وهو المجئ إلى الله بالله لما علم أن من وصل إليه لم يعترض عليه عارضه بحال، فلما تمت له هذه الأحوال، صلح للمجئ إلى الله وحده، ولا شريك له تعالى، ولا نظير، وكان ممن وفى المواقيت حقها، غابت عنه الأحوال فلم يرها، وذهبت عينيه وحضوره، وما عداها إلاّ ما كان للحق منه ومعه حتى تحقق بقوله ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾، فهذا حال المجئ، وهذا معنى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾.

ويقول محيى الدين بن عربى: كان قد صدر عنه فى الثلاثين، والإفاقة بعدها فى تتمة الأربعين. وكلمه ربه، التكليم فى مقام تجلى الصفات، وقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾: بدر عن إفراط شوق منه إلى شهود الذات فى مقام فناء الصفات مع وجود البقية.

﴿... لَن تَرَانِي...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٤٣.

فى قوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾، أى: لو تركه على ذلك لتقطع شوقاً إليه، ولكنه عز وجل سكنه بقوله: ﴿وَلَكِنِ﴾ وفى هذه الاية: انبسط على ربه فى معانى الرؤية لما كان يرجع منه إلى شىء سواه.

يقول الإمام جعفر الصادق: انبسط إلى ربه فى معنى رؤيته، لأنه رأى جمال كلامه على قلبه فيه، فانبسط إليه فقال له: ﴿لَن تَرَانِي﴾ أى لا تقدر أن ترانى لأنك أنت الفانى فكيف السبيل لفان إلى باق؟. وقد شغله بالجبل ثم تجلى، ولولا ما كان من اشتغاله بالجبل، لمات موسى صعقاً بلا إفاقة.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿لَن تَرَانِي﴾، قول أتم؛ صريح فى الرد، وفى اليأس راحة. لكنه لما قال فسوف أُطمعه فيما مُنعه فلما اشتد موقفه جعل الجبل دكًا، وكان قادرًا على إمساك الجبل، لكنه قهر الأحباب الذى جرت به سنتهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: إشارة إلى استحالة الإثنينية، وبقاء الأنية فى مقام المشاهدة كقوله:

إذا تغيبت بدا   وإن بدا غيبنى

وقوله: رأيت ربى بعين ربى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تكون رؤية الحق تعالى بالبصيرة دون البصر، لأن البصيرة تدرك المعانى، والبصر يدرك الحسيات، فإذا انفتحت البصيرة استولى نورها على نور البصر، فلا يرى البصر حينئذ إلاَّ ما تراه البصيرة. ورؤية الحق تعالى فى الدنيا على هذا الوجه: خاص بخواص الأمة المحمدية دون سائر الأمم، وراثة عن نبيهم ﷺ فإنه خُص بالرؤية دون غيره من الأنبياء.

﴿... وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٥٨.

إن الحق أورد تكليفه على ضربين: تكليف عن وسائط وتكليف الحقائق، فتكليف الحقيقة بدت معارفه منه وعادت إليه، وتكليف الوسائط بدت معارفه عمن دونه فلا يصل إليه، فيتناهى من معارفهم إلى نهايات معرفة أهل الوسائط، ولا تتناهى معارف من أخذ معارفه عن شهود الحق، كل ذلك رفقا من الحق بالخلق؛ لعلمه بأنه لا يوصل إليه إلاَّ بما منه.

يقول الإمام القشيرى: أطيعوه فيما يأمركم، وتحذروا من ارتكاب ما يزجركم. وإن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبى الأمى، واتبعوه لتفلحوا فى الدنيا والعقبى، وتستوجبوا الزلفى والحسنى، وتتخلصوا من البلوى والهوى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: غاية الاهتداء غير متناهية، لأن أدب العبودية مقرون مع عظمة الربوبية، فكما أن الترقى فى مشاهدة الربوبية لا نهاية له، كذلك أدب العبودية لا نهاية له، ولا تُعرف كيفية الأدب إلاَّ بواسطة تعليمه عليه الصلاة والسلام، فواسطة النبى ﷺ لا تفارق العبد، ولو عرف ما عرف، وبلغ ما بلغ.

﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٧٢.

الحق أنطق الذرة بالإيمان طوعاً وكـرهاً، أنطقهم بركة الأخـذ، أخذهم عنهم فأنطقهم لا بـهم؛ بل أخذهم عنهم ثم أشهدهم حـقيقته، فـأنطقت عنهم القدرة من غير شركة كانت لهم فيه.

يقول أبو سعيد الخراز: فى قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾، قال: من قال حين قال: ومن أين أجابوا عنهم إلاّ القدرة النافذة والمشيئة التامة، وهل كانوا إلاّ رسماً لأحكام مليك.

ويقول أبو محمد الجريرى: تعرف إلى كل طائفة من الطوائف بما منحها من معرفته فقال: ﴿بلَى﴾، وكل أقر بما منح، ثم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام فقال: ﴿كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

ويقول الإمام القـشيرى: أخبر بهذه الآية الكريمة عن سابق عهده، وصادق وعده، وتأكيد حبل وده، بتعريف عبده.

ويقول محيى الدين بن عربى: هذا خصوص بالبشر، والتكوين عموم. وكلمة الحضرة أول ما فتق أسماعهم به وهم فى الوجود الأول.

قال الحلاج رحمه الله: لا يعلم أحد من الملائكة والمقربين لماذا أظهر الحق الخلق؛ وكيف الابتداء والانتهاء، إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت، والأذن ما سمعت، كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب؛ وإليها آيب فى قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فهو المخاطب وهو المجيب.

يقول أبو الحسين بن بنان المصرى: قد أخبرك الحق تعالى فى هذه الآية الكريمة ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أنه قد خاطبهم وهم غير موجودين إلاّ بوجوده لهم، إذ كان واجد الخليقة بغير معنى وجودها لأنفسها بالمعنى الذى لا يعلمه غيره ولا يجده سواه، فقد كان واجداً مخاطبًا شاهداً عليهم باديًا فى حال فنائهم عن بقائهم الذى كانوا به، كذلك هو الوجود الربانى والإدراك الإلهى الذى لا ينبغى إلاّ له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بعث الله الأنبياء والرسل يُذكرون الناس ذلك العهد، فمن أقرّ به نجا، ومن أنكره هلك. وأما إشهادهم فمعناه: أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته، وشهدت بها عقولهم، فكأنه أشهدهم على أنفسهم، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وكأنهم قالوا بلسان الحال: أنت ربنا.

﴿... قَالُوا بَلَى...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ١٧٢.

فى قوله تعالى: ﴿بَلَى﴾: القائل عنكم سواكم، والمجيب عنكم غيركم، فسقطتم أنتم وبقى من لايزال كما لم يزل.

يقول الإمام القشيرى: تجلى الحق سبحانه لقوم فتولى تعريفهم فقالوا: ﴿بَلَى﴾ عن حاصل يقين، وتعزز عن آخرين فأثبتهم فى أوطان الجحد فقالوا: ﴿بَلَى﴾ عن ظن وتخمين.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿بَلَى﴾ أول ما فتق الله به الألسنة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿بَلَى﴾ حرف جواب يُجاب بها عن الهمزة إذا دخلت على منفى، فخرجت عن الاستفهام إلى التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفى. ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أنت ربنا، ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك على أنفسنا، لأن الأرواح حينئذ كانت كلها على الفطرة، علامة درّاكة.

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ...﴾

سورة الأعراف/ مكية/ الآية ٢٠٥.

فى هذه الآية الكريمة: لا يظهر ذكرك لنفسك فتطلب به عوضاً، وأشرف الذكر مالا يشرف عليه إلاّ الحق تعالى، وما خفى من الأذكار أشرف مما ظهر.

يقول الإمام القشيرى: التضرع إذا كُوشف العبد بوصف الجمال فى أوان البسط، والخيفة إذا كُوشف بنعت الجلال فى أحوال الهيبة، وهذا للأكابر. ومن فوق الجميع فأصحاب البقاء والفناء.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ﴾ حاضراً ﴿فِي نَفْسِكَ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٢١.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الذكر على خمسة أقسام: ذكر اللسان فقط لعوام المسلمين، وذكر اللسان مع القلب لخواص الصالحين، وذكر القلب فقط للأقوياء من الذاكرين، وذكر الروح لخواص أهل الفناء من الموحدين، وذكر السر لأهل الشهود والعيان من المتمكنين، وفى قطع هذه المقامات يقع السير للسائرين، فيترقى من مقام إلى مقام، حتى يبلغ إلى ذكر السر، فيكون ذكر اللسان فى حقه غفلة.

سورة التوبة (براءة)

مدنية، وآياتها مائة وتسع وعشرون آية.

ولها أسماء أُخر: سورة البراءة، والمقشقشة أى المبرئة من النفاق، وسورة البحوث، والمبعثرة، والمنقرة، والمثيرة، والحافزة، والمخزية، والفاضحة، والمنكلة، والمشردة، والمدمدمة، وسورة العذاب. وهى السورة الوحيدة فى المصحف الشريف لا تسبقها البسملة.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ٤٣.

الأنبياء عليهم السلام مبسوطون على مقاديرهم واختلاف مقاماتهم، وكل ربط مع حظهم، واستعمال الأدب بين يدى الحق تعالى، وكل أُنب على ترك الاستعمال، فمنهم من أنس قبل التأنيب، ومنهم من أنس بعد التأنيب، على اختلاف مقاماتهم، فأما محمد ﷺ فإنه أنس قبل التأنيب، إذ لو أنس ﷺ بعد التأنيب لتفطر لقربه من الحق تعالى، وذلك أن الحق أمره بقوله تعالى ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾، ثم قال مؤنبا له على ذلك: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، ولو قال: لم أذنت لهم عفا الله عنك، أنبه قبل قوله﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾، لذاب، وهذا غاية القرب. وقال تعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام إنه قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ سورة هود/ مكية/ الآية ٤٥، مؤنبا له وآنسه بعد التأنيب ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، ولو لم يؤنسه بعد التأنيب لتفطر، وهذا مقام نوح وليس المفضول بمقصر، إذ كل منهم له رتبة من الحق.

يقول ابن عطاء: عُوتب كل نبى بذنبه، ثم غُفر له، وغُفر لمحمد ﷺ قبل موافقة الذنب، فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ إحلالاً له.

ويقول الإمام القشيرى: لم يكن منه ﷺ خرق حد؛ أو تعاطى محظور، وإنما بدر منه ترك ما هو الأولى. وقدم الله ذكر العفو على الخطاب الذى هو فى صور العتاب بقوله تعالى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا ينبغى للعارفين بالله، الداعين إلى الله، أن يأذنوا لمن استأذنهم فى التخلف عن الجهاد الأكبر، ويرخصون له فى البقاء مع النفس والهوى، وجمع حطام الدنيا شفقة ورحمة، لأن الشفقة فى هذا المعنى لا تليق بأهل التربية. بل لا يليق بهم إلاّ الأمر بما تموت به النفوس، وتحيا به الأرواح، وإن كان فيه حتفهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١١١.

قال الحسين بن منصور الحلاج: نفوس المؤمنين نفوس أبية اشتراها الحق تعالى، فلا يملكها سواه.

يقول الإمام جعفر الصادق: يكرمهم على لسان الحقيقة، وعلى لسان المعاملة. اشترى منهم الأجساد لمواضع وقوع المحبة من قلوبهم، فأحياهم بالوصلة.

ويقول أبو علي الدقاق: لم يقل جل شأنه اشترى قلوبهم، لأن القلوب وقف على محبته تعالى، والوقف لا يشترى.

ويقول ابن عطاء: النفس موضع كل شهوة وبلية، والمحال محل كل إثم ومعصية. فأراد أن يزيل ملكك عما يضرك ويعوضك عليه ما ينفعك؛ عاجلاً وآجلاً.

ويقول الإمام القشيري: لما كان من المؤمنين تسليم أنفسهم وأموالهم لحكم الله تعالى؛ وكان من الله سبحانه الجزاء والثواب؛ أى هناك عوض ومعوض، وفى الحقيقة لا يصح فى وصف الحق سبحانه الاشتراء، لأنه مالك سواه، وهو مالك الأعيان كلها. وقال تعالى: ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ ولم يقل قلوبهم، لأن النفس محل الآفات.

ويقول محيى الدين بن عربى: لو لم يشتر الله تعالى حتى حال بينهم وبينها لكان لهم ما يصلون به إلى المتعة: ببقاء الحياة لبقاء الغذاء، فلما أفلسهم أعدمهم!. فأعطينا العوض الذى اشترينا به حياته فبقى حياً، وما ظهرت للموت أثر فى ذلك المشهد. فالعبد ينفق فى سبيل الله نفسه وماله، فالزكاة فى النفوس، ولهذا قدمها الله فى الشراء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: اشترى الحق جل جلاله منا أنفسنا وأموالنا بالجنة، فمن باع نفسه لله؛ بأن خالف هواها وخرق عوائدها، وسعى فى طلب مولاها، عوضه جنة المعارف معجلة، وزاده جنة الزخارف مؤجلة، ومن باع ما له بأن أنفقه فى مرضاة الله تعالى، وبخل بنفسه، عوضه جنة الزخارف مؤجلة.

﴿... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١١١.

عهد الحق فى الأزل إلى خواصه باختصاص خاصيته، خصهم بها من بين تكوينه فأظهر آثار أنوار ذلك عليهم عند استخراج الذر، فرأى آدم عليه السلام الأنوار تتلألأ، فقال: «من هؤلاء؟» ثم أظهر سمات ذلك حين أوجدهم، وهى آثار ذلك العهد الذى عهد إليهم، فوفى لهم بعودهم ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾.

يقول الإمام القشيرى: أخبر تعالى أنه اشترى النفس والمال لئلا يدعى العبد فيها؛ فلا يساكنها ولا يلاحظها ولا يعجب بها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: لما هداهم إلى الإيمان العلمى وهم مفتونون بمحبة الأموال والأنفس استنزلهم لفرط عنايته بهم عن مقام محبة الأموال والأنفس بالتجارة المربحة والعاملة المرغوبة بأن جعل جنة النفس ثمن أموالهم وأنفسهم ليكون الثمن من جنس المثمن الذى هو مألوفهم، لكنه ألذ وأشهى وأرغب وأبقى، فرغبوا فيما عنده وصدقوا لقوة اليقين وعده.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾

سورة التوبة/ مدنية/ الآية ١٢٨.

من أجلاكم نفساً وأعلاكم همة؛ جاد بالكونين عوضاً عن الحق تعالى، ما ينظر إلى الملكوت، ولا إلى السدرة، وما زاغ بصره عن مشاهدة الحق، وما طغى قلبه عن موافقته. فهو من أنفسكم نفسًا ونسبًا وحسبًا وصهرًا.

يقول الإمام جعفر الصادق: علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته، فعرفهم ذلك لكى يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته، فأقام بينه وبينهم مخلوقاً من جنسهم فى الصورة، وألبسه من نعته الرأفة والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً، وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

ويقول ابن عطاء: نفسه موافقة لأنفس الخلق خلقة، ومباينة لها حقيقة. فإنها نفس مقدسة بأنوار النبوة؛ مؤيدة بمشاهدة الحقائق؛ ثابتة فى المحل الأدنى والمقام الأعلى.

ويقول الإمام القشيرى: جاءكم رسول يشاكلكم فى البشرية، فَلما أفردناه به من الخصوصية ألبسناه لباس الرحمة عليكم، وأقمناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم، وقد وَكَلَ همه بشأنكم، وأكبر همه إيمانكم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ليكون بينكم وبينه جنسية نفسانية بها تقع الألفة بينكم وبينه فتخالطونه بتلك الجنسية، وتختلطون به فتتأثر من نورانيتها المستفادة من نور قلبه أنفسكم؛ فتتنور بها وتنسلخ عنها ظلمة الجبلة والعادة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ينبغى لورثته عليه الصلاة والسلام الداعين إلى الله، أن يتخلقوا بأخلاقه ﷺ فيشق عليهم ما ينزل بالمؤمنين من المشاق والمكاره، وييسرون ولا يعسرون عليهم، ويحرصون على الخير للناس كافة، ويبذلون جهدهم فى إيصاله إليهم، ويرحمونهم ويشفقون عليهم، فإن أدبروا عنهم استغنوا بالله تعالى وتوكلوا عليه، وفوضوا أمرهم إليه من غير أسف ولا حزن.

سورة يونس

مكية، وآياتها مائة وتسع آية.

نزلت فى مشـركى مكة والمستهزئين الذين قـالوا: «يا محمد أئت بقـرآن غير هذا، فيه ما نسألك».

﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ١.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: فى القرآن علم بكل شىء، وعلم القرآن فى الأحرف التى فى أوائل السور.

يقول الإمام القشيرى: الألف مفتاح اسم الله، واللام مفتاح اسم اللطيف، والراء مفتاح اسم الرحيم. أقسم بهذه الأسماء إن هذا الكتاب هو الموعود لكم يوم الميثاق. والإشارة فيه أنّا حققنا لكم الميعاد، وأطلنا لكم عنان الوداد، وانقضى زمان الميعاد.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿الٓر﴾ إشارة إلى الرحمة التى هى بالذات المحمدية لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ١٠٧، «تلك» أى: ما أشير إليه بهذه الحروف أركان كتاب الكل ذى الحكمة، أو المحكم المتقن تفاصيله، أو أقسم بالله باعتبار الهوية الأحدية جمعًا، وباعتبار الصفة الواحدية تفصيلا فى باطن الجبروت وظاهر الرحموت على ما ذكر، أو على أن تلك الآيات المذكورة فى السورة «آيات الكتاب» ذى الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تعجب الناس من أهل الخصوصية، فكما خفى عن أعين الكفار سر النبوة، خفى عن أعين الخفافيش سر الخصوصية، فلا يطلع عليها إلاّ من سبق له قدم صدق عند ربه، فسبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية؛ فلم يدل عليها إلاّ من أراد أن يوصله إلى مشاهدة عظمة الربوبية.

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ . . .﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٣٢.

الحق هو المقصود إليه بالعبادات، والمصمود إليه بالطاعات، لا يشهد بغيره ولا يدرك سواه. والحق هو الذى لا يستقبح قبحًا، ولا يستحسن حسنًا، كيف يعود عليه ما منه بدأ، أو يؤثر عليه ما هو أنشأ، وقيل فى قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ من الحق إلى سواه.

سئل الحسين: من هذا الحق الذى تشيرون إليه؟ قال: هو معل الأنام ولا يعتل.

يقول الإمام القشيرى: ما يكون من موضوعات الحق، ومتعلقات الإرادة، ومتناولات المشيئة، ومجنسات التقدير، ومصروفات القدرة؛ فهى أشباح خاوية؛ وأحكام التقدير عليها جارية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: المتولى لكل الأمور هو ربكم، الذى يستحق أن تعبدوه، والثابت ربوبيته، لأنه هو الذى أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم، وهو من يرزقكم من سماء الأرواح علم الأسرار والحقائق. ومن أرض النفوس علوم الشرائع والطرائق. أمن يملك السمع والأبصار فيصرفها إلى سماع الوعظ والتذكار، ونظر التفكر والاعتبار، ليلتحق صاحبهما بالمقربين الأبرار، وقدّم السمع لأنه أنفع لإيصال النفع إلى القلب من البصر.

﴿... هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٣٤.

أنشد الحسين بن منصور:

حقيقة الحق مستنير صارخة من بنا خبير

حقائق الحق قد تجلت مبلغ من رامها عسير

يقول ابن عطاء: يبدأ بإظهار القدرة فيوجد المعدوم، ثم يعيدها بإظهار الهيئة فيفقد الموجود.

ويقول الإمام القشيرى: الحق من أوصاف الخلق ما حَسُنَ فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به. فإلى الحق هدايته. وهداه له وهداه إليه بمعنى؛ فمن هداه الحق للحق وقفه على الحق، وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق، فما له نصيب وماله حظ.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ بإظهاره للوجود «ثم يعيده» بالبعث. كيف يحتج عليهم بالإعادة؛ وهم لا يعترفون بها؟. هى لظهور برهانها وتواتر أخبارها كأنها معلومة عندهم، فلو أنصفوا ونظروا لأقروا بها، ولذلك أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن ينوب عليهم فى الجواب.

﴿... أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٣٥.

الحق من الحق، ومن أجل الحق وهو قائم، الحق مع الحق، وليس وراء ذلك إلاّ رؤية الحق، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي﴾.

يقول الإمام القشيرى: الحق اسم من أسمائه سبحانه، ومعناه أنه موجود، وأنه ذو الحق، وأنه محق الحق. والحق من أوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به. ﴿اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾: أى: إلى الحق هدايته. وهداه له، وهداه إليه بمعنى؛ فمن هداه الحق للحق وقفه على الحق، وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق، فما له نصيب وما له حظ.

ويقول الإمام ابن عجيبة: فى الآية الكريمة تحريض على رفع الهمة عن السوى، إلى من بيده البدء والإعادة والإرشاد والهداية، إلاّ من جعل على يديه الإرشاد والهداية، وهم الأنبياء والأولياء والعلماء والأتقياء، فالخضوع إليهم خضوع إلى الله على الحقيقة، واتباعهم اتباع لله تعالى على الحقيقة، وكل من تَبَع غيرهم فإنما يتبع الظن والهوى دون الحق.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٤٢.

من استمع إليك بإياه فإنك لا تسمعه، وإنما يسمع من أسمعناه فى الأزل ليسمع منك، وأما من لم تسمعه فما للأصم والسماع؛ وإن سمع لم يعقل، فكأنه لم يسمع. قال الله تعالى: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ سورة الروم/ مكية/ الآية ٥٣. **إلاّ من أجرينا عليه حكم السعادة فى الأزل.**

يقول الإمام القشيرى: من استمع بتكلفه ازداد فى تخلفه بزيادة تصرفه، ومن استمع الحق بتفضله سبحانه استغنى فى إدراكه عن تعلمه. والحق سبحانه يُسمع أولياءه ما يناجيهم به فى أسرارهم، فإذا سمعوا دعاء الواسطة قابلوه بالقبول لما سبق لهم من استماع الحق. ومن عدم استماع الحق إياه من حيث التفهيم لم يزده سماع الخلق إلاّ جحداً على جحد، ولم يحظ به إلاّ بعدًا على بعد.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ولكن لا يفهمون؛ إما لعدم الاستعداد فى الأصل، وإما لرسوخ الهيئات المظلمة الحاجبة لنور الاستعداد فيهم، وإما لاجتماع الأمرين كالأصم الذى لا عقل له فلا يسمع ولا يتفطن للإشارة، فكيف يمكن إفهامه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا رأى أهل الوعظ والتذكير قومًا غرقوا فى بحر الهوى، وأخذتهم شبكة الدنيا واستحوذت عليهم الغفلة، فذكروهم وبذلوا جهدهم فى نصحهم، فلم يقلعوا، فليتبرؤوا منهم، وليقولوا: نحن براء مما تعملون، وأنتم بريئون مما فعل.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ...﴾

سورة يونس/ مكية/ الآية ٨٢.

حقق الحق بكلماته، بإظهار ما أوجد تحت «كن».

يقول الإمام القشيرى: من جملة ما أحقه أن السحرة كان عندهم أنهم ينصرون فرعون؛ ويجيبونه فكانوا يُقسمون بعزته حيث قالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ وقال الحق سبحانه: بعزتى إنكم لمغلوبون، فكان على ما قال تعالى دون ما قالوه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ظلال الأشجار لا تعوق السفن عن التسيار، فظلال الأكوان وأجرامها لا تعوق سفن الأفكار عن التسيار فى بحار معانى الأسرار، بل تغيب عن ظلال حسها إلى فضاء شهود معانيها، فالعارف لا يحجبه عن الله شىء؛ لنفوذه إلى شهود أسرار الربوبية فى كل شىء.

سورة هود

مكية، وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية.

إلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ فقد نزلت بنهبان التمار بالمدينة المنورة.

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ١.

أُحكمت بالأمر والنهى، و﴿فُصِّلَتْ﴾ بالوعد والوعيد. ﴿حَكِيمٍ﴾ فيما أنزل، ﴿خَبِيرٍ﴾ بمن يقوم بأمره؛ أو يعرض عنه.

يقول الإمام القشيرى: الألف إشارة إلى انفراده بالربوبية، واللام إشارة إلى لطفه بأهل التوحيد، والراء إشارة إلى رحمته بكافة البرية. وهى فى معنى القسم. أي: أقسم بانفرادى بالربوبية، ولطفى بمن عرفنى بالأحدية، ورحمتى على كافة البرية إنّ هذا الكتاب أحكمت آياته، أى: حُفظت عن التبديل والتغيير.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ أى: أعيانه وحقائقه فى العالم الكلى بأن أثبتت دائمة على حالها لا تتبدل ولا تتغير؛ ولا تفسد محفوظة عن كل نقص وآفة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿الٓر﴾ ثلاثة أسماء من اسم الرحمن: الله، لطيف، رحيم. الألف لوحدة الجبروت، واللام لتدفق أنوار الملكوت، والراء لسريان إمداد الرحموت فى سائر الموجودات. فهذا كتاب أحكمت آياته بالتعريف بالذات، ثم فصلت ببيان الصفات.

﴿... يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ٣.

﴿مَّتَاعًا حَسَنًا﴾: الرضا بالميسور، والصبر على قربة المقدور.

يقول سهل التسترى: هو نزل الخلق والإقبال على الحق تعالى.

ويقول أبو الحسين الوراق: يرزقكم صحبة الفقراء الصادقين.

ويقول الجنيد البغدادى: لا شيء أحسن على العبد من ملازمة الحقيقة وحفظ السر مع الله عز وجل، وهو تفسير قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾.

ويقول الإمام القشيرى: يُعيِّشكم عيشًا طيبًا مباركًا؛ هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص، والقناعة بالموجود، ويكون راضيًا بما يجرى عليه من نوعى العسر واليسر.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ فى الدنيا تمتيعاً ﴿حَسَنًا﴾ على وفق الشريعة والعدالة حالة البقاء بعد الفناء إلى وقت وفاتكم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يحييكم حياة طيبة بالأرزاق والنعم والخيرات، فتعيشوا فى أمن ودعة.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ٤٥.

لم يؤذن لأحد فى الانبساط على بساط الحق بحال؛ لأن بساط الحق عزيز، بين حواشيه قهر وجبروت، فمن انبسط عليه رُد عليه، كما رُد على نوح عليه السلام لما قال: ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾. قيل له: إن ابنك ليس هو من أهلك.

يقول الإمام القشيرى: خاطب نوح الحق سبحانه فى باب ابنه، واستعطف فى السؤال.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، حمله شفقة الأبوة وتعطف الرحم والقرابة على طلب نجاته لشدة تعلقه به واهتمامه بأمره، وراعى مع ذلك أدب الحضرة وحسن السؤال.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أراد النداء بدليل عطف بعد تعميم الغرق. وكل داء لم يوافق مراده تعالى فى سابق علمه لم يؤثر فى مراد الداعى.

﴿... لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ...﴾

سورة هود/ مكية/ الآية ١١٩.

لولا أن الله تعالى قال: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لكنت أبصق فى النار حتى تصير ريحانًا على أهلها.

يقول الإمام القشيرى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهى العليا ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أى: لا تبديل لقوله تعالى، ولا تحويل لحكمه سبحانه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ من أهل العصيان منهما، لا من جميعهما. وفى ذلك رحمة القلوب باليقين والطمأنينة.

سورة يوسف

مكية، وآياتها مائة وإحدى عشرة آية.

﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ١٨.

الصبر الجميل: أى السكون مع موارد القضاء سراً وعلنًا. والصبر الجميل أن يلقى العبد عيانه إلى مولاه، ويسلم إليه نفسه مع حقيقة المعرفة، فإذا جاء حكم من أحكامه من له مسلمًا لوارد الحكم [كذا]، ولا يظهر حكمه جزعًا بحاله.

يقول الإمام القشيرى: علم على الجملة وإن لم يعد على التفصيل. . وهكذا تقرع قلوب الصديقين عواقب الأمور على وجه الإجمال، إلى أن تتضح لهم تفاصيلها فى المستأنف، وقيل: عوقبوا على ما فعلوه بأن أُغفلوا عن تمزيق قميصه حتى علم يعقوب عليه السلام تقوّلهم فيما وصفوا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أى: فأمرى صبر جميل. وفى الحديث الشريف: «الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه إلى الخلق».

﴿... وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ...﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ٦٧.

صِدْق التوكل استعمال السبب مع ترك الاختبار، قال الله تعالى ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ سورة يوسف/ مكية/ الآية ٦٧.

يقول ابن عطاء: كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه، وكيف يقوم بكفاية الغير من هو عاجز عن سياسة نفسه؟ بلى!.. ربما يبدى الحق تعالى الأسباب، وليس الأخذ بالأسباب كالأخذ من المسبب.

ويقول محيى الدين بن عربى: لا أدفع عنكم شيئاً إن منعكم توفيقه وحجبكم ببعض الحجب عن كمالاتكم؛ فإن العقل ليس له إلا إفاضة العلم لا إجادة الاستعداد ورفع الحجاب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هو قول يعقوب عليه السلام ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ مما قُضى عليكم بما أشرت به عليكم، فإن ذلك لا يدفع من قدر الله شيئاً، والحذر لا يمنع القدر.

﴿... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ...﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ٧٦.

فضيلة أرباب الحقائق إسقاط العظمتين، ومحو المكتوب فى الحالين، وإبطال الخيرين، ونفى الشركة فى الوقتين: الأزل والأبد، والمتفرد بالحق ينفى ما سواه، ورؤية الحق والسماع منه، وذلك قوله تعالى ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالعلم والعمل، والمراد كل ذى علم من الخلق؛ لأن الكلام فيهم، ولأن العليم هو الله تعالى. ومعناه: الذى له العلم البالغ، ولأنه لا فرق بينه وبين قولنا: فوق كل العلماء عليم، وهو مخصوص. أى: بالعلم بالله، كالكشف عن أسرار ذاته وأنوار صفاته، والتخلق بمعانى أسمائه، والتحقق بمقامات اليقين ومنازل السائرين. وهذه درجات المقربين، وليس فوقها إلاّ درجة الأنبياء والمرسلين. ونرفعها بالعلم بأحكام الله وشرائعه، كالعلم بأحكام العبادات والعادات وسائر المعاملات. وهذه درجات عامة أهل اليمين من العلماء الأتقياء والصالحين، ومنتهى درجاتهم هى ابتداء درجات العارفين المقربين، ثم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾

سورة يوسف/ مكية/ الآية ١٠٦.

المقال منوط بالعلل، والأفعال مقرونة بالشرك، والحق مباين لجميع ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾.

يقول ابن عطاء: الشرك هو ملاحظة الخطرات والحركات. به سموتم إلى مجده، وبه لحظتم ما منه إليكم، وبه فنيتم عن الكون ورجعتم إلى لطفه وعزته تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: الشرك الجلى أن يتخذ من دونه سبحانه معبوداً، والشرك الخفى أن يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه سبحانه مقصوداً. وشرك العارفين أن يتخذوا من دونه مشهوداً؛ أو يطالعوا سواه موجوداً. ومن الشرك الخفى الإحالة على الأشكال فى تجنيس الأحوال، والإخلاد إلى الاختيار، والاحتيال عند تزاحم الأشغال.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ الإيمان العلمى، ﴿إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ بإثبات موجود غيره، أو الإيمان العينى، إلاّ وهم مشركون باحتجابهم بأنائيتهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا ينجو من الشرك الخفى إلاّ أهل التوحيد الخاص، وهم الذين غابوا عن الأكوان جملة بشهود المكون، قد سقط من نظرهم وجود الأغيار، وتطهرت سرائرهم من لوث الأكدار، ولم يبق فى مشهدهم إلاّ الواحد القهار، فلم يعتمدوا على الوسائط والأسباب برؤية مسبب الأسباب، ولم يركنوا إلى العشائر والأصحاب، فإن التفتوا إلى غيره غفلة، أدّبهم وردهم إلى حضرته. هذا شأنهم معه أبداً.

سورة الرعد

مدنية، وآياتها ثلاث وأربعون آية.

مكية إلى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، والباقى مدنى. وقيل: مدنية كلها، وهو الأمر الغالب.

﴿... وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٨.

كل ربط بحده، أو وقت مع وقته، فلا يجاوز قدره، ولا يعدو طوره.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من الكمالات ﴿عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ معين على حسب القابليـة، أو كل شىء من قوة قـبول فى استـعداد مقـدّر عنده بمقدار فى الأزل من فيـضه الأقدس لا يزيد ولا ينقص، أو لكل قوم هاد هو الله تعـالى كما قال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْـدِي مَنْ أَحْـبَـبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْـدِي مَن يَشَـاءُ﴾ سـورة القـصص/ مكيـة/ الآية ٥٦، لـعلمـه بما فى الاستعدادات من قوة القبول وزيادتها ونقصانها، فيقدر بحسبها كمالاتهم.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر محدود، ووقت مخصوص، لا يجاوزه، ولا ينقص عنه، فالحق تعالى قد خص كل حـادث بوقت مخصوص معين، وهيأ له أسبابًا تسوقه إليه على ما تقتضيه حكمته.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم...﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٢٨.

قال الحسين بن منصور رحمه الله: من ذكره الحق تعالى بخير فى أزله، اطمئن إليه فى أبده.

يقول إبراهيم الخواص: تفرق الناس، فمن دامت حركته وسعيه، كان موصوفًا بنفسه لغلبات شواهد نفسه عليه.

ويقول النهرجورى: قلوب الأولياء مواضع المطامع فهى لا تتحرك، ولا تنزعج بل تطمئن خوفاً من أن يرد عليه مفاجأة مطالعه، فيجده مترسماً بسوء الأدب.

ويقول الإمام القشيرى: قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله تعالى، وفى الذكر وجدوا سلوتهم، وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم المنيبون الذين آمنوا الإيمان العلمى بالغيب ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر النفس باللسان والتفكر فى النعم، أو ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة صفات الجمال والجلال، فإن للذكر مراتب: ذكر النفس باللسان والتفكر فى النعم، وذكر القلب بمطالعة الصفات، وذكر السر بالمفاجأة، وذكر الروح بالمشاهدة، وذكر الخفاء بالمناغاة فى المعاشقة، وذكر الله بالفناء فيه. والنفس تضطرب بظهور صفاتها وأحاديثها، تطيش فيتلون القلب بسببها ويتغير بأحاديثها، فإذا ذكر الله استقرت النفس وانتفت الوساوس. وكذا ذكر القلب بالتفكر فى الملكوت ومطالعة أنوار الجبروت، وأما سائر الأذكار فلا تكون إلاّ بعد الاطمئنان. والعمل الصالح ههنا: التزكية والتحلية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الطمأنينة على قسمين، طمأنينة إيمان وطمأنينة شهود وعيان. قوم اطمأنوا إلى غائب موجود، وقوم إلى آخر مشهود، قوم اطمأنوا بوجود الله تعالى من طريق الإيمان على نعت الدليل والبرهان، وقوم اطمأنوا بشهود الله من طريق العيان على نعت الذوق والوجدان. وهذه ثمرة الإكثار من ذكر الله.

﴿... فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ...﴾

سورة الرعد/ مدنية/ الآية ٤٢.

لا مكر أبين من مكر الحق بعباده، حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال؛ أو للحدث اقتران مع القدم فى وقت، فالحق بائن؛ وصفاته بائنة، إن ذكروا فبأنفسهم، وإن شكروا فلأنفسهم، وإن أطاعوه فلنجاة أنفسهم، ليس للحق منهم شىء بحال؛ لأنه الغنى القهار.

يقول ابن عطاء: المكر حقيقة، ما مكر الحق تعالى بهم حتى توهموا أنهم يمكرون، ولم يعلموا أنه مكر بهم حيث سهل عليهم سبيل المكر.

ويقول الإمام القشيرى: مكر الله بهم توهمهم أنهم محسنون فى أعمالهم، وحسبانهم أنهم ستأمن أحوالهم، وظنهم أنه لا يحيق بهم مكرهم، وتخيل إياهم مع مكرهم من أعظم مكره بهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ إذ لا يؤبه بمكر دون مكره، فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. وقد مكر الذين من قبل بأولياء زمانهم، فلم يغنوا شيئًا، فمكر الله بهم، وخذلهم عن طاعته، وسيعلم أهل الإنكار لمن تكون عاقبة الدار.

سورة إبراهيم

مكية، وآياتها إثنان وخمسون آية.

﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ ...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ١٢.

قيل للحسين بن منصور الحلاج: ما التوكل عندك؟ قال: الجمود تحت موارد القضا.

يقول سهل التسترى: التوكل رد العيش إلى يوم واحد، وإسقاط هم غد.

ويقول أبو محمد رويم: التوكل الثقة بالوعد.

ويقول أبو بكر الشبلى: التوكل هو أن يكون مع الله تعالى كما لم يكن ويكون الحق تعالى كما لم يزل.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ وقد رقانا من حد التكليف بالبرهان إلى وجود روح البيان بكثرة ما أفاض علينا من جميل الإحسان، فكفانا من مهان الشان. وقد حقق لنا ما سبق به الضمان من وجود الإحسان، وكفاية ما أظلنا من الامتنان. ولم نخرج إلى التقاضى على الله فيما وعدنا سبحانه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ﴾ أى: أى عذر لنا فى ترك التوكل على الله تعالى؟

﴿... وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ٣٤.

ما لا يحصى ولا يتناهى، ولا يصح له شكر متناه، وإنما طالبهم بالشكر ليقطعهم عن الشكر.

يقول سهل التسترى: إن تعدوا نعمة الله عليكم بمحمد ﷺ لن تحصوها، بل جعل السفير فيما بينكم وبين السفير الأعلى والواسطة الأدنى.

ويقول ابن عطاء: أجل النعم رؤية معرفة النعم، ورؤية التقصير فى القيام بشكر المنعم. والنعمة أزلية؛ فيجب أن يكون شكرها أزلى، وأعلم أن لك نفساً وروحاً وقلبًا، فنعمة النفس الطاعات، ونعمة الروح الخوف، ونعمة القلب اليقين والحكمة، ونعمة الروح المحبة والذكر، ونعمة المعرفة الألفة بالنفس فى أبحر الطاعات تتنعم، والقلب فى أبحر اليقين يتقلب، والروح فى أبحر القربة وانتظار العيان تتنعم.

ويقول الإمام القشيرى: كيف يكون شكركم كفاء نعمه..؟ وشكركم نزر يسير، وإنعامه وافر غزير. وكيف تكون قطرة الشكر بجوار بحار الإنعام؟ إن نعمة علومكم عن تفصيلها متقاصرة، وفهومكم عن تحصيلها متأخرة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ من الأمور السابقة على وجودكم الفائضة من الحضرة الإلهية، ومن اللاحقة بكم من أمداد التربية الواصلة عن الحضرة الربوبية ﴿لا تُحْصُوهَا﴾ لعدم تناهيها كما تقرر فى الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾؛ إذ نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد لا حد لهما فى هذه الدار وفى تلك الدار، ففى كل نفس يمدهم بمدد جديد، ومع هذا كله يغفل العبد عن هذه النعم!! إن الإنسان لظلوم كفّار، وشكرها نسبتها لمعطيها، وحمد الله عليها.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ...﴾

سورة إبراهيم/ مكية/ الآية ٣٨.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: ربنا إنك تعلم ما تخفى من الصحبة، وما نعلن من الوجد.

يقول أبو سعيد الخواص: ما تخفى من حبك، وما نعلن من ذكرك.

ويقول ابن عطاء: ما نخفى من الأحوال، وما نعلن من الآداب.

ويقول الإمام القشيرى: استأثرت سبحانك بعلم الغيب فلا يغرب عن علمك معلوم، وحالى لا تخفى عليك فهى كما عرفت، فأنت تعلم سرى وعلنى. ومن عرف هذه الجملة استراح من طوارق الأغيار، واستروح قلبه عن تراجم الأفكار، والتقسم فى كون الحوادث من الأغيار.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ مما فينا بالقوة، ﴿وَمَا نُعْلِنُ﴾ مما أخرجناه إلى الفعل من الكمالات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إنك أعلم بأحوالنا ومصالحنا، وأرحم منا بأنفسنا، فلا حاجة لنا إلى الطلب، لكننا ندعوك إظهارًا لعبوديتك، وافتقاراً إلى رحمتك، واستجلابًا لنيل ما عندك.

سورة الحجر

مكية، وآياتها تسع وتسعون آية.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾

سورة الحجر/ مكية/ الآية ٧٥.

سئل الحسين بن منصور الحلاج عن الفراسة، فقال: حقٌّ نظرٍ برؤياه عن أحد نظر، فخبَّر عن حقيقة ما هو إيّاه بإيّاه.

يقول الإمام القشيرى: من باتوا فى حبور وسرور، وأصبحوا فى محنة وثبور، وخرّت عليهم سقوفهم، وجعلنا مدنهم ومنازلهم عاليها سافلها، وأمطرنا عليهم من العقوبة ما لم يبُق عينًا ولا أثرًا، إن فى ذلك لعبرة لمن اعتبر، ودلالة ظاهرة لمن استبصر، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ لمن شاء أن يعتبر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتفكرين المعتبرين المتفرسين فى الأمور، الذين يثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشىء بسمته.

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾

سورة الحجر/ مكية/ الآية ٩٩.

أعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وتتيـقن أنك ليس تعبده حق عبادته. فمن نظر إلى معبوده سـقط عن عبادته، ومن نظر إلى عبادته سقط من مـعبوده. أى: حتى تستيقن أنك لا تعبده ولا يعبده أحد حق العبودية. ابتداء وانتهاء، فاستوجب ما لابد من مكافأته. فمن عبـد الله تعالى بصدق التوحيد خـرج عن رسوم التقليد، وأبان عن شرف الـتفريد، فـصار علمـه جهلا، وعـرفانه نكرة، فـالعبوديـة كلها شريعة، والربوبية كلها حقيقة.

يقول يحيى بن معاذ: للعابدين أردية من النور بكونها شذاها الصلاة ولحمتها الصوم.

ويقول ابن عطاء: لم يرض المولى عز وجل من نبيه ﷺ لمحة عين إلاّ فى عبادته.

ويقول الإمام القـشيرى: قف على بساط العبودية معتنقًا للخدمة إلى أن تجلس على بساط القربة؛ وتطالب بآداب الوصلة. فإن أشرف خصالك قيامك بحق العبودية.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾ حق ﴿الْيَقِينُ﴾ فتنتهى عبادتك بانقضاء وجودك، فيكون هو العابد والمعبود جميعًا لا غيره.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: الموت، فإنه متيقن لحـاقه، وليس اليقين من أسماء الموت، وإنما العلم به يقين. فكن من الساجدين بقلبك فى حضرة القدس، حتى يأتيك اليقين.

سورة النحل

مكية، وآياتها مائة وثمان وعشرون آية.

إلاَّ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾، فهى مدنية ونزلت فى غزوة أحد، يوم قتل حمزة رضوان الله عليه والتمـثيل به. عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبـعين رجلاً منهم» فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ...﴾

سورة النحل/ مكية/ الآية ٢١.

الحياة على أقسام، فحياة بكلماته، وحياة بأمره، وحياة بقربه، وحياة بنظره، وحياة بقدرته، وحياة هى الموت؛ وهى الحركات المذمومة، وهو قوله عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾.

يقول سهل التسترى: خلق الله تعالى الخلق ثم أحياهم باسم الحياة، ثم أماتهم بجهلهم بأنفسهم، فمن حيى بالعلم فهو الحى، وإلاّ فهم موتى بجهلهم.

ويقول النصر آباذى: أهل الجنة أموات، ولا يشعرون لاشتغالهم بغير الحق، وأهل الحضرة أحياء لأنهم فى مشاهدة الحى.

ويقول الإمام القشيرى: لأن من لحقه وصف التكوين لا يصح منه الإيجاد. وفى التحقيق كل من علق قلبه بشىء؛ وتوهم منه خيراً أو شراً فقد أشرك بالله تعالى بظنه، وإنما التوحيد تجريد القلب عن حسبان شظية من النفى والإثبات من جميع المخلوقين والمخلوقات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لم تكن لهم حياة قط، وذلك أغرق فى موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات. والإله ينبغى أن يكون حيًا لا يعتريه الممات. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت يجازون فيه من عبدهم، والإله ينبغى أن يكون عالمًا بالغيوب، قادراً على الجزاء لمن عبده.

سورة الإسراء (بنى إسرائيل)

مكية، وآياتها مائة وإحدى عشر آية.

وهى مكيـة، إلاّ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ والآيات الثمان التاليـة فهى مدنية، ونزلت فى وفد ثقـيف حين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: متـعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها ووحشها فأبى ذلك الرسول صلوات الله عليه، ولم يجبهـم، فأقبلوا يكثرون مسألتهم وقـالوا: إنّا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أمـا ترون رسـول الله أمـسك عن جوابكـم كراهيـة. فأنزل الله هذه الآية.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾

سورة الإسراء/ مكية/ الآية ٧٠.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: كرمنا بنى آدم بالكون فى القبضة، ومكافحة الخطاب.

يقول الإمام جعفر الصادق: كرمنا بنى آدم بالمعرفة.

ويقول الجنيد البغدادى: كرمنا بنى آدم بالفهم عن الله تعالى.

ويقول ابن عطاء: ابتداهم بالبر قبل الطاعات، وبالإجابة قبل الدعاء، وبالعطاء قبل السؤال، كفاهم الكل من حوائجهم ليكونوا لمن له الكل وبيده كفاية الكل.

ويقول الإمام القشيرى: المراد من قوله تعالى: ﴿بَنِي آدَمَ﴾ هنا المؤمنون؛ لأنه قال فى صفة الكفار: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾. والتكريم: التكثير من الإكرام، فإذا حُرم الكافر الإكرام، فمتى يكون له التكريم؟ ويقال: محمول الكرام لا يقع، فإن وقع وجد من يأخذ بيده.

ويقول محيى الدين بن عربى: كرمناهم بالنطق والتمييز والعقل والمعرفة، وبالتقريب ومعرفة التوحيد، وحملناهم فى بر عالم الأجساد، وبحر عالم الأرواح بتسييره فيهما لتركيبه منهما وإرقائه عنهما فى طلب الكمال ورزقناهم من طيبات العلوم والمعارف.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كرم الله آدم عليه السلام وشرفه على خلقه، بخصائص جعلها فيه، منها أنه جعله نسخة من الوجود، فيه ما فى الوجود وزيادة وانطوت فيه العوالم بأسرها من عرشها إلى فرشها. وجعله خليفة فى ملكه، وجعل الوجود بأسره خادمًا له، ومنتفعاً به، الأرض تقله، والسماء تظله، والجهات تكتنفه، والحيوانات تخدمه، والملائكة تستغفر له، إلى غير ذلك مما لا يعلمه الخلق.

﴿وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ...﴾

سورة الإسراء/ مكية/ الآية ٧٤.

خلق الله الخلق على علم منه بهم. وهو علم العلم، وجعل النبى ﷺ أعظم الخلق خلقاً، وأقربهم زلفى فجعله الداعى إليه، والمبين عنه، به يصلون إلى الله ظاهراً وباطناً، عاجلاً وآجلاً، فثبت الملك بالعلم؛ وثبت العلم بالنبى ﷺ. وحثنا النبى به، فقال: ﴿وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ﴾.

يقول ابن عطاء: إن الله عز وجل عاتب الأنبياء بعد مباشرة الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتباهاً وتحفظاً لشرائط المحبة، فقال: ﴿وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾.

ويقول الإمام القشيرى: لو وكلناك ونفسك، ورفعنا عنك ظل العصمة لألممت بشىء مما لا يجوز من مخالفة أمرنا، ولكننا أفردناك بالحفظ، فلا تتقاصر عنك آثاره، ولا تغرب عن ساحتك أنواره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاكَ﴾ بالحفظ والرعاية، لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، وهى خواطر تخطر ولا تثبت. إذاً لأذقناك ضعف الحياة، وهو الذل والحرص والطمع وضعف الممات، والسقوط عن مقام المقربين؛ أهل الروح والريحان. وإن كادوا ليستفزونك من أرض العبودية، ليخرجوك منها إلى إظهار الحرية؛ من العز والجاه.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾

سورة الإسراء/ مكية/ الآية ١١٠.

ما دعا الله تعالى أحد قط إلاّ إيماناً، فأما دعوة حقيقة فلا.

يقول الإمام القشيرى: من عظيم نعمته سبحانه على أوليائه تنزههم بأسرارهم فى رياض ذكره بتعداد أسمائه الحسنى من روضة إلى روضة، ومن مأنس إلى مأنس.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ﴾ بالفناء فى الذات الجامعة لجميع الصفات ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ بالفناء فى الصفة التى هى أم الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الله سبحانه دعا عباده إلى معرفة الاسمين الخاصين، اللذين فيهما أسرار جميع الأسماء والصفات والذات والنعوت والأفعال، فالله اسمه، وهو اسم عين جمع الجمع، والرحمن اسم عين الجمع؛ فالرحمن مندرج تحت اسمه «الله» لأنه عين الكل، واذا قلت: الله؛ ذكرت عين الكل.

سورة الكهف (أهل الكهف)

مكية، وآياتها مائة عشرة آية.

وتسمى أيضاً سورة أهل الكهف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٧.

هم الرجال العُبَّاد العمال لله بالطاعة ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ أى: أيهم أشد لها تركًا.

يقول ابن عطاء: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، أى: أحسن إعراضًا عنها، وتركًا لها.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ تدركه بالأبصار، وممن على الأرض من هو زينة لها يُعرف بالأسرار. وإن قيمة الأوطان لقطانها، وزينة المساكن فى سُكانها. والعباد بهم زينة الدنيا، وأهل المعرفة بهم زينة الجنة، والأولياء زينة الأرض، وهم أمان من فى الأرض، فإذا تلألأت أنوار التوحيد فى أسرار الموحدين أشرقت جميع الآفاق بضيائهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: إنا جعلنا ما على أرض البدن من النفس ولذاتها وشهواتها وقوى صفاتها وإدراكاتها ودواعيها ﴿زِينَةً لَّهَا﴾ ليظهر أيهم أقهر وأعصى لهواها فى رضاى، وأقدر على مخالفتها لموافقتى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هو حكمة تخلف الناس عن الخصوصية، حتى يتميز الطالب لها من المعرض عنها، فمن أقبل على زينة الدنيا وزهرتها، فاتته الخصوصية، وبقى من عوام الناس، ومن أعرض عنها وعن بهجتها وتوجه بقلبه إلى الله تعالى؛ كان من المخصوصين بها، المقربين عند الله عز وجل.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٩.

أصحاب الكهف والرقيم فى ظل المعرفة الأصلية لا يزايلهم بحال، لذلك خفى على الخلق آثارهم.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: إذا شاهدت هذا الإنشاء والإفناء فليس حال أصحاب الكهف آية عجيبة من آياتنا، بل هذه أعجب. واعلم أن أصحاب الكهف هم السبعة الكمَّل القائمون بأمر الحق دائما الذين يقوم بهم العالم؛ ولا يخلو عنهم الزمان، وهم على عدد الكواكب السبعة السيارة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أى، ظننت يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ كانوا عجبًا دون باقى آياتنا، ليس الأمر كذلك. فعادته سبحانه فيمن انقطع إليه بكليته، وآوى إلى كهف رعايته، وأيس من رفق مخلوقاته، أن يكلأه بعين عنايته، ويرعاه بحفظ رعايته.

﴿... لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ١٨.

فى قوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾. قال: أنفة مما هم فيه من إظهار الأحوال عليهم، وقهر الأحوال لهم، مع مشاهدته من عظيم المحل فى القرب والمشاهدة فلم يؤثر عليك لجلالة محلك.

يقول الإمام جعفر الصادق: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من حيث أنت ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، ولو اطلعت عليهم من حيث الحق لشاهدت فيهم معانى الوحدانية والربانية، ولو اطلعت على ما بهم من آثار قدرتنا ورعايتنا لهم وتولية حياطتهم لوليت منهم فراراً. أى: ما قدرت على الثبات لمشاهدة ما بهم من هيبتنا فيكون حقيقة الفرار منا لا منهم لأن ما يرى عليهم منا.

ويقول ابن عطاء: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أتى على الأكوان بما فيها ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لصرف البصر عنهم تبرماً بهم، فإنك مطالع لنا؛ ومطالع منا.

ويقول الإمام القشيرى: الخطاب للرسول ﷺ. والمراد منه غيره. ويقال: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وشاهدتهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ من أن ترد عن عالى منزلتك إلى منزلتهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أى: على حقائقهم المجردة وأحوالهم السيئة؛ وما أودع الله فيهم من النورية والسنا، وما ألبسهم من العز والبهاء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أى: لو عاينتهم وشاهدتهم. والاطلاع هو الإشراف على الشىء بالمعاينة والمشاهدة.

﴿... وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٥٠.

خاطبك الحق تعـالى أحسن خطاب، ودعـاك إلى نفسه بألطف دعـاء بقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي﴾.

يقول الإمام القـشيرى: فى الآية الكريمة إشارة إلى أن من يفرده بالولاية فلا يـقتفى غيره؛ ولا يخاف غيره.

ويقول الإمـام بن عجيـبة: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَـدُوٌّ﴾ فى هذه الآية الكريمة حـس على النهى عن الاستعانة بأعداء الله تعالى فى أى شأن كان.

﴿... مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٦٥.

العلم اللدنى إلهاماً، أخلد الحق الأسرار، فلم يملكها الانصراف.

يقول ذو النون المصرى: العلم اللدنى هو الذى يحكم على الخلق بمواقع التوفيق والخذلان. إن الله بسط العلم ولم يقبضه ودعا الخلق إليه من طرق كثيرة، ولكل طريق منها علم مفرد، ودليل واضح، فتلك الأدلة يدلون على المناهل، وبنور ذلك العلم وتلك الأعلام يهتدون، ولكل أهل طريق منهم علم فهم بعلمهم مستعملون، ومتى ضلوا فى طرق هذه العلوم أو أخطؤوا فإن صاحب العلم اللدنى يردهم إلى المحبة.

ويقول الجنيد البغدادى: العلم اللدنى ما كان محكماً على رسوله من غير ظن فيه؛ ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات، وذلك يقع للعبد إذا لزم جوارحه عن جميع المخالفات، وأفنى حركاته كل الإيرادات، وكان شيخاً بين يدى الحق تعالى بلا تمنٍ ولا مراد.

ويقول ابن عطاء: هو علم بلا واسطة الكشوف، ولا بتلقين الحروف، ولكنه الملقى إليه بمشاهدة الأرواح.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أى: كمالاً معنوياً بالتجرد عن المواد، والتقدس عن الجهات. والنورية المحضة التى هى آثار القرب والعندية ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ من المعارف القدسية والحقائق الكلية اللدنية بلا واسطة تعليم بشرى.

ويقول الإمان ابن عجيبة: العلم اللدنى هو الذى يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم. وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والرذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب تعالى؛ فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة النقول، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها النقول، ومنها ما تفيض عليهم فى جانب علم الغيوب، ومنها فى أسرار الحروف وخواص الأشياء.

﴿... فَأَرَدتُّ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٧٩.

﴿فَأَرَدْنَا...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨١.

﴿... فَأَرَادَ رَبُّكَ...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨٢.

فى قوله عز وجل: ﴿أَرَدتُّ.أَرَدْنَا.أَرَادَ رَبُّكَ﴾ عديد من المقامات: المقام الأول استيلاء الحق وإلهامه، والمقام الثانى مكالمته مع العبد، والمقام الثالث رجوع إلى باطن الغلبة فى الظاهر، فصار به باطن الباطن ظاهر الظاهر، وغيب الغيب عيان العيان، وعيان العيان غيب الغيب، كما أن القرب من الشيء بالنفوس هو البعد. والقرب منها بها هو القرب.

يقول ابن عطاء: لما قال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ أوحى إليه فى السر: من أنت حتى يكون لك إرادة؟. فقال فى الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا﴾ فأوحى إليه فى السر: من أنت وموسى حتى يكون لكما إرادة؟. فرجع وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أما قوله ﴿فَأَرَدتُّ﴾ فكان شفقة على الخلق، وقوله ﴿فَأَرَدْنَا﴾ رحمة، وقوله ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ رجوعًا إلى الحقيقة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿فَأَرَدتُّ﴾ بالرياضة لئلا يأخذها ملك النفس الأمارة غصبًا؛ وهو الملك الذى كان وراءهم، ﴿فَأَرَدْنَا﴾ كما بدلهما بالنفس المطمئنة التى هى خير منه زكاة، أى: طهارة ونقاء.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا...﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ٨٢.

من نظر إلى العمل حجب عمن عمل له. ومن نظر إلى من عمل له حجب عن رؤية العمل.

يقول أبو بكر الوراق: من أنزل نفسه فى الدنيا منزل الصادقين؛ أنزله الله تعالى فى الآخرة منزلة المقربين.

ويقول الإمام القشيرى: أهل الجنة طابت لهم حدائقها، وأهل النار أحاط بهم سرادقها. والحق سبحانه منزه عن أن يعود إليه من تعذيب هؤلاء عائدة؛ ولا من تنعيم هؤلاء فائدة. جلت الأحدية، وتقدست الصمدية!.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الذين آمنوا إيمان الخصوص، وعملوا عمل الخصوص، وهو العمل الذى يقرب إلى الحضرة، وهو كل ما يثقل على النفس؛ كانت لهم جنة المعارف نزلاً، خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً، لأن من تمكن من المعرفة لا يعزل عنها بفضل الله وكرمه.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا . . .﴾

سورة الكهف/ مكية/ الآية ١٠٩.

مقياس العدم فى الوجود؛ فى معنى وجـوده. فأما خاص الخاص من كلامه، فلو كان أبد الأبد أقلاماً ومداداً وبياضاً ما يـقال معا فى كلمة من كلامه، وما لا يوصف أكثر مما قد أشـير إليه، وإنما يذكر للناس ما يفيدهم من مـعانى العبودية من عمل وثواب وعـقاب ووعد ووعيـد، على حسب ما تحـتمله عقولهم. فـأما الكمال من فائدة الكلام؛ فالأنبياء والأولياء والأصفياء.

يقول الإمـام القشـيرى: لا تُعد معانى كلمات الله تعالى لأنه لا نهـاية لها؛ فإن متعلقات الصفة القديمة لا نهاية لهـا، كمعلومات الحق سبحانه ومقدوراته وسائر مـتعلقات صفاته. والذى هو مخلوق «كالبحر» لا يستوفى ما هو غير متناه، وإن كثر ذلك.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أى: بحر الهيولى القابلة للصور الممدة لها فى الظهور ﴿مِدَادًا﴾ من المعانى والحقائق والأعيان والأرواح.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ هذا مع كون وصف البـشرية لا يزول عنهم، فلا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية.

يقول الإمام جعفر الصادق: الحكم هو المعرفة والتوفيق لاستعمال آداب الخدمة.

سورة مريم

مكية، وآياتها ثمان وتسعون آية.

وقصـد من السورة الرد على النصارى فى إشـراكهم عيسى عليـه السلام فى ألوهيته تعالى.

﴿... وآتيناه الحكم صبياً﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ١٢.

كان روح يحيى عليه السلام معجوناً بأنوار المشاهدة، ونفسه معجونة بآداب العبودية والمجاهدة؛ لذلك قال له ربه عز وجل ﴿وآتيناه﴾.

ويقول ابن عطاء: الحكم هو المعرفة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وآتيناه الحكم﴾ أى الحكمة، ﴿صبياً﴾ قريب العهد بالولادة المعنوية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وآتيناه الحكم﴾ وتحننا عظيماً واقعاً من جنانبا، أو شفقة فى قلبه ورحمة على أبويه وغيرهما، والحكم هنا النبوة، استنبأه وهو ابن ثلاث سنوات. وكون الصبى نبياً جائز عقلاً، واقع عند الجمهور، وأما بعثه رسولاً فجائز عقلاً، وظاهر كلام الفخر هنا أنه واقع، وأن يحيى وعيسى بُعثا صغيرين. وقول عيسى عليه السلام: ﴿إني عبد الله﴾ إخبار عما وجب فى المستقبل، لا عما حصل، واستشكل جواز بعث الصبى بأنه تكليف، وشرطه البلوغ.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٥٤.

الصادق هو المتكلف فى حاله، يجرى بين استقامة وذلة، والصديق هو المستقيم فى جميع أحواله.

يقول الجنيد البغدادى: لم يعد إسماعيل لله تعالى من نفسه شيئاً إلاّ صَدقه، ووفى به، وقام عند مراد الله فيه فسماه الصادق الوعد.

ويقول ابن عطاء: وعد لأبيه من نفسه الصبر فوفى به.

ويقول الإمام القشيرى: كان صادق الوعد إذ وعد من نفسه الصبر على ذبح أبيه، وصبر على ذلك إلى أن ظهر الفداء. وصدق الوعد لأنه حفظ العهد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ فصل ذكره عن أبيه وأخيه، لإبراز كمال الاعتناء بأمره، لإيراده مستقلاً بترجمته، ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾، هذا تعليل لموجب الأمر بذكره. وإيراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به. وقد وصف الحق تعالى نبيه إسماعيل بثلاث خصال، بها كان عند ربه مرضيًا، فمن اتصف بها كان مرضيًا مقربًا: الوفاء بالوعد، والصدق فى الحديث؛ لأنه مستلزم له، وأمر الناس بالخير.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا...﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٥٦.

الصـديق هو الذى لا يجرى عليـه كلفـة فى شواهده بمشـاهدة الحق، فتـولاه الحق؛ فلا يرى شـيئا إلاّ من الحق تعالى. والصـديق أيضًا الذى يكون مع الله فى حكم ما أوجب، ولا يـكون على سره أثر من الأكوان، ويـكون وجدانى الذات لم يشهـده الحق غيـره، فهو أعـمى عن الكون، ويكون له مع الحق مـا يحمل به الواردات، ولا يذكـر برؤية الكون غـير الحق، ولا يبـدله الحق بالنظر إليـه غيـرة عليه.

يقول الإمام القـشيرى: الصديق كثير الصدق، لا يشوب صدقه مذق، ويكون قائمًا بالحق للحق، ولا يكون فيه نفس لغير الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ وهو سبط شيث، وجد أبى نوح، فإنه نوح بن لامك بن متوشـلخ بن أخنوخ، وهو إدريس عليه السلام، واشتـقاقه من الدرس؛ لكثرة دراسته لما أوحى إليه، وكثرة ذلك لله عز وجل. ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ إذ ليس كل صديق نبى.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ...﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٧٢.

مـا نجـا من نجـا إلاّ بالاصطفـاية الأزليـة، والعناية الأبـدية، والرسم والوسم والاسم عوارضات زائلة؛ وامتحانات عاطلة.

يقول الإمام جعفر الصادق: لولا مقاربة النفوس ما دخل أحد النار، فلما قاربتهم نفوسهم أوردهم النار بأجمعهم، فمن كان أشد إعراضًا عن خبث النفس كان أسرع نجاة من النار.

ويقول الجنيد البغدادى: ما نجا من نجا إلاّ بصدق اللجأ.

ويقول ابن عطاء: ما نجا من نجا إلاّ بتصحيح الوفاء.

ويقول أبو محمد الجريرى: ما نجا من نجا إلاّ بصدق الوفاء.

ويقول الإمام القـشيرى: ينجى من كان مؤمنًا؛ بعضهم قبل بعض، وبعضهم بعد بعض، ولكن لا يبقى من المؤمنين من لا ينجيهم. وإنما ينجو القوم بحسب تقواهم؛ فزيادة التقوى توجب لهم التعجـيل فى النجاة؛ فمن سابق ومن لاحق ومن منقطع ومن مـحترق.. إلى كثير من الأصناف والألوان.

ويقـول محـيى الدين بن عـربى: لتجـردهم بالجواز على الصـراط الذى هو سلوك طريق العدالة إلى التوحيد كالبرق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ الكفر والمعاصى، بأن تكون النار عليهم بردًا وسلاماً، على تفـسير الورود بالدخول، وأن من لا حسـاب عليهم ـ وهم المقربون ـ يمرون على الصراط ولا يحسون به، وهـم الذين يمرون عليه كـالطير أو كالبرق، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه، وبجاه خير الخلق مولانا محمد نبيه وحبيبه.

﴿... آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

سورة مريم/ مكية/ الآية ٩٣.

كيف يجوز أن يحل فيما ألزمه وصف النقص؛ وهو العبودية، فيكون مستعبداً معبوداً.

يقول الإمام جعفر الصادق: فقيراً ذليلاً بأوصافه، أو عزيزاً دالاً بأوصاف الحق.

ويقول أبو بكر الوراق: ما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار؛ لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة، وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ما من أحد من الملائكة أو الثقلين ﴿إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مملوكًا لله تعالى فى الحال بالانقياد وقهرية العبودية. فحينئذ تكون حرًا مما سواه، ويملكك الوجود بأسره، ويكون عند أمرك ونهيك.

سورة طه

مكية، وآياتها مائة وخمس وثلاثون آية.

﴿... لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا...﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٤.

تنظيف البشر عن الآلهة. وإذا خلا السر من تعظيم غيره فلا وجه لهذا القول.

يقول ابن عطاء: إشارة إلى حقيقة الحق تعالى، إذ الأزل والأبد علة، وذكر الأوقات (الدهور) علة.

ويقول الإمام القشيرى: الأغيار فى وجودى فقد، والرسوم والأطلال عند ثبوت حقى محو، فتذلل لحكمى، وأنفذ أمرى، واخضع لجبروت سلطانى.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ لم أتكثر ولم يتعدد أنائيتى وأحديتى بكثرة المظاهر وتعدد الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تقرير أمر التوحيد، وبيان أنه مستمر فيما بين الأنبياء كابرًا عن كابر، وقد خوطب به موسى عليه السلام، حيث قيل له: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٧.

فى قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾، قال: أثبته بالصفة، فقال له: أعد إليه النظر، فأعاد النظر حتى تيقن أنه عصا، فقال: ﴿عَصَايَ﴾. فلما أجاب بالحقيقة أنه عصا قلب عينها فأحالها عن حالها؛ فأعجزه ذلك. فقيل إعجازها للأمة.

يقول ابن عطاء: انفرد الله تعالى بعلم الغيب، فللخلق من الأشياء ظواهرها؛ وحقيقتها عند الله تعالى. فكأن عند موسى أنها عصا، وعند الحق عز وجل أنها حية. فقال له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ ليعرفه بذلك مقدار علمه، وأن حقائق العلوم لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: كُرّر عليه السؤال فى غير آية عن عصاه لما كان المعلوم له سبحانه فيها من إظهاره فيها عظيم المعجزة. ويقال: لو تركه على ما كان عليه من غلبات الهيبة لعله كان لا يعى ولا يطيق ذلك.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ إشارة إلى نفسه، أى: التى هى فى يد عقله، إذ العقل يمين يأخذ به الإنسان العطاء من الله تعالى ويضبط به نفسه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يقال للفقير: وما تلك بيمينك أيها الفقير؟ فيقول: هى دنياى أعتمد عليها فى معاشى وقيام أمورى، وأنفق منها على عيالى، ولى فيها حوائج أخرى من الزينة والتصدق وفعل الخير.

﴿... عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا...﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٨.

عدد موسى منافع العصا على ربه تعالى؛ وسكونه إليها وانتفاعه بها، فقال له عز وعلا: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ﴾ أى ألق من نفسك السكون إلى منافعها، وقلبها حية ليزول الأنس بها، فأوجس منها خيفة، فقال حين قطعه عنها بالفرار منها: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ وارجع إلينا. وقيل: إن الحكمة فى انقلاب العصا حية فى وقت الكلام أنه جعلها آيته ومعجزته، ولو ألقاها بين يدى فرعون ولم يشاهد منه قبل ذلك ما شهد لهرب منه كما هرب فرعون حين بدهته رؤيته.

يقول الإمام جعفر الصادق: منافع شتى وأكبر منفعة لى فيها خطابك إياى بقولك: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾.

ويقول سهل التسترى: ذكر موسى عليه السلام من العصا مآرب ومنافع فأراه الله عز وجل فى عصاه منافع ومآرب كانت خافية مع موسى من انقلابه العصا ثعبان، وضربه الحجر فى انحباس الماء، وضربه البحر لينفلق وغير ذلك أراه بذلك أن علم الخلق وإن كانوا مؤيدين بالنبوة قاصر على علم الحق تعالى فى الأكوان.

ويقول الجنيد البغدادى: ألق كل ما يعتمد عليه قلبك، أو تسكن إليه نفسك، وإن الكل مجال العلل، فإن كل ما تسكن إليه ستهرب منه عن قلبك ألاّ تراه. فأوجس فى نفسه خيفة.

ويقول ابن عطاء: فى قوله ﴿عَصَايَ﴾ إضافة بالملك إلى نفسه ولم يكن له بواجب فى الحقيقة أن يرى لنفسه ملكا وهو بين يدى الحق تعالى، فلما أضافها إلى نفسه قال: ألقها، فألقاها فإذا هى حية تسعى. قال: خذها، أى خذ عصاك ولا تهرب مما ادعيت الملك فيه لنفسك فخاف، وتبرأ من إضافتها ملكا إلى نفسه فتعطف الحق تعالى عليه فقال: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ فإنها لن تضرك.

ويقول أبو بكر الوراق: قوله: ﴿عَصَايَ﴾جواب، والذى بعده ذكر ما أنعم الله تعالى عليه بالعصا من المنافع، فكان بعد قوله: ﴿عَصَايَ﴾ لسان الشكر.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ أى: أعتمد فى عالم الشهادة وكسب الكمال، والسير إلى الله تعالى، والتخلق بأخلاقه عليها، أى: لا يمكن هذه الأمور إلاّ بها.

﴿... رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ٢٥.

لما أتى إليـه الحق تعالـى أزال عنه التوقف، وجـاء إلى الله بالله، ولم يبق عليـه باقية بها يمتنع؛ أقـيم مقام المواجهة والمخاطبة، وأطلق مـصطنعة لسانه ونظر إلى أليق الأحوال به، فـسأل مليكه شرح صدره ليـتسع لمقام المواجهـة والمخاطبة، ثم نظر إلى أليق الأحوال به، فإذا هو تيسير أمره. فسأل ذلك على التمام، لتترقى به حاله إلى أرفع مقام؛ وهى المجئ إلى الله تعـالى بالله، لعلمه بأن من وصل إليه لا يعترض عليه عارضة بحـال، ثم نظر إلى أليق الأحوال به، فسأل حل العقدة من لسانه ليكون إذ ذاك مالكاً لنطقه وبيانه، فلما تمت له هذه الأحوال صلح للمجئ إلى الله تعـالى وكان ممـن وفى المواقيت حـقـها، غـابت عنه الأحـوال فلم يرها، وذهبت عن عينـه وظهوره، وما عـداها إلاّ ما كان للحق منـه ومعه، حـتى تحقق بقوله عز وجل: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾.

يقول الإمام جعـفر الصادق: لما كلم الله تعالى موسى عليه السـلام عقد لسان موسى عن مكالمة غيره، فلما أمره بالذهاب إلى فرعون؛ فـأجاب بسره فقال: واحلل عقدة من لسانى لأكون قائما بالأمر على أتم مقام.

ويقول الجنيد البغدادى: ما سأل الله تعالى موسى إلاّ الأخلاق.

ويقـول ابن عطاء: لما كلم الله جل وعلا موسى عليه السـلام؛ لم يكن بعد ذلك فيه من الفضل أن يتكلم مع غيره. وقال: فى قوله ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ لاستماع كلامك، ويسر لى أمرى بالوقوف معك واحلل عقدة لسانى النفسانية.

ويقـول محـيى الدين بن عـربى: بنور اليقين والتـمكن فى مقام تجلى الصفـات لئلا يضيق بإيذائهم، ولا تتأذى وتتألم نفـسى بطعنهم وسفاهتهم، فكما أتكلم بكلامك مـعهم أسمع بسمعك كلامهم وأجده كلامك، وأرى ببصرك إيذاءهم وأجده فعلك، فلا أرى ولا أسمع مـا يقابلوننـى به إلاّ منك، فأصـبـر على بلائك بك، ولا تظهـر نفسى برؤيـتهـا منهم، فتحتجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾

سورة طه/ مكية/ الآية ١٠٦.

هو تعالى الذى يطمس الرسوم، ويعمى الفهوم، ويميت الذهن، ويترك الجسم ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ حتى يعجز الكل عن معرفته وبلوغ نفاذ قدرته، ثم يظهر من الطوالع ربوبيته على أسرار أهل معرفته فيعرفونه به.

يقول الإمام القشيرى: كما أن فى القيامة الموعودة تُغيِّر الجبال عن أحوالها فهى كالعهن المنقوش؛ فكذلك فى القيامة الموجودة. فلا يخبرك عنها إلاَّ الأكابر الذين هم كالرواسى ثباتًا؛ فإنه يدخل عليهم من الأحوال ما يمحقهم عن شواهدهم، ويأخذهم عن أقرانهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَيَذَرُهَا﴾ فى القيامة الكبرى ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ وجودًا أحديًا صرفًا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يسألونك أيها العارف عن جبال العقل؛ حين تطلع على نور قمره شمس العرفان، فقل ينسفها ربى نسفًا، فيذر أرض النفس، حين استولت عليها أسرار المعانى، ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾، لا تصالحها بفضاء المعانى، حين ذهبت أغيار الأوانى، لا ترى فيها انخفاضًا ولا ارتفاعًا، وإنما ترى وجودًا متصلاً، وبحرًا طامسًا، ليس فيه بُعد ولا قُرب، ولا علو ولا سفل.

سورة الأنبياء

مكية، وآياتها مائة واثنتا عشرة آية.

﴿خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ...﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ٣٧.

قال الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله: زجرهم عما جبلهم عليه.

يقول الإمام القشيرى: العجلة مذمومة، والمسارعة محمودة؛ فالمسارعة البدار إلى الشىء فى أول وقته، والعجلة استقباله قبل وقته؛ والعجلة نتيجة وسوسة الشيطان، والمسارعة قضية التوفيق.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: إذ النفس التى هى أصل الخلقة دائمة الطيش والاضطراب لا تثبت على حال، فهو مجبول على العجل ولو لم يكن كذلك لم يكن له السير والترقى من حال إلى حال؛ إذ الروح دائم الثبات وبتعلقه بالنفس يحصل وجود القلب ويعتدل بهما فى السير، فما دام الإنسان فى مقام النفس ولم يغلب عليه نور الروح والقلب المفيد للسكينة والطمأنينة؛ يلزم العجلة بمقتضى الجبلة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: العجل والعجلة مصدران، وهو تقديم الشىء على وقته، والمراد بالإنسان الجنس، جُعل لفرط استعجاله وقلة صبره؛ كأنه خُلق من العجلة. ومن عجلته: مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد.

﴿... مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ٤٢.

أى: من يأخذكم عن تصاريف القدرة، ومن يحجبكم عن سوابق القضاء.

يقول ابن عطاء: من يكلؤكم من أمر الرحمن جل وعلا سوى الرحمن، وهل يقدر أحد على الكلاءة سواه؟

ويقول الإمام القشيرى: تقرير عليهم بأن ليس بتداخل المخلوقين نجاتهم، وقد جرّبوا ذلك فى أحوال محنتهم، فكيف لا يتبرءون ممن ليس لهم شىء، ومما ليس منه نفع ولا ضر؟. وفى ذلك تنبيه للمؤمنين بأن مآربهم إلى الخيرات من نوعى النفع والدفع من الله عز وجل، فالواجب دوام اعتكافهم بقلوبهم بقوة كرمه وجوده.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قل من يكلؤ قلوبكم وأسراركم من الرحمن، أن يذهب بما أودع فيها من المعارف وأنوار الإحسان؟ فلا أحد يحفظها إلاّ من رحمها بما أودع فيها، ولهذا كان العارفون لا يزول اضطرارهم، ولا يكون مع غير الله قرارهم، لا يعتمدون على عمل ولا حال، ولا على علم ولا مقال.

﴿... أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ...﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ٨٣.

تجلى الحق تعالى لسره عليه السلام؛ فانكشف عنه لأنوار كرامته، فلم يجد للبلاء ألماً. فقال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ لفقدان ثواب البلاء والضر؛ إذ صار البلاء لي وطناً وعليّ نعمة.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو قول على المناجاة مستدعياً للجواب من الحق تعالى ليسكن إليه حين حبس الوحى عنه أربعون يومًا؛ فخشى الهجران من ربه عز وجل والقطيعة. فلما سلط الله تعالى البلاء على أيوب عليه السلام، وطال به الأمر أتاه الشيطان فقال: إن أردت أن تتخلص من هذا البلاء فاسجد لى سجدة، فلما سمع ذلك قال: «مسنى الشيطان بنصب وعذاب» ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ حين طمع الشيطان فى أن أسجد له.

ويقول سهل التسترى: أظهر الله تعالى فى أيوب عليه السلام البلاء، وأعطاه الصبر فلما أن قام بأحكام الصبر ورثه الرضا بالبلاء فصار شكواه إليه مناجاة له فى مس البلاء. والضر على وجهين: ضر ظاهر، وضر باطن. فالباطن حركة النّفس عند الوارد واضطرابها، والظاهر الآلام. وإذا تحرك الباطن تحت الوارد انزعج الظاهر بالصياح والدعاء.

ويقول ابن عطاء: استعذب الأولياء البلاء للمناجاة مع المولى عز وجل. لذلك قال الحسين بن على رضوان الله عليهما: «ذكر الله على الصفا ينسى العبد مرارة البلاء». وليس فى العقوبات شىء أشد من تبدد الهم.

ويقول الإمام القشيرى: لم يسلبه اسم الصبر؛ لأن الغالب كان من أحواله الصبر، ولولا أنك أرحم الراحمين لما خصصتنى بهذا، ولكن برحمتك أهلتنى لهذا. فلم يبق لى إلاّ لسان به أذكرك، أو قلب به أعرفك، وإذا لم يبق لى ذلك فلا يمكننى أن أعيش وأصبر!.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ من الضعف والانكسار والعجز.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾

سورة الأنبياء/ مكية/ الآية ١١٠.

كيف يخفى على الحق من الخلق خافية، وهو الذى أودع الهياكل أوصافًا من الخير والشر؛ والنفع والضر، فما يكتمونه أظهر عنده مما يبدونه، وما يبدونه قبل ما يكتمونه. جل الحق تعالى أن تخفى عليه خافية من عباده بحال. والله أعلم.

يقول الإمام القشيرى: لا يخفى عليه سركم ونجواكم، وحالكم ومآلكم، وظاهركم وباطنكم.. فعلى قدر استحقاقكم يجازيكم، وبموجب أفعالكم يحاسبكم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أى إنه عالم بكل شىء، يعلم ما تجهرون به من الطعن فى الإسلام وتكذيب الآيات، وما تكتمونه فى صدوركم من الأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه نقيرًا وقطميرًا.

سورة الحج

مدنية، وآياتها ثمان وسبعون آية.

وقـيل: مكية إلاّ ست آيـات نزلت بالمدينة، وهى: ﴿هَذَانِ خَـصْـمَـانِ﴾ إلـى ﴿صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾. وقد نزلت فى يوم بدر.

﴿... سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَى...﴾

سورة الحج/ مدنية/ الآية ٢.

﴿سُكَارَى﴾: أسكرهم رؤية الجلال، ومشاهدة الجمال.

يقول الإمام جعفر الصادق: أسكرهم ما شاهدوا من بساط العزم وسلطان الجبروت، وسرادق الكبرياء حتى ألجأ النبيين إلى أن قالوا: نفسى. نفسى.

ويقول الإمام القشيرى: كأنهم سكارى وماهم فى الحقيقة بسكارى، ولكن عذاب الله شديد، لشدته يحيرهم ولا يبقيهم على أحوالهم. وهم يتفقون فى تشابههم بأنهم سكارى، ولكن موجب ذلك يختلف؛ فمنهم من سكره لما يصيبه من الأهوال، ومنهم من سكره لاستهلاكه فى عين الوصال.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ من سكرات الموت، ذاهلين، مغشياً عليهم ﴿وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ فى الحقيقة من الشراب، ولكن من شدة العذاب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ترى أيها الناظر الناس سكارى من شدة الهول، كأنهم سكارى لما شاهدوا بساط العزة وسلطنة القهرية، وترى الناس سكارى من خمر المحبة؛ وماهم بسكارى من شراب الدوالى، لكن من خمر الكبير المتعالى.

سورة المؤمنون (قد أفلح)

مكية، وآياتها مائة وثمانى عشرة آية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٢.

الخلق متفاوتون فى درجاتهم ومنازلهم ومقامات خلقهم وصفاتهم، وقد كرم الله بنى آدم بصورة الملك والملكوت وروح النور، ونور المعرفة والعلم، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً.

يقول الإمام القشيرى: عرَّفهم أصلهم لئلا يُعجبوا بفعلهم، أو يخرجوا عن حدهم، ولا يغلطوا فى نفوسهم، خلقهم من سلالة من طين، ولكن معدن المعرفة ومرتع المحبة ومتعلق العناية منه لهم، خلقهم، ثم من حال إلى حال نقلهم. يُغير بهم ما شاء تغييره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾أو آدم عليه السلام؛ من سلالة كائنة من طين، لأنها تسل من الكدر؛ وإنما سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة؛ لأنه سل من كل تربة.

وقال أيضـا: خلق بنى آدم من الماء والتراب بين الأمر والثـواب، وبين الظلمة والنور، فعدل خلقهم، وزاد المؤمنين بإيمانهم نوراً مبنياً، وهدى وعلماً، وفضلهم على سائر العالمين، كـما نقلهم فى بدء خلقهم من حال إلى حال، وأظهـر فيهم الفطرة والآيات، وتكامل فـيهم الصنـع والحكمة والبـينات والتفـاوت، وتظاهر عليـهم الروح والنور والسبحـات منذ كـانوا تراباً ونطفة وعلـقة ومـضغـة، ثم جعلهم خلقاً سوياً إلى أن كملت فيهم المعرفة الأصلية فى قوله عز وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ﴾ إلى قـوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ سورة المؤمنون/ مكية/ الأية ١٤.

خلق الله تعالى الخلق فاعتدلهم عـلى أربعة أصول: الربع الأعلى هو الإلهية، والربع الثانى: آثار الربـوبية، والربع الثالث: النورية؛ بيّن فـيها التـدبير والمشيـئة والعلم والمعرفة، والفهم والعظمة والفطنة والفـراسة والإدراك، والتمييز ولغات الكلام، والربع الرابع: الحركة والسكون، كذلك خلقه فسواه.

يقول الإمام القشيرى: خلق سبحانه السموات والأرضين بجملتها، والعرش والكرسى، . مع المخلوقات من الجنة والنار بكليتها، ثم لما أخبر بذلك لـم يعقبه بهذا التمدح الذى ذكره بعد نعت خلقه بنى آدم تخصيصًا لهم وتمييزاً، وإفراداً لهم من بين المخلوقات.

﴿... ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٤.

فطر الله تعالى الأشياء بقدرته، ودبرها بلطيف صنعه، فأبدأ آدم عليه السلام كما شاء لما شاء، وأخرج منه ذرية على النعت الذى وصف من مضغة وعلقة، وبدائع خلقه، وأوجب لنفسه عند خلقته اسمه الخالق، وعند صنعه الصانع، ولم يحدثوا له إسمًا؛ بل كان موصوفًا بالقدرة على إبداء وإبداع الخلق، فلما أبدأهم أظهر اسمه الخالق للخلق؛ وأبرزه لهم، وكان هذا الاسم مكتوباً ومكنونًا لديه، مدعواً به فى أزله، سمى بذلك نفسه، ودعا نفسه به. فالخلق جميعًا عن إدراك وصف قدرته عاجزون، وكل ما وصف الله تعالى به نفسه فهو له، وهو أعز وأجل وأعلا، وأظهر للخلق من نعوته ما يطيقونه، ويليق بهم. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

يقول الإمام القشيرى: وهو أنه هيأهم لأحوال عزيزة يُظهرها عليهم بعد بلوغهم، إذا حصل لهم كمال التمييز من فنون الأحوال؛ فلقوم تخصيص بزينة العبودية، ولقوم تحرر من رق البشرية، ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية بامتحانهم عن الإحساس بما هم عليه وبه من الأحوال التى هى أوصاف البشرية.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ غير هذا المتقلب فى أطوار الخلقة بنفخ روحنا فيه وتصويره بصورتنا، فهو فى الحقيقة خلق؛ وليس بخلق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: خلقاً مباينًا للخلق الأول، حيث جعله حيواناً، وكان جماداً، وناطقاً وسميعاً وبصيراً، وكان بضد هذه الصفات.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ١٥.

مَلكُ الموت مُوكل بأرواح بنى آدم، ومَلكُ الفناء مُوكل بأرواح البهائم، وموت العلماء هو بقاؤهم، إلاَّ أنه استتار عن الأبصار، وموت المطيعين المعصية إذا عُرف من عصى.

يقول الإمام القشيرى: نعاك إلى نفسك، وكل ما هو آت فقريب. ويقال: كسر على أهل الغفلة سطوة غفلتهم، وفل دونهم سيف صولتهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ وللجماد مضاهون، وعن المكنة والمقدرة والاستطاعة والقوة لمبعدون، وفى عداد ما لا خطر له من الأموات معدودون.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ بالطبيعة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بعد ما ذكر من الأمور العجيبة، وبُعد منزلته فى الفضل ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ أى صائرون إلى الموت لا محالة.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ...﴾

سورة المؤمنون/ مكية/ الآية ٩١.

الصمدية ممتنعة من قبول ما لا يليق بها، لأن الصمدية تنافى أضدادها على الأبد، وهى ممتنعة عن درك معانيها، فكيف تبقى مع أضدادها وما لا يليق بها؟

يقول الإمام القشيرى: اتخاذ الأولاد لا يصح كاتخاذ الشريك، والأمران جميعًا داخلان فى حد الاستحالة، لأن الولد أو الشريك يوجب المساواة فى القدر، والصمدية تتقدس عن جواز أن يكون له مثل أو جنس.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ خلاف ما يقوله النصارى، والعرب التى قالت للملائكة بنات الله تعالى، عن قولهم علوًا كبيرًا. فهناك ثلاثة إذا تعددت فسد النظام: الإله والسلطان والطبيب، فلو تعدد الإله لفسد نظام العالم، ولو تعدد الملك لفسدت الرعية، ولو تعدد الطبيب لفسد العلاج.

سورة النور

مدنية، وآياتها أربع وستون آية.

﴿... مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ١.

إلهى أنزهك عما يقول فيك أولياؤك وأعداؤك جميعًا.

يقول أبو عبد الله الترمذى: من أخبر عن الله بما لا يليق به فقد أخرج نفسه عن حدود الأمانة، ودخل فى ميادين الخيانة، والله لا يحب الخائنين.

ويقول الإمام القشيرى: مبالغة فى الشكاية منهم لما أقدموا عليه بما تأذى به قلب الرسول ﷺ وقلوب جميع المخلصين من المسلمين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: قولاً لا حقيقة له، وقيده بالأفواه، مع أن الكلام لا يكون إلاّ بالفم، لأن الشىء المعلوم يكون فى القلب، ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلاّ قولاً يدور فى الأفواه، من غير ترجمة عن علم به فى القلب.

﴿الْخَبِيثَاتُ . . .﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٢٦.

الخبيث: الناظر إلى الخبائث بعين الطهارة.

يقول سهل التسترى: أى خبيثات القلوب للخبيثين من الرجال وخبيثو القلوب للخبيثات من النساء.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من الأعمال هى المحظورات، ومن الأحوال هى الحظوظ والمنى والشهوات لأصحابها والساعين لها. والساعون لمثلها لها؛ غير ممنوع أحدهما من صاحبه، فالصفة للموصوف ملازمة، والموصوف لصفته ملازم. ومن الأشياء هم الراضون بالمنازل السحيقة. ومن الأموال هى التى ليست بحلال لمن بها رتبته، وعليها تعتكف همته.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ وأما الطيبون المتنزهون عن الرذائل، فإنما تصدر عنهم الطيبات والفضائل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الأخلاق الخبيثة، مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال للخبيثين، والخبيثون للخبيثات فهم متصفون بها، وهى لازمة لهم.

﴿... وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣١.

زينة الدنيا وما فيها بالنسيان والغفلة والتأويل والشهوة والنفس والعدو، وأشباه ذلك؛ فهذه زينة الدنيا، ﴿لا يُبْدِينَ﴾ ولا يخفين شيئا من هذه الأحوال إلاّ ما ظهر منها على حد الغفلة.

يقول الإمام القشيرى: ما أباح الله سبحانه على بيان مسائل الفقه فمستثنى من الحظر، وما وراء ذلك فالواجب عليهن حفظ أنفسهن عن العقوبات فى الآجل، والتصاون عن أن يكنّ سببًا لفتنة قلوب عباده. والله سبحانه كما يحفظ أولياءه عما يضرهم فى الدين يصونهم عما يكون سببًا لفتنة غيرهم، فإن لم يتصل منهم نفع بالخلق فلا تصيب أحدًا بهم فتنة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا يجوز كل ما يستدعى فتنة للغير، من إظهار حال مع الله، مما هو زينة السريرة، فلا يظهر شيئًا من ذلك إلاّ لأهله، إلاّ إذا ظهر عليه شىء من غير إظهار منه، ولا قصد غير صالح. فلا يجوز إظهار العلوم التى يفتتن بها الناس؛ من حقائق أسرار التوحيد، ولا من الأحوال التى تنكرها الشريعة، فيوقع الناس فى غيبته.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٥.

قال الحسين بن منصور الحلاج فى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ منور قلوبكم حتى عرفتم ووجدتم، وختم تعالى بقوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فكان أول ابتدائه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾س إنى أنا مبتدئ النعم ومتممها، والآخر خاتمه، فالأول فضل، والآخر مشيئة، فهو المجتبى لأوليائه، والهادى لأصفيائه.

يقول الحسن البصرى: عنى بذلك قلب المؤمن وضياء التوحيد، لأن قلوب الأنبياء عليهم السلام أنور من أن توصف بمثل هذه الأنوار.

ويقول أبو سعيد الخراز: المشكاة هو جوف محمد ﷺ، والزجاجة قلبه، والمصباح النور الذى قد جعل الله فيه كأنها كوكب درى توقد من شجرة مباركة، والشجرة إبراهيم ﷺ جعل الله فى قلبه من النور ما جعل فى قلب محمد ﷺ.

ويقول سهل التسترى: مثل نور محمد ﷺ.

ويقول ابن عطاء: زين الله تعالى السموات باثنى عشر برجاً، وزين قلوب العارفين باثنى عشرة خصلة: الذهن، والانتباه، والشرح، والعقل، والمعرفة، واليقين، والفهم، والبصيرة، وحباء القلب، والرجاء، والحياء، والمحبة. فما دام هذه الروح قائمة يكون العالم على النظام والسعة. وكذلك ما دامت هذه الخصال فى قلب العارفين يكون فيها نور العافية وحلاوة العبادة.

ويقول محيى الدين بن عربى: النور هو الذى يظهر بذاته وتظهر الأشياء به، وهو مطلقاً اسم من أسماء الله تعالى باعتبار شدة ظهوره وظهور الأشياء به، كما قيل:

خفى لإفراط الظهور تعرضت　　لإدراكه أبصار قوم أخافش

وحظ العيون الزرق من نور وجهه　　كشدة حظ للعيون العوامش

ولما وجد بوجوده، وظهر بظهوره، كان نور السموات والأرض، أى: مظهر سموات الأرواح وأرض الأجساد، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة.

﴿... كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٥.

إن الله نور السموات والأرض، وهو نور النور، يهدى من يشاء بنوره إلى قدرته، وبقدرته إلى غيبه، وبغيبه إلى قدمه، وبقدمه إلى أزله وأبده، وبأزله وأبده إلى وحدانيته، ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ المشهود شأنه وقدرته تعالى وتقدس، يزيد من يشاء علمًا بتوحيده ووحدانيته وتنزيهه وإجلال مقامه وتعظيم ربوبيته.

يقول الإمام القشيرى: شبّه القنديل؛ الذى هو قلبه بالكوكب الدرى، وشبه إمداده بالمعرفة بالزيت الصافى الذى يمد السراج فى الاشتعال.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الكون كله من عرشه إلى فرشه قطعة من نور الحق، وسر من أسرار ذاته، مُلك وباطنه ملكوت فائض من بحر الجبروت، فالكائنات كلها: الله نورها وسرها، وهو القائم بها، ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من العارفين بالله، وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم لها رمزوا إليه، وتحققوه ذوقًا وكشفًا.

﴿... نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٥.

فى الرأس نور الوحى، وبين العينين نور المناجاة، وفى السمع نور اليقين، وفى اللسان نور البيان، وفى الصدر نور الإيمان، وفى الطبائع نور التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير، فإذا التهب شيء من هذه الأنوار غلب عليه النور الآخر؛ فأدخله فى سلطانه، فإذا سكن عاد سلطان ذلك النور أوفر وأتم مما كان، فإذا التهب جميعاً صار نوراً على نور ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾.

يقول الإمام القشيرى: نور اكتسبوه بجهودهم؛ بنظرهم واستدلالهم، ونور وجدوه بفضل الله فهو بيان أضافه إلى برهانهم، أو عيان أضافه إلى بيانهم، فهو نور على نور. وأراد به قلب محمد ﷺ، ونور معرفته موقد من شجرة مباركة هى إبراهيم عليه السلام.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: هذا المشرق بالإضاءة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت المشرق فى الأصل كأنه نور متضاعف.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أى، نور ملكوته على نور جبروته.

﴿... يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٣٧.

خلق الله تعالى القلوب والأبصار على التقليب، وجعل عليها أغطية وستوراً وأكنة وأقفالاً، ليهتك الستور بالأنوار، ويرفع الحجب بالأذكار، ويفتح الأقفال بالقرب. فإذا علمت أنه مقلّب القلوب والأبصار؛ فليكن شغلك فى النظر إلى أفعاله فيك، وتوق الخلاف والغفلة.

يقول النصر آباذى: النفوس فى التنقيل، والقلوب فى التقليب.

ويقول الإمام القشيرى: أقوام ذلك اليوم مؤجل لهم، وآخرون لهم مُعجل، وهو بحسب ما هم فيه من الوقت؛ فإن حقيقة الخوف ترقب العقوبات مع مجارى الأنفاس.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ إلى الأسرار ﴿وَالأَبْصَارُ﴾ إلى البصائر، بل تتقلب حقائقها بأن تفنى وتوجد بالحق، كما قال: «كنت سمعه وبصره» من ظهور البقية وبقاء الأنية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تضطرب وتتغير من الهول والفزع وتبلغ إلى الحناجر، وتتقلب الأبصار بالشخوص أو الزرقة. أو تتقلب القلوب إلى الإيمان بعد الكفران، والأبصار إلى العيان بعد النكران. فيخافون يومًا تتقلب فيه القلوب عن حضرة الله تعالى، والأبصار عن شهود الله، وذلك بشؤم الغفلة فى الدنيا عن الله، والقيام بحقوق الله، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا؛ فى جنة الزخارف، ويزيدهم من فضله التنزه في جنة المعارف. والله يرزق من المعلوم والمعارف من يشاء بغير حساب.

﴿... وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...﴾

سورة النور/ مدنية/ الآية ٥٤.

طاعة الرسول ﷺ فيها صلاح الكل، وهو المواظبة على الأوامر والفرائض، فإن الأنبياء عليهم السلام يعملون فى الفرائض، والمؤمنون يعملون فى الفضائل، والصديقون يعملون فى ترك النهى، والعارفون يعملون فى نسيان كل شىء غير الله تعالى.

يقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ فيما أمركم به من الهدى ﴿تَهْتَدُوا﴾ إلى الحق؛ الذى هو المقصد الأصلى الموصل إلى كل خير، والمنجى من كل شر. وترى بعض الناس يُقسمون بالله جهد أيمانهم: لئن ظهر شيخ التربية وأمرهم بالخروج عن أموالهم وأنفسهم ليخرجن، فلما ظهر تولوا وأعرضوا، فيقال لهم: فإن تولوا فإنما عليه ما حُمِّل من الدلالة على الله، والتعريف به، وعليكم ما حُملتم من الدخول تحت تربيته، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى معرفة الله بالعيان، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

سورة الفرقان

مكية، وآياتها سبع وسبعون آية.

﴿... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢.

أول ما خلق الله تعالى ذكره ستة أشياء فى ستة وجوه، قدّر بذلك تقديراً، الوجه الأول: المشيئة، خلقها على النور، ثم خلق النفس، ثم الروح، ثم الصورة، ثم الأحرف، ثم الأسماء، ثم اللون، ثم الطعم، ثم الرائحة، ثم خلق الدهر، ثم خلق المقادير، ثم خلق العماء، ثم خلق النور، ثم الحركة، ثم السكون، ثم الوجود، ثم العدم، ثم على هذا خلقاً بعد خلق المقدار على الوجوه الأخر، أول ما خلق الله تعالى الدهر، ثم القوة، ثم الجوهر، ثم الصورة، ثم الروح، هكذا خلقاً بعد خلق فى كل وجه من السنة خلقهم فى غامض علمه، لا يعلمه إلاّ هو، قدرهم تقديراً؛ وأحصى كل شىء علماً.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ على قدر قبول بعض صفاته، ومظهرية بعض كمالاته دون بعض، أى: هيأ استعداداتهم لما شاء من كمالاتهم التى هى صفاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أحدث وأظهر كل شىء فهيأه لما أراد من الخصائص والأفعال اللائقة به، ﴿تَقْدِيراً﴾ بديعًا لا يقادر قدره، ولا يُبلغ كنهه؛ كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك، والنظر والتدبير فى أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة، والدلائل على قلوبهم، ومن العروج بروحهم إلاّ عدم التحقق بالعبودية الكاملة لربهم حتى يكونوا مع مراده؛ لا مع مرادهم.

﴿... وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا...﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٣.

واعلم أن الأشياء ليست بأنفسها قائمة؛ بل بمقيم لها. وكيف لا تكون كذلك، وهى لا تملك لأنفسها ضراً ولا نفعًا، فإذا نظرت إلى ما يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، بغير مالك ضر ونفع؛ فقد صرفت الإلهية إلى غير مستحقها.

يقول الإمام القشيرى: اتخذوا من دون الله تعالى آلهة لا يملكون قطميرًا، ولا يخلقون نقيرًا، ولا يدفعون عنهم كثيرًا ولا يسيرًا، ولا ينفعونهم ولا يسهلون عليهم عسيرًا، ولا يملكون لأحد موتًا ولا نشورًا.

ويقول الإمام بن عجيبة: لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضر عنها، ولا جلب نفع لها. وهذا بيان لغاية عجزهم وضعفهم، فإن بعض المخلوقين ربما يملك دفع ضر وجلب نفع فى الجملة، وهؤلاء لا يقدرون على شىء البتة، فكيف يملكون نفع من عبدهم، أو ضرر من لم يعبدهم. فكل من ركن إلى غير الله، أو مال بمحبته إلى شىء سواه، فقد اتخذ من دونه إلهًا يعبده من دون الله، وكل من رفع حاجته إلى غير مولاه، فقد خاب مطلبه ومسعاه؛ لأنه تعلق بعاجز ضعيف لا يقدر على نفع نفسه، فكيف ينفع غيره؟. ومن لا يستطيع أن يرفع حاجته عن نفسه، فكيف يكون لها من غيره رافعًا؟.

﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً...﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢٠.

المحنة لخواص أوليائه، والفتنة لعامة الناس. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

يقول أبو الحسين النورى: الفتنة هو الاشتغال بشىء سوى الحق تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: فَضَّلَ بعضًا على بعض، وأمر المفضول بالصبر والرضاء، والفاضل بالشكر على العطاء. وخص قومًا بالبلاء وجعلهم فتنة لأهل البلاء، وخص قومًا بالعوافى، وآخرين بالأسقام والآلام، فلا لمن نعّمه مناقب، ولا لمن امتحنه معايب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إنما جُعلت الرسل مفتقرين للمادة، وفقراء من المال، يمشون فى الأسواق لطلب المعاش ابتلاء وفتنة واختبار لمن تبعهم، فالحكمة من فقر الرسل من المال تحقيق الإخلاص لمن تبعهم، وإظهار المزية لهم، حيث تبعوهم بلا حرف. فالطريق الجادة التى درج عليها الأنبياء والأولياء هى سلوك طريق الفقر والتخفيف من الدنيا؛ إلا قدر الحاجة بعد التوقف والاضطرار، ابتداء وانتهاء حتى تحققوا بالله عز وجل، ومنهم من أتته الدنيا بعد التمكين فلم تضره.

﴿... وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٢٠.

وكسا كل شيء كسوة فاتنة لا ينفك منها إلا من عصمة الله تعالى؛ وهو اضطرار في الأحوال لا اختيار في التلذذ بالشواهد والأعراض.

يقول الإمام القشيري: بحكمه تعالى لا بجرمهم، وبفضله لا بفعلهم، وبإرادته لا بعبادتهم، وباختياره لا بأوضارهم، وبأقداره لا بأوزارهم، وبه لا بهم. فمن ساعده التوفيق صبر وشكر، ومن قارنه الخذلان أبى وكفر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: دبر الله تعالى خلقه وخص كلا بما شاء؛ ليظهر من يسلّم له حُكمه وقسمته، ومن ينازعه في ذلك، ومن يؤدي حق ما توجه عليه من ذلك، فيكون شاكرًا صابرًا، ومن لا، وهو أعلم بحكمته في ذلك عالما بالحكمة فيما يبتلى به، أو بمن يصبر ويجزع.

﴿... فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾

سورة الفرقان/ مكية/ الآية ٥٩.

هم الذين أقامهم الله تعالى فى البلاد أدلة للعباد، منهم من يدل على آداب سبل الحق، ومنهم من يدل على شرائع الإيمان، ومنهم من يدل على الحق، وهو الدليل على الحقيقة لأن الكل محتاجون إليه، وهو مستغن عنهم؛ يرجعون إليه فى السؤال، ولا يسأل هو أحدًا، كالخضر عليه السلام ونظرائه، لأنه أوتى العلم اللدنى.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ اسأل عارفاً به يخبرك بحاله، واسأله فى حالة كونه عالما بكل شىء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: سل عنه عارفًا خبيراً به، يُخبرك برحمانيته. وكانوا ينكرون اسم الرحمن ويقولون: لا نعرف الرحمن إلاّ الذى باليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأمر نبيه أن يسأل من له خبرة وعلم بالكتب المتقدمة عن اسم الرحمن. والرحمن من نفر المشركون عن الخضوع له، ما يُبين عظمته وكبريائه، ونفوذ قدرته المستوجبة للخضوع والانقياد له رداً على امتناع الكفرة منه.

سورة الشعراء

مكية، وآياتها مائتان وعشرون آية.

إلاَّ: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فهى مدنية

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ...﴾

سورة الشعراء/ مكية/ الآية ٢١٦.

تبرأ كل نبى عمن عصاه من ذريته إلاّ النبى ﷺ؛ لشرف محله. فقال: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أى: خالفوك بعد الإقرار بارتكاب محرم فقل: «إنى برئ من أعمالكم لا يرى منكم؛ فإن لك محل الشفاعة، والشفاعة تزيل عنهم ظلمات المعاصى».

يقول الإمام القشيرى: لا تفعل مثل فعلهم، وكل حسابهم إلينا إلاّ فيما أمرناك بأن تقيم فيه عليهم حدًا، فعند ذلك لا تأخذك رأفة تمنعك من إقامة حدنا عليهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾لاستحكام الرين وتكاثف الحجاب، فتبرأ عن حولهم وقوتهم وحولك وقوتك؛ بالتوكل والفناء فى أفعاله تعالى، فإنهم وإياك لا يقتدرون على ما لم يشاء الله، ولا يكون إلاّ ما يريد، وشاهد فى توكلك وفنائك عن أفعالك مصادر أفعاله من العزة التى يقهر بها من يشاء من العصاة، فيحجبهم ويمنعهم من الإيمان والرحمة التى يرحم بها ويُفيض النور على من يشاء من أهل الهداية، فإنه يحجب المحجوبين بقهره وجلاله، ويُهدى المهتدين بلطفه وجماله، وليس لك من الأمر شىء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ أى: أنذر قومك؛ فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم؛ من الشرك وغيره. وينبغى لمن أهل للوعظ والتذكير أن يبدأ بالأقرب فالأقرب، ولو علم أنه لا ينتفع به إلاّ النزر القليل. فمن تبعه على مذهبه فليلن له جانبه وليتواضع له، ومن أعرض عنه واشتغل بهواه فليتبرأ من فعله، ولا ينساه من نصحه.

﴿... سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾

سورة الشعراء/ مدنية/ الآية ٢٢٧.

سُئل الحسين بن منصور الحلاج عن حاله أثناء محاكمته، فأجاب: أن محمد بن خفيف قد تعصب لله تعالى، وسيؤجر على ذلك، وأما أبو القاسم الجنيد فقد قال: إنه كذب، ولكن ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

يقول ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا؛ ما الذى فاته منا. فالظالم لنفسه الذى يشكر على نعم غير الله تعالى.

ويقول الإمام القشيرى: سيعلم الذين ظلموا سوء ما عملوا، ويندمون على ما أسلفوا، ويصدقون بما كذّبوا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أى مرجع يرجعون إليه، وهو تهديد شديد، ووعيد أكيد. فكيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان؟.

سورة النمل

مكية، وآياتها ثلاث وتسعون آية.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾

سورة النمل/ مكية/ الآية ٢٩.

قول بسم الله منك بمنزلة كن منه تعالى، فإذا أحسنت أن تقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ تحققت الأشياء بقولك: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كما تحقق بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾. لما قال الحق تعالى للقلم اكتب. قال: ما أكتب. قال: أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. أى: بك طُهِّرت جميع الأشياء لا بغيرك.

يقول الإمام القشيرى: الكرم نفى الدناءة، لأنه كان مختومًا، ولأنه كتب فيه اسم نفسه أولاً ولم يقل: إنه من سليمان إلى فلانة. ولم يكن فى الكتاب ذكر الطمع فى الملك، بل كان دعاء إلى الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: وصفته بالكرم لكرم مضمونه، إذ هو تعالى حق، أو لأنه من ملك كريم، أو لكونه مختومًا. قال عليه الصلاة والسلام «كرم الكتاب ختمه». أو لكونه مصدرًا بالتسمية، أو لغرابة شأنه ووصوله على وجه خرق العادة. ومن لا خصوصية له صدت كلامه الآذان. قالت حين أرادت التذكير؛ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾ فى قلبى ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ وعلم عظيم، فلا تعل علىّ وأتونى مسلمين، منقادين لما أمركم به.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ...﴾

سورة النمل/ مكية/ الآية ٥٩.

ما من نعمة إلاّ والحمد أفضل منها، والحامد هو النبى عليه أفضل السلام، والمحمود هو الله جل جلاله، والحامد العبد؛ والحمد حاله الذى يوصل بالمزيد.

يقول سهل التسترى: هم أهل القرآن الكريم يلحقهم من الله السلام فى العاجل بقوله: ﴿وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ وسلام فى الآجل وهو قوله تعالى: ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ سورة يس/ مكية/ الآية ٥٨.

ويقول ابن عطاء: من سلم الله عليه فى الأزل سلم من المكاره فى الأبد.

ويقول الإمام القشيرى: هم الذين سلم عليهم فى آزاله وهم فى كتم العدم، وفى متناول علمه ومتعلق قدرته، ولم يكونوا أعياناً فى العدم ولا أفادوا، فلما أظهرهم فى الوجود سلم عليهم بذلك السلام، ويُسمعهم فى الآخرة ذلك السلام. والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشكوك والشبه، وسلموا من فنون البدع، ومن وجوه الألم، ثم من ظنون الزلل وصنوف الخلل، ثم الغيبة والحجبة وما ينافى دوام القربة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بظهور كمالاته وتجليات صفاته على مظاهر مخلوقاته ﴿وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ بصفاء استعداداتهم وبراءتهم من النقص والآفة، فالحمد مطلقاً مخصوص به لكون جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الأكوان صفاته الجمالية والجلالية ليس لغيره فيها نصيب، وصفاء ذوات المصطفين من عباده ونزاهة أعيانهم عن نقص الاستعداد، وآفة الحجاب سلامه عليهم وحصول الأمرين للمظهر التام النبوى بالفعل هو قوله ذلك مأموراً به من عين الجمع فى مقام التفصيل، منتقلاً من مقام التفصيل لعين الجمع، مبتدئاً منه وراجعًا إليه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الذى كشف الحجب عن قلوب أوليائه، وسلام على عباده الذين اصطفاهم لحضرته.

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾

سورة النمل/ مكية/ الآية ٦٢.

من شاهد اضطراره فليس بمضطر، حتى اضطر فى اضطراره عن مشاهدة اضطراره بمشاهدة من إليه اضطراره.

يقول ذو النون المصرى: هو الذى قطع العلائق عما دون الله.

ويقول سهل التسترى: أهل الدعوة صنفين من الناس: مستجابة دعوتهم لا محالة وهم: مؤمناً وكافراً، دعاء المضطر، ودعاء المظلوم، أما دعاء المظلوم فهو يرفع فوق الحجاب. والمضطر هو المنبرى من الحول والقوة والأسباب المذمومة. والذى إذا رفع يده لا يرى لنفسه حسنة غير التوحيد، ويكون منه على خطر.

ويقول عمرو المكى: أوجب الله على نفسه أن لله أعين بصفة الخصوص للإجابة وهو المضطر، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

ويقول ابن عطاء: فى هذه الآية الكريمة أحوال المضطر أن يكون كالغريق، أو كالمعطل فى مقابره قد أشرف على الهلاك. وكمثل الطفل يلعب بين يدى أبويه ويلهو، فإذا أصابته نائبة فزع إلى الأبوين لا يرى سواهما مفزعا كذلك الموت يتقلب فى العوافى، وإذا بدا له عين من أعين البلاء فزع إلى ربه مضطراً لأنه لا يرى سواه مفزعًا.

ويقول الإمام القشيرى: فصل بين الإجابة وبين كشف السوء؛ فالإجابة بالقول والكشف بالطول، الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام. ودعاء المضطر لا حجاب له، وكذلك دعاء المظلوم؛ ولكن «لكل أجل كتاب».

ويقول الإمام ابن عجيبة: الاضطرار الحقيقى الذى لا تتخلف الإجابة عنه فى الغالب: هو أن يكون العبد فى حال شدته كالغريق فى البحر وحده، لا يرى لغياثه غير سيده.

سورة القصص

مكية، وآياتها ثمان وثمانون آية.

إلا: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فهى مدنية.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ...﴾

سورة القصص/ مكية/ الآية ٢٤.

إنى بما خصصتنى به ربى من علم اليقين؛ فقير إلى أن تردنى إلى عين اليقين وحقه.

يقول الإمام جعفر الصادق: فقير إليك طالب منك زيادة الفقر إليك، لأنى لم استغن عنك بشىء سواك. فقير فى جميع الأوقات غير راجع إلى الكرامات والآيات دون الفقر إليك والإقبال عليك.

ويقول ابن عطاء: نظر من العبودية إلى الربوبية فخشع وخضع وتكلم بلسان الافتقار بما ورد على سره من أنوار الربوبية، فافتقاره افتقار العبد إلى مولاه فى جميع أحواله، لا افتقار سؤال ولا طلب.

يقول محيى الدين بن عربى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من مشرب ذوقه ومنهل كشفه بالإفاضة على جميع القوى من فيضه، لأن القلب إذا ورد منهلاً ارتوى من فيضه فى تلك الحالة جميع القوى؛ وتنورت بنوره ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ﴾ من مقامه ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ أى: ظل النفس فى مقام الصدر مستحقراً لعلمه المعقول بالنسبة إلى العلوم الكشفية، مستمداً من فضل الحق ومقامه القدسى والعلم اللدنى الكشفى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: سقى غنمهما لأجلهما؛ رغبة فى المعروف وإغاثة الملهوف، روى أنه نحى القوم عن رأس البئر، وسألهم دلوًا، فأعطوه دلوهم، وقالوا: استق به، فاستقى بها وصبها فى الحوض، ودعا بالبركة. ﴿ثُمَّ﴾ لما سقى لهما ﴿تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾؛ ظل الشجرة وفى الآية الكريمة دليل على جواز الاستراحة والاستظلال فى الدنيا.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ...﴾

سورة القصص/ مكية/ الآية ٤٦.

فى هذه الآية الكريمة تمت مخاطبة القدرة فى عين العدم.

يقول ابن عطاء: أجبنا سؤال من دعانا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظم محلك.

ويقول النصر آباذى، عن ابن عائشة، عن أبو سعيد القرشى: يريد الله من الخلق أن لا يعلقوا سرهم بشىء من الدنيا والآخرة والكرامات والدرجات والأحوال، كأن يكونوا خيراً كونهم لم يكونوا حين كان لهم بقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ من نودى، هل نودى إلاّ أشباحًا مقدورة بعلمه فرضى منهم حين كونهم أن يكونوا قائمين به قد نسوا إلاّ فى جنب وجوده.

يقول الإمام القشيرى: ما طلبه موسى عليه السلام لأمته جعلناه لأمتك، وكما نادينا موسى ـ وهو فى الوجود والظهور ـ ناديناكم وأنتم فى كتم العدم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ما كنت جانب غروب الشمس: شمس الذات الأحدية فى عين موسى عليه السلام، واحتجابها بعينه فى مقام المكالمة لأنه سمع النداء من شجرة نفسه، ولهذا كانت قبلته جهة المغرب؛ ودعوته إلى الظواهر التى هى مغارب شمس الحقيقة بخلاف عيسى عليه السلام.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ أى: ما كنت يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ المكان الغربى من ﴿الطُّورِ﴾ الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ بأمرك، وأخبرنا بنبوتك.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾

سورة القصص/ مكية/ الآية ٧٣.

حفظك أنفاسك وأزفاتك وساعاتك، وما هو بك وما أنت فيه، فمن عرف من أين جاء عرف أين يذهب، ومن علم ما يَصنع علم ما يُصنع به، ومن علم ما يصنع به علم ما يُراد منه، ومن علم ما يُراد منه علم مَاله، ومن علم ماله علم ما عليه، ومن علم ما عليه علم ما معه، ومن لم يعلم من أين جاء وأين هو وكيف هو ولمن هو، ومما هو وما هو وإلى أين هو، فذلك ممن لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم؛ ويظن أنه يعلم. أهمل أوقاته وترك ما نذره الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾.

يقول الإمام القشيرى: الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال والأحوال؛ فالظروف من الزمان متجانسة، وإنما الاختلاف راجع إلى أعين ما يحصل فيها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالغفلة والحضور فى مقام القلب، والاستتار والتجلى فى مقام الروح.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ﴾ تعالى أن ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ فى الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ بالنهار بأنواع المكاسب. ودوام ليل القبض يمحق البشرية، ودوام نهار البسط يُغطى النفس وتخالفهما على المريد رحمة، وإخراجه عنهما عناية.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ...﴾

سورة القصص/ مكية/ الآية ٨٥.

إن الذى فرقـك برسم الإبلاغ للخلق؛ سيـردك إلى معنى الجـمع بالفناء عن مـلاحظتهم والتـرسم مـعك على حد الإبلاغ بـرسومـهم بتخـصـيصك بالمقـام الأخص والبيان الأخلص.

يقــول ابـن عطاء: إن الذى يسر عليك الـقرآن المجيد قـادر أن يردك إلى وطنك الذى منه ظهرت؛ حـتى تشاهده بسـرك على دوام أوقاتك. وإن الذى حـفظك فى أوقات المخـاطبة ﴿لَرَادُّكَ﴾ إلى وطنك من المشاهدة.

ويقول الإمام القـشيرى: فى الظاهر إلى مكة، وأما فى السـر والإشارة فإنه ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُـرْآنَ﴾ أى: يسر لك قراءة القرآن، والمعـاد: هو الوصف الذى كانت عليه روحك قبل حلول شجنك من ملادغات القرب ومطالعات الحق. وقيل: الذى ينصبك بأوصاف التفرقة بالتبليغ وبسط الشريعة لرادك إلى عين الجمع بالتحقق بالحق والفناء عن الخلق.

ويقول مـحيى الدين بـن عربى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أوجب لك فـى الأزل عند البداية والاستعداد الكامل؛ الذى هو العقل القرآنى الجامع لجميع الكمالات وجوامع الكلم والحكـم ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ ما أعظمه، لا يبلغ كنهه ولا يقدر قدره، هو الفناء فى الله فى أحدية الذات والبقاء بالتحقق به بجميع الصفات.

ويقول الإمـام ابن عجيـبة: أهل الاشتياق يُروحون أرواحـهم بهذه الآية الكريمة، فيقولون لهـا: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أن تعمل به فـى الدنيا، ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ جسـمانى روحانى، فتصل نظرته ونظرتك إلى وجه الحبيب من غير عزول ولا رقيب.

سورة الروم

مكية، وآياتها ستون آية.

بعث كسرى جيشًا إلى الروم، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم. فلما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأُعجب المؤمنون بظهور الروم على فارس، فنزلت آى الذكر الحكيم، وكانت سورة الروم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ...﴾

سورة الروم/ مكية/ الآية ٤٠.

خلقكم بقدرته ورزقكم بمعرفته وأماتكم عن الأغيار وأحياكم به. وقال: الرزق فى الدنيا الحياة واللذة ثم الشهوة والعيش، والرزق فى الآخرة المغفرة والرضوان، ثم تكون بعدها الدرجات.

يقول الإمام جعفر الصادق: حرككم إلى إظهار آثار الربوبية فيكم.

ويقول سهل التسترى: أفضل رزق العبد سكونه مع رازقه.

ويقول أبو الحسين الوراق: أخبر الله عن ابتداء خلقك أنه خلقك ثم أخبرك أنه سواك، ثم أخبر أنه رزقك، ثم أخبر عن فنائك أنه يميتك، ثم أخبر عن بعثك أنه يحييك، فهو الأول فى خلقك ورزقك وموتك وحياتك لترجع إليه فى جميع مهماتك ولا تخرج عن سواه.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿ثُمَّ﴾حرف يقتضى التراخى؛ وفى ذلك إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك؛ كنت فى ضعف أحوالك ابتداء ما خلقك، فأثبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أظهركم ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ ما تقوم به أبدانكم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ...﴾

سورة الروم/ مكية/ الآية ٤٦.

من علامات ربوبيته أن يرسل رياح شفقته إلى قلوب أوليائه مبشرة لهم بهتك حجب الاحتشام ليطؤوا بساط المودة من غير حشمة، فيسقيهم على ذلك البساط شراب الأنس، وتهب عليهم رياح الكرم، فينفيهم عن صفاتهم ويجيئهم بصفاته وبنعوته، فإن بساط الحق تعالى لا يطأه من هو مقيم على حد الافتراق حتى يرى العيون كلها عيناً واحداً، ويرى ما لم يكن كما لم يكن، وما لم يزل كما لم يزل.

يقول ابن عطاء: يرسل الرياح المكنونة فى خزانته على أرواح أهل صفوته فيبشرهم بمحل التمكن والتمكين.

ويقول النصر آباذى: هو أن يظهر عليك أوائل الاسترواح إلى ذكره فيكون ذلك بشارة بالوصول إلى المذكور.

ويقول الإمام القشيرى: يرسل رياح الرجاء على قلوب العباد فتكنس عن قلوبهم غبار الخوف وغثاء اليأس، ثم يرسل عليها أمطار التوفيق فتحملهم إلى بساط الجهد، وتكرمهم بقوى النشاط. ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيطهرها من وحشة القبض، وينشر فيها إرادة الوصال. ويرسل رياح التوحيد فتهب على أسرار الأصفياء فيطهرها من آثار العناء، ويبشرها بدواء الوصال. فذلك ارتياح به ولكن بعد اجتياح عنك.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ومن آيات فتحه على أوليائه أن يرسل رياح الهداية، ثم رياح التأييد، ثم رياح الواردات تحمل هدايا التعرفات، مبشرات بالفتح الكبير، والتمكين فى شهود العلى القدير، وليذيقكم من رحمته؛ وهى حلاوة معرفته.

سورة السجدة (فصلت)

مكية، وآياتها ثلاثون آية.

إلا: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ نزلت بالمدينة، ونـزلت فى على بن أبى طالب والوليد بـن عقبـة. أما باقى الآيات فنزلت فى المتهـجدين الذين يقـومون الليل إلى الصلاة فى وقت غزوة تبوك. وتسمى أيضاً سورة فصلت.

﴿... يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾

سورة السجدة/ مكية/ الآية ١٦.

خوف الأنبياء والأولياء وأرباب المعارف خوف التسليط، وخوف الملائكة خوف مكر الحق تعالى، وخوف العامة خوف تلف النفس، والرجاء والطمع عين التهمة.

يقول الإمام جعفر الصادق: خوفًا منه، وطمعًا فيه.

ويقول سهل التسترى: خوفًا من هجرانه، وطمعًا فى لقائه.

ويقول ابن عطاء: قوم يدعونه خوفاً من سخطه، وطمعًا فى ثوابه. والأوساط يدعونه خوفاً من اعتراض الكدورة فى المحبة وصفاء المعرفة. والأجلة يدعونه خوفًا من قطعه؛ وطمعًا فى دوام الوداد: لأن الخوف من شرائط الإيمان.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ فى الظاهر عن الفراش قيامًا بحق العبادة والجهد والتهجد، وفى الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال، ورؤية قدر النفس، وتوهم المقام. فإن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة، وهو للعبد سم قاتل، فلا يساكنون أعمالهم، ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مألفهم، ويهجرون فى الله معارفهم.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ بالتوجه إلى التوحيد فى مقام القلب خوفًا من الاحتجاب بصفات النفس بالتلوين ﴿وَطَمَعًا﴾ فى لقاء الذات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الداعين لأجل خوفهم من سخطه، ﴿وَطَمَعًا﴾ فى رحمته تعالى. وهم المتهجدون أو المتفكرون فى الليل.

سورة الأحزاب

مدنية، وآياتها ثلاث وسبعون آية. بتقديم السين آية.

وعن أُبىّ أنه قال: كم تعدون سورة الأحـزاب؟.. قالوا: ثلاثًا وسبعين. قال: فوالذى يحلف به أُبَى إن كانت لتـعدل سورة البقرة، أو أطول. ولقـد قرأنا منها آية الرجم: الشيخ والشيـخة إذا زنيا فارجموهما ألبـتة؛ نكالاً من الله، والله عزيز حكيم. أراد أُبىّ أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن الكريم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٢٣.

فى قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾. هو أن يترك الصادق إرادته لإرادة الله تعالى واختياره لاختياره، ومحابه لمحابه، وتدبيره لتدبيره، حتى يرى من قلبه ونفسه وجميع جوارحه أنه لا يريد إلاّ ما أراد الله عز وجل، يصح له ذلك قوله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

يقول عبد الله الرازى: ثلاثة من علامات الصدق والوصول إلى منازل الأنبياء عليهم السلام، وذلك: إسقاط قدر الدنيا والمال من قلبك؛ حتى يصير الذهب والفضة عندك كالمدر والتراب متى ظفرت به صببته على الخلق كهيئة التراب، والثانى: إسقاط رؤية الخلق من قبلك حتى كأنهم كلهم أموات؛ وأنت وحدك على وجه الأرض تعبد ربك ولا تلتفت إلى مدحهم، ولا تزيد ولا تنقص شيئا من أفعالك بسبب كلامهم، والثالث: إحكام سياسة نفسك بخالصة العداوة لها وقطع الشهوات واللذات عنها حتى يكون فرحك فى الجوع وترك الشهوات، كفرح أبناء الدنيا بالشبع ونيل الشهوات، فعندها لزمت طريق الصادقين من المريدين، وستصل إلى فوائد الله تعالى وكرامته.

ويقول الإمام القشيرى: شكر صنيعهم فى المراس، ومدح يقينهم عند شهود الباس، وسماهم رجالاً إثباتًا لخصوصية رتبتهم، وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحلة والمنزلة، فمنهم من خرج من دنياه على صدقه، ومنهم من ينتظر حكم الله تعالى فى الحياة والممات، ولم يزيغوا عن عهدهم، ولم يراوغوا فى مراعاة حدهم؛ فحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: شكر سبحانه صنيعهم فى المراس، ومدح يقينهم عند شهود الناس، وسماهم رجالاً، إثباتًا لهم بالخصوصية فى الرتبة، وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بعلو الحال، فمنهم من خرج من دنياه على صدقه، ومنهم من ينتظر حكم الله فى الحياة والممات، وحقيقة الصدق: حفظ العهد وترك مجاوزة الحد، واستواء السر والجهر.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٣٥.

الصادق الظاهر له القدرة، يظل عند ربه. يطعمه من نوره، ويسقيه شراباً طهوراً، أولئك الأقوياء الذين لا يحتاجون إلى الطعام ولا الشراب ولا يموتون.

يقول الإمام جعفر الصادق: من يصف لك خير الآخرة لا خير الدنيا، ويدلك على حسن الأخلاق؛ لا على سيئها، ويعطيك قلبه لا جوارحه.

ويقول سهل التسترى: الإيمان أفضل من الإسلام، والتقوى فى الإيمان أفضل من الإيمان، واليقين فى التقوى أفضل من التقوى، والصدق فى اليقين أفضل من اليقين، وإنما تمسكتم بادئاً بالإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم.

ويقول ابن عطاء: لم يبلغ أحد إلى مقام الصدق بالصوم والصلاة، ولا بشىء من الاجتهاد. ولكن الوصول إلى مقام الصدق يكون بطرح النفس بين يديه. وقال: أنت! أنت!.. ولابد لنا منك.

ويقول أبو بكر الشبلى: الصادق من يكون مواصلاً للأحزان، وقلبه منفرد بالرحمن.

ويقول الإمام القشيرى: الإسلام هو الاستسلام والإخلاص والمبالغة فى المجاهدة والمكابدة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من فوض أمره إلى الله تعالى فهو داخل فى قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، ومن أقر بأن الله ربه، وأن محمداً رسوله، ولم يخالف قلبه لسانه فهو من المؤمنين والمؤمنات، ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾، ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله: ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾، ومن صبر على الطاعة وعن المعصية، وعلى الذرية فهو من ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ...﴾

سورة الأحزاب/ مدنية/ الآية ٧٢.

قال فارس عن الحسين بن منصور الحلاج: فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، عرض الأمانة على الخلائق والجمادات، فأشفقوا وهربوا وظنوا أن الأمانة تحمل بالنفوس، وكشف لآدم عليه السلام أن حمل الأمانة بالقلب لا بالنفس، فقال: أنا أقبلها فإن القلب موضع نظر الحق تعالى؛ واطلاعه، فإذا أطاق ذلك يطيق حمل الأمانة، فإن الأمانة حدث، واطلاع الحق وتجليه لم تطقها الجبال وطاقتها القلوب، وأنشد فارس:

حملتم القلب ما لا يحمل البدن   والقلب يحمل ما لا يحمل البدن

يا ليتنى كنت أدنى من يلوذ بكم   عينًا لأنظركم أم ليتنى أذن

يقول الحسن البصرى: رأيتهم والله قد اشتروا الأمانة بأموالهم ووسعوا لها دورهم، وضيقوا قبورهم وأهزلوا ذنبهم وأنصبوا أنفسهم إلى باب السلطان بالغدوة والرواح بالمطارق العتاق والعمائم الرقاق يتعرضون للبلاء وهم من الله فى عافية، ويبكى أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله، ما له حرام وخدمته سخرة، ثم إذا بلغت به ونزلت بطنه يقول: يا غلام أتتنا بشىء يهضم طعامنا؛ أطعامك يهضم أم دينك معه. ألم يهمك إذن الأمانة التى حملتها حتى اختلت. هيهات ما أبعدك عن طريق المتقين؛ وأجهلك بسيرة المؤمنين.

ويقول ابن عطاء: الأمانة هو تحقيق التوحيد على سبيل التفريد.

ويقول الإمام القشيرى: هنا إضمار، أى: أهل السموات والأرض والجبال. والأمانة: القيام بالواجبات أصولها وفروعها. والتوحيد عقدًا، وحفظ الحدود جهداً. فلما عرض الحق تعالى الأمانة على الخلق علق آدم بها همته، فصرف بهمته جميع المخلوقات عنها.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ بإيداع حقيقة الهوية عندها واحتجابها بالتعينات بها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الأمانة التى عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال هى شهود أسرار الربوبية فى الباطن، والقيام بآداب العبودية فى الظاهرة.

سورة فاطر (الملائكة)

مكية، وآياتها خمس وأربعون آية.

ويطلق عليها سورة الملائكة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ...﴾

سورة فاطر/ مكية/ الآية ١٥.

على مقدار افتقار العبد إلى الله تعالى يكون غناه بالله فى كل شىء، والفقر إليه فى كل شىء، والرجوع إليه فى كل شىء. فكلما ازداد افتقارا ازداد غنى.

يقول ذو النون المصرى: الخلق محتاجون إليه فى كل نفس وخطرة ولحظة.

ويقول سهل التسترى: لما خلق الله تعالى الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر، فمن ادعى الغنى حجب عن الله، ومن أظهر فقره إلى الله أوصل فقره بغناه؛ ويصح إظهار الفقر فى ثلاثة: فقرهم القديم، وفقرهم فى حالهم، وفقرهم فى موت أنفسهم من تدبيرهم، ومن لم يكن كذا فهو مدع فى فقره. فأنتم الفقراء إليه فى كل نفس، ينبغى للعبد أن يكون مفتقراً إليه بالسر، ومنقطعا إليه من غيره حتى يكون عبوديته محضة، والعبودية هى الفقر والذل والخضوع.

ويقول الجنيد البغدادى: قد عجزت عن علم العبودية كيف ترك علم الربوبية، والربوبية: العلم والقدرة والقهر والمشيئة. والعبودية: العجز والفاقة والضعف والضرورة، ولا يستطيع أن يدفع الضرورة من ضعفه ومن عجزه، ولا يقدر على دفع فاقته.

ويقول أبو بكر الشبلى: الفقر بحر البلاء، وبلاؤه كله عز.

ويقول الإمام القشيرى: الفقر على ضربين: فقر الخلقة، وفقر الصفة؛ فأما فقر الخلقة فهو عام لكل أحد، فكل مخلوق مفتقر إلى خالقه، فهو قد حصل من العدم، وهو مفتقر إليه تعالى ليبديه وينسيه، ثم بعد ذلك مفتقر - فى حال بقائه إليه - ليديمه ويقيه. أما فقر الصفة فهو التجرد، ففقر العوام التجرد من المال، وفقر الخواص التجرد من الأعلال. ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والخضوع. والفقر المحمود هو العيش مع الله تعالى براحة الفراغ على سرمد الوقت من غير استكراه شىء منه بكل وجه.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا . . .﴾

سورة فاطر/ مكية/ الآية ٣٢.

الظالم: الباقى مع حاله، والمقتصد: الفانى بحاله، والسابق: المستغرق فى فناء حاله. فالظالم هو طالب الدنيا، والمقتصد طالب العقبى، والسابق طالب المولى.

يقول الحسن البصرى: السابق من رجحت حسناته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم الذى ترجح سيئاته.

ويقول الإمام جعفر الصادق: فرق المؤمنين ثلاث فرق سماهم مؤمنين، عباد أضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً، وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه تعالى بتفاوت معاملاتهم، بدأ بالظالمين، ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين.

ويقول أبو الحسين النورى: على ماذا عطف بقوله تعالى: ﴿٢٢٥﴾؟ قال: عطف إرادة الأزل والأمر المقضى، ثم أورثنا من الخلق الذين سبقت لهم منا الاصطفائية فى الأزل.

ويقول عمرو المكى: المغفرة للظالمين، والرحمة على المقتصدين، والقربى للسابقين.

ويقول الإمام القشيرى: أورثنا، أى: أعطينا الكتاب، أى: القرآن المجيد الذين اصطفينا، أى: اخترنا من عبادنا.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ منك هذا ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ المحمديين المخصوصين من عند الله تعالى بمزيد العناية وكمال الاستعداد بالنسبة إلى سائر الأمم لأنهم لا يرثون ولا يصلون إليه إلاّ منك وبواسطتك، لأنك المعطى إياهم الاستعداد والكمال فنسبتهم إلى سائر الأمم نسبتك إلى سائر الأنبياء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ الاصطفائية تقدمت الوراثة؛ لمحبته ومشاهدته، ثم خاطبهم بما له عندهم، وما لهم عنده. وهذا الميراث الذى أورثهم من جهة نسب معرفتهم به، واصطفائيته إياهم، وهو محل القرب والانبساط.

سورة يس

مكية، وآياتها ثلاث وثمانون آية.

نزلت فى بنى سلمة حين أرادوا الانتقال إلى جوار النبى ﷺ. فإنهم كانوا فى ناحية من نواحى المدينة، وأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ١١.

أشرف منازل الذاكرين من نسى ذكره فى مشاهدة مذكوره، وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية الذكر.

يقول الإمام القشيرى: إنما ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر؛ فإن إنذارك وإن كان عامًا فى الكل وللكل، فإن الذين كفروا على غيهم يصرون. ألا ساء ما يحكمون، وإن كانوا لا يعلمون قبح ما يفعلون، أما الذين اتبعوا الذكر واستبصروا؛ وانتفعوا بالذى سمعوا وعملوا فقد استوجبوا أن تبشرهم؛ فبشرهم وأخبرهم على وجه يظهر السرور بمضمون خبرك عليهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أى: يؤثر الإنذار وينجح فى ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ لنورية استعداده وصفائه، فيتأثر به ويقبل الهداية بما فى استعداده من التوحيد الفطرى والمعرفة الأصلية، فيتذكر ويخشى الرحمن بتصور عظمته مع غيبته من التجلى، فيتبعه بالسلوك ليحضر ما هو غائب عنه ويرى ما استضاء بنوره.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من تصدى لوعظ الناس وإنذارهم، على فترة من الأولياء، يقال له: لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون. ويقال فى حق من سبق له الإبعاد عن طريق أهل الرشاد: لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون.

﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٢٢.

كل قلب يشتغل بالثواب عن حرمة الأمر فـهو أجير وليس بعبد، وإنما يعمل على الأجر عبـيد النفوس، ومن أخذه تعظيم حرمة أمـر الله تعالى لا يلتفت إلى الثواب.

يقول ابن عطاء: بالفطرة جعل الأشخاص فى قبضة القدرة، والأرواح فى قبضة العزة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى﴾ وكان اسمه حبيباً، وكان نجاراً ينحت فى بدايته أصنام مظاهر الصفـات من الصور لاحتجابه بحسنـها عن جمال الذات، وهو المأمور بدخول جنة الفرات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أحب الخلق إلى الله تعالى أنفعهم لعياله وأنصحهم لهم. فينبغى لمن أراد الظفر بمحبة الحبيب، وينال منه الحظوة والتقريب، أن يتحمل المشاق فى إرشاد عباد الله، ويستعمل الأسفار فى ذلك، لينال عنده الجاه الكبير، والقرب العظيم.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ...﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٥٥.

إن الحق جل جلاله قطع أهل الجنة بتجليه عن الالتذاذ بالجنة لأنه تعالى أفناهم بتجليه عنها لئلا تدوم لهم اللذة فيقع بهم الملل، فرجوعهم إلى آياهم بعد تجلى الحق تعالى لهم يوفر اللذة عليهم، والحق تعالى لا يلتذ به.

يقول الجنيد البغدادى: أحيا أقوامًا بالراحة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، فهم متقلبون فى الراحة واللقاء والرضوان والمشاهدة ثم مَنَّ عليهم بزيادة منه، فقال: **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾** حظوظ الأنفس عن هذا المعدن وهذا المشهد.

ويقول ابن عطاء: شغلهم فى الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة، وهذا من أعظم الاشتغال.

ويقول الإمام القشيرى: أصحاب الجنة من هم طلابها والساعون لها والعاملون لنيلها. فمن كان فى الدنيا عن الدنيا حرًا، فلا يبعد أن يكون فى الجنة عن الجنة حرًا، والله يختص برحمته من يشاء. وأهل الجنة هم أهل الحضرة والدنو.

ويقول محيى الدين بن عربى: **﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾** من أنوار التجليات ومشاهدات الصفات، متلذذون هم ونفوسهم الموافقة لهم فى التوجه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن أصحاب الجنة المعجلة لأوليائه اليوم فى شغل كبير، لا تجدهم إلاّ مشتغلين بالله، بين شهود واستبصار، وتفكر واعتبار، فى محل المشاهدة والمكالمة، والمناجاة والمساررة أوقاتهم محفوظة، وحركاتهم وسكناتهم بالإخلاص ملحوظة، فهم فى شغل شاغل عن الدنيا وأهلها، هم ومن تعلق بهم فى ظلال الرضا.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا . . .﴾

سورة يس/ مكية/ الآية ٨٢.

أبدى الله تعالى الأكوان بقوله: «كن» إهانة لها وتصغيراً، ليعرف الخلق إهانتها، فلا يركنوا إليها ويرجعوا إلى مبدئها ومنشئها، فشُغلت الخلق بزينة الكون، فتركهم معه واختار من خواصه خصوصًا أعتقهم من رق الكون. فأحياهم به فلم يجعل للعلل عليهم سبيلا ولا للآثار فيهم طريقًا.

يقول الإمام القشيرى: إذا أراد شيئاً أن يقول له كن «فيكون» بخلقه وقدرته. وأخبرنا أنه تتعلق بالمكون كلمته على ما يجب فى صفته، وسيان عنده خلق الكثير فى كثرته؛ والقليل فى قلته.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ عند تعلق إرادته بتكوين شىء ترتب، كونه على تعلق الإرادة به، دفعة معًا بلا تخلل زمانى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة مهينة، فإذا هو خصيم لنا فى تدبيرنا واختيارنا، ويُنازعنا فى مرادنا من خلقنا، ومرادنا منهم: ما هم عليه. فاستحى أيها الإنسان أن تخاصم الله تعالى فى حكمه، أو تنازعه فى تقديره وتدبيره، وسلم الأمور لمن بيده الخلق والأمر.

سورة الصافات

مكية، وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية.

وقيلت للرد على المشركين فى عبادة الأصنام.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ٤.

دلهم على الوحـدانية، ليكونوا وحـدانيي الذات، ليصلحـوا لمعرفـة الواحد، فمن لـم يتحد بإسقاط كل العلائق عنه لا يصلح لمعرفة الواحد. وقال: الواحد لا يعرفه إلاّ الأحاد من العباد.

يقول الإمـام القشـيرى: هذا هو المقسوم عليه. أخبـر أنه سبحانه واحد فى ملكه، وذلك لأنهم تعجبوا أن يقوم الواحد بجميع أحوال العالم. ومعنى كونه واحداً تفرّده فى حقه عن القسمة، وتقدسه فى وجوده عن الشبيه، وتنزهه فى ملكه عن الشريك، واحد فى جلاله، واحد فى استحقاق جـماله، واحد فى أفعـاله، واحد فى كبـريائه بنعت علائه، ووصف سنائه.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ لا شريك معه يستـحق أن يُعبد. أقسم الحق تعالى بصـفوف الذاكرين الزاجرين للخـواطر عن قلوبهم فى طلب الحضور، التـالين لذكر ربهم لرفع الستور، إنه متفرد فى ألوهيـته، متوحد فى ربوبيته؛ إذ هو رب كل شىء، رب سموات الأرواح، ورب أرض النفوس والأشباح، ورب مشارق أنوار العرفان، وهى قلوب أهل العيان، ولم يذكر المغارب، لأن شمس القلوب إذا طلعت ليست لها مغيب.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ١٠٦.

البلاء بالله تعالى، والعافية من الله تعالى، والأمر عن الله تعالى، والنهى إذلاله.

يقول سهل التسترى: البلاء على وجهين: بلاء رحمة، وبلاء عقوبة. فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله تعالى، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على اختياره وتدبيره.

ويقول الجنيد البغدادى: البلاء هو الغفلة عن المبلى.

ويقول أبو بكر الرازى: غاية البر فى غاية الجفاء؛ وهو فى قصة الخليل صلوات الله وسلامه عليه.

يقول الإمام القشيرى: كان فداء الذبيح يربى فى الجنة قبله بأربعين خريفًا. والناس فى البلاء على أقسام: فبلاء مستعصب وذلك صفة العوام، وبلاء مستعذب وذلك صفة من يستعذبون بلاياهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الاختبار البين؛ الذى يتميز فيه المخلصون من غيرهم، والمحنة البينة الصعبة، فإنه لا محنة أصعب منها. إن الولد كان أشد بلاء، لأنه وجد الذبح من يد أبيه، ولم يتعود منه إلاّ التربية بالجميل، فكان البلاء منها أشد، إذ لم يتوقعه منها.

﴿... إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾

سورة الصافات/ مكية/ الآية ١٦٤.

المريدون فى المقامات يحركون من مقام إلى مقام، والمرادون جاوزوا المقامات إلى رب المقامات.

يقول الإمام جعفر الصادق: الخلق مع الله مقامات شتى، من تجاوز حده هلك، فللأنبياء مقام المشاهدة، وللرسل مقام العيان، وللملائكة مقام الهيبة، وللمؤمنين مقام الدنو والخدمة، وللعصاة مقام التوبة، وللكفار مقام الطرد واللعنة.

ويقول ابن عطاء: لك مقام الشهادة، ولهم مقام الخدمة.

ويقول الإمام القشيرى: الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم، ولا يتعدون حدهم، والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يُطْلِع عليه أحداً. والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة؛ لأنهم للخلق قدوة، فأمرهم على الشهر، وأمر الأولياء على الستر.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ترقى الآدمى هو انتقاله من مقام إلى مقام، حتى يُكاشف بأسرار الذات وأنوار الصفات، ثم لايزال يترقى فى الأذواق والكشوفات، يتجدد له فى كل يوم وساعة حلاوة وكشف لم تكن عنده قبل، بخلاف الملائكة، فإنما يترقى كل واحد فى كشف أسرار مقامه، ويجد حلاوة فى ذلك المقام لم تكن له قبل، ولا ينتقل عنه، فمن كان من أهل الخدمة زاده الله حلاوتها.

سورة ص

مكية، وآياتها ثمان وثمانون آية.

﴿... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً...﴾

سورة ص/ مكية/ الآية ٤٤.

سهل عليه البلاء بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ كان فانيًا عند رؤية الأغيار.

يقول ذو النون المصرى: الصبر: التباعد عن المخالفات، والسكوت عن تجرع غصص البلية وإظهار العناء مع حلول الفقر بساحة المعيشة.

ويقول أبو سعيد الخراز: نعم العبد، عبد صبر على مشاهدة مبليه، لا على رؤية الثواب، لذلك كان أيوب عليه السلام لا يفوته جزء من البلاء فى تلذذه بالبلاء وفى مشاهدة المبلى.

ويقول الجنيد البغدادى: الصبر إسبال التوكل قبل مخامرة المحنة، فإذا صادفت المحنة التولى حملها بلا كلفة.

ويقول ابن عطاء: وقف معنا بحسن الأدب، لا يؤثر عليه دوام النعم ولا يزعجه تواتر البلاء والمحن لمشاهدة المنعم والمبلى، ونعم العبد عبد لا يشغله مال عنا.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ فى بليته وطلبه للكمال، فرحمناه، وليس كل طالب صابراً.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إنا علمناه على البلاء، وأما شكواه فليست جزعًا بل رجوعًا إلى مولاه. والصبر طريق السلامة، فالأولى للعبد ألاّ يختار مع سيده شيئًا، بل يكون مفوضًا مستسلمًا، يتلقى ما يرد عليه بالترحيب.

سورة الزمر

مكية، وآياتها خمس وسبعون آية.

إلاّ قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، فإنها نزلت فى وحشى قاتل حمزة. وهى خمس وسبعون آية فى مصحف البصرة، واثنان وسبعون آية فى مصحف الكوفة.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٨.

من نسى الحق عند العوافى لم يجب الله دعاءه ضد المحن والاضطرار، لذلك قال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس: «تعرف إلى الله فى الرضا يعرفك فى الشدة».

يقول الإمام القشيرى: إذا مسه ضر خشع وخضع، وإلى قربه فزع، وتملق بين يديه وتضرع. فإذا أزال عنه ضره، وكفاه أمره، وأصلح شغله. نسى ما كان يدعو إليه من قبل.
ويقول الإمام ابن عجيبة: الصفة الممدوحة فى الإنسان أن يكون إذا مسه الضر التجأ إلى سيده؛ مع الرضا والتسليم، فإذا كشف عنه شكر الله تعالى وحمده، ودام على شكره، نسب التأثير إلى الأسباب والعلل.

﴿... فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٢٢.

قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان، فإنه بالنعمة يشكر، وبالشدة يذكر. وأنشد فى معناه:

قد كنت فى نعمة الهوى بطرا   فأردكتنى عقوبة البطر

وقال: من همّ بشىء مما أباحه العلم تلذذاً؛ عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم فى الدنيا. أما عقوبة القلب الرين والقسوة والعمى.

يقول الإمام القشيرى: الصلبة قلوبهم؛ لم تقرعها خواطر التعريف فبقيت على نكرة الجحد، أولئك فى الضلالة الباقية والجهالة الدائمة. وجواب هذا الخطاب محذوف. أى: فمن شرح الله تعالى صدره للإسلام كمن ليس كذلك؟

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فَوَيْلٌ﴾ للذين قست قلوبهم من قبول ذكر الله تعالى لشدة ميلها إلى اللذات البدنية وإعراضها عن الكمالات القدسية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ويل لأصحاب القلوب الصلبة فى الجعل (والجعل دابة كالخنفساء) أنها تتضرر برياح الورد، وتنتعش بالشين، فكل من يفر من ذكر الله ويثقل عليه، فقلبه جُعل.

﴿وأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٥٤.

الإنابة جاءت من قبل المعرفة، فأحسن الخلق إنابة إلى الله تعالى ورجوعًا إليه أحسنهم به معرفة.

يقول أبو سعيد الخراز: المنيب يعمل فى إنابته ثلاثة أشياء، يستبطئ الموت لما يخاف من الفتنة فى الدنيا، ويستبطئ الثواب فى القبر لما يرجو من جزيل العطاء فى الآخرة، ويستبطئ القيامة لما يرجو من الخلود فى مجاورة الرحمن والنظر إليه.

ويقول محمد بن خفيف: همة المنيب حنين القلب إلى أوقاته العامرة وعبادته الكاملة.

ويقول الإمام القشيرى: الإنابة: الرجوع بالكلية، والفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع من خوف العقوبة، وصاحب الإنابة يرجع استحياء لكرمه.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ بالتنصل عن هيئات السوء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ارجعوا إليه بالتوبة والإخلاص. فالإنابة أخص من التوبة، لأن التوبة مطلق الندم على الزلة، والإنابة تحقيق التوبة والنهوض إلى الله بإخلاص التوجه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٦٢.

كل شىء أراد الله تعالى به الإهانة والتذليل، ألبسه لبسة المخلوقية، ألا ترى كيف نزه عن ذلك صفاته وكلامه؛ فالله خالق كل شىء، والمخلوقات ليس لها عز إلاّ بالنسبة إلى خالقها وإنها مخلوقة، فبنسبته إليها أعزها.

يقول الإمام القشيرى: تدخل أكساب العباد فى هذه الجملة، ولا يدخل كلامه فيه؛ لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ جامد أو حى، خير أو شر، إيمان أو كفر، لا بالجبر، بل مباشرة الكاسب فى عالم الحكمة، وفيه اثبات القدرة والعلم، وهما مصححان للبعث والجزاء بالخير والشر لمحسن أو مسىء. وهو تعالى مظهر كل شىء؛ حيث تجلى بها، وهو قائم بكل شىء. له مفاتيح غيوب السموات والأرض، لا يطلع عليها إلاّ من خضع لأوليائه الذين هم آيات من آياته. والذين كفروا بآيات الله الدالة على الله، أولئك هم الخاسرون، فلا خسران أعظم من خيبة الوصول، إذ لا يخلو المفروق عن الله من الشرك الخفى.

﴿... تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

سورة الزمر/ مكية/ الآية ٦٧.

كيف يعرف قدر من لا يقدر سواه؟.

يقول سهل التسترى: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنة نبيهم ﷺ، وفى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾ أى: ما عرفوه حق معرفته فى الأصل ولا فى الفرع.

ويقول الإمام القشيرى: ما عرفوه حق معرفته، وما قدروه حق قدره؛ فالخلق فى قبضة قدرته، والسموات مطويات بيمينه، ويمينه قدرته تعالى. ولأنه أقسم أن يفنى السموات ويطويها فهو قادر على ذلك.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بإثبات الغير وتأثيره وقدرته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أى: تنزيهًا عظيمًا لمن هذه قدرته وشأنه عما يضاف إليه من الشركاء. أى: ما أبعد من هذا شأنه عن إشراكهم.

سورة غافر (المؤمن)

مكية، وآياتها خمس وثمانون آية.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ١٥.

قال فارس عن الحسين بن منصور الحلاج: زيّن العرش بأنوار ذاته فلا يوازيه شيء ولا يقابله مثل. والعرش غاية ما أشار إليه الخلق.

يقول سهل التسترى: يرفع درجات من يشاء بالمعرفة، وقال فى قوله تعالى: ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ أى: ينزل الوحى من السماء بأمره.

ويقول ابن عطاء: يرفع درجات من يشاء فى الدارين، يجعله عزيزاً فيهما، وخلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته، يلقى الروح من أمره على ضروب، فمن ألقى إليه روح الصفاء أنطقه بها وأحياه حياة الأبد، والروح روحان: روح بها حياة الخلق، وأخرى لطيفة بها ضياء الخلق.

ويقول الإمام القشيرى: رافع الدرجات للعصاة بالنجاة، وللمطيعين بالمثوبات، وللأصفياء والأولياء بالكرامات، ولذوى الحاجات بالكفايات، وللعارفين بتنقيبهم عن جميع أنواع الإرادات. «ذو العرش» ذو الملك الرفيع، والعرش الذى هو قبلة الدعاء.

ويقول محيى الدن بن عربى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ رفيع درجات غيوبه ومصاعد سمواته من المقامات التى يعرج فيها السالكون إليه ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أى: المقام الأرفع، المالك للأشياء كلها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الله رفيع درجات الداعين إليه مع المقربين، فى مقعد صدق عند ذى العرش المجيد.

﴿... لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ١٦.

أنت المحيى لأموات القلوب بحياة أنوار قدسك، وأنت المبعثر لها براح روح المعرفة من نشر أسمائك، وأنت المؤلف لها بإشراقك لها على ما تقدم منك عنك فى ديمومة أزليتك، وأنت الآخذ عنها منها ما هو مانع لها من رؤية شواهدك الظاهرة فى أقطار ألوانك، أسألك سؤال من ذهب سؤاله عند رؤية سؤالك.

يقول الإمام جعفر الصادق: أخرس الملكوت ذوات الأرواح عن جواب سؤاله فى قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ﴾ فلم يجسر أحد على الإجابة، وما كان لأحد أن يجيب تحقيق سؤاله سواه، فلما سكتت الألسن عن الجواب أجاب نفسه بما يستحق من الجواب فقال ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

ويقول الإمام القشيرى: لا يتقيد ملكه بيوم، ولا يختص ملكه بوقت، ولكن دعاوى الخلق اليوم لا أصل لها؛ إذ غدًا تنقطع تلك الدعاوى، وترتفع تلك الأوهام.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إذا برزوا وحشروا نادى الحق جل جلاله ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ فلا يجيبه أحد، ثم يعود ثلاثًا، فيجيب نفسه بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أى: الذى قهر العباد بالموت. يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده، هو وحى أحكام للأنبياء، ووحى إلهام للأولياء، فيحيى الله بهم الدين فى كل زمان.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ٥١.

عن أبا بكر الرازى، عن أبا عثمان الدمشقى قال: سمعت الحلاج يقول: سمعت عن ذا النون المصرى رحمة الله عليه وقد سُئل متى يكون العبد مفوضاً؟. قال: إذا يئس من نفسه وفعله؛ والتجأ إلى الله فى جميع أحواله ولم يكن له علاقة سوى ربه.

يقول الإمام جعفر الصادق: ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهرًا، وننصر المؤمنين بالرسل باطناً.

ويقول سهل التسترى: يكرمهم بالمعرفة والعلم ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾. لم يرض بما ضمن لهم النصرة فى الدنيا حتى ضمن لهم النصرة فى القيامة، ومن كان الله ناصره فى الدنيا والآخرة فلا سوء عليه.

ويقول الإمام القشيرى: ننصرهم بالآيات وفنون التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا أن الظفر وضده من الله، والخير والشر من الله ومن حيث لا يحتسبون؛ ننصرهم فى الدنيا بالمعرفة وباليقين بأن الكائنات من الله، وننصرهم فى الآخرة بأن يشهدوا ذلك ويعرفوا بالاضطرار (الضرورة) أن التأثير من الله. وغاية النصرة أن يقتل الناصر عدو من ينصره، فإذا أراد حتفه بأن لا عدواً على الحقيقة، وأن الخلق أشباح تجرى عليهم أحكام القدرة، فالولى لا عدو له؛ ولا صديق له إلاّ الله تعالى.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتأييد الملكوتى والنور القدسى فى الدارين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة، ولا يقدح فى ذلك ما يتفق لهم من صورة الغلبة امتحان؛ إذ الحكم للغالب. كما نصرت الرسل بعد الامتحان؛ نصرت الأولياء بعد الامتحان والامتكان.

﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ...﴾

سورة غافر/ مكية/ الآية ٦٥.

الحى: الذى أحيا العالم بنظره، فمن لم يكن به وبنظره حياً فهو ميت؛ وإن نطق أو تحرك.

يقول الجنيد البغدادى: الحى على الحقيقة من به حياة كل حى.

ويقول الإمام القشيرى: هو الحى الذى لا يموت، ولا فضله يفوت، فادعوه بلسان القوت، وذلك عليه لا يفوت.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ فى الوجود يخلق شيئا، ويظهر بصفة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية، ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ إذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله. ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ والحياة عند المتكلمين لا تتعلق بشىء، وعند الصوفية تتعلق بالأشياء؛ إذ لا قيام لها إلاّ بأسرار معانى ذاته، ومن تحققت حياته من الأولياء بحياة الله تعالى، بحيث كان له نور يمشى به فى الناس، كان كل من لقيه حييت روحه بمعرفة الله، ولذلك يضم الشيخ المريد إليه، إن رآه لم ينهض حاله ليسرى حاله فيه، يأخذونه ذلك من ضم جبريل للنبى عليهما السلام.

سورة الشورى (حمعسق)

مكية، وآياتها ثلاث وخمسون آية.

﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾

سورة الشورى/ مكية/ الآية ١١.

له تعالى القدم، لا يظله فوق، ولا يقله تحت، ولا يقابله حد، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحده أمام، ولا يظهره قبل، ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس. إن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت هو، فالهاء والواو خلقه تعالى. وإن قلت: أين؟ فقد تقدم المكان وجوده، فالحروف آياته، ووجوده إثباته، ومعرفته توحيده، وتوحيده تمييزه من خلقه.

يقول أبو بكر الشبلى: كلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم، محدث مصنوع مثلكم لأن حقيقته عال عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وهم، وأن يحيط به علم، كلا وكيف يحيط به علم وقد اتفقت فيه الأضداد بقوله تعالى: **﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾** سورة الحديد/ مدنية/ الآية٣، أى عبارة تخبر عن حقيقة هذه الألفاظ قصرت عنه العبارات وخرست الألسن لقوله تعالى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**.

ويقول الإمام القشيرى: **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** لأنه فاطر السموات والأرض، ولأنه لا مثل يُضارعه، ولا شكل يُشاكله، والكاف صلة، أى ليس مثله شىء، ولفظ «مثل» صلة؛ ومعناه ليس كهو شىء. ومعناه ليس له مثل، والحق لا شبيه له فى ذاته؛ ولا فى صفاته؛ ولا فى أحكامه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ليس مثله شىء فى شأن من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع. أى: ليس معه شىء حتى يشبهه.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا...﴾

سورة الشورى/ مكية/ الآية ١٨.

قال أبا العباس البزاز: كان أخى خادمًا للحلاج، فقال لى: لما كانت الليلة التى وعد من الغد بقتله قلت له: يا سيدى أوصنى. فقال: عليك نفسك إن لم تشغلها شغلتك. قال: فلما كان الغد وأُخرج للقتل قام وقال: «حسب الواجد إفراد الواحد له»، ثم خرج يتبخر فى قيده وينشد:

نديمى غير منسوب إلى شىء من الحيف

سقانى مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

كذا من يشرب الراح مع التين فى الصيف

ثم قال ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾. ثم ما نطق بعد ذلك حتى فُعل به ما فُعل رحمة الله عليه.

يقول الإمام القشيرى: المؤمنون يؤمنون بالبعث وما بعده من أحكام الآخرة، ويكلون أمورهم إلى الله؛ فلا يتمنون الموت حذر الابتلاء، ولكن إذا ورد الموت لم يكرهوه، وكانوا مستعدين له.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استعجال إنكار واستهزاء للفجار والكفار، وفيهم نزل: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾، وما قبله هو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

سورة الزخرف

مكية، وآياتها تسع وثمانون آية.

﴿... فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ...﴾

سورة الزخرف/ مكية/ الآية ٨٤.

اللهم أنت الواحد الذى لا يتم به عدد ناقص، والأحد الذى لا تدركه فطنة غائص، وأنت ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾.

يقول الإمام القشيرى: المعبود فى السماء هو الله، والمقصود فى طلب الحوائج فى الأرض هو الله. أهل السماء لا يعبدون غير الله تعالى، وأهل الأرض لا يقضى حوائجهم غير الله تعالى. ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فى إمهاله للعصاة، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوال العباد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: انفرد الحق سبحانه بالألوهية فى العالم العلوى والسفلى ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾ وهو معبود فى السماء وفى الأرض، حكيم فى أقواله وأفعاله، عليم بما كان وما يكون، وحكيم فى إمهال العصاة، عليم بما يؤول أمرهم إليه، وهو كالدليل على ما قبله من التنزيه، وانفراده بالربوبية.

سورة الدخان

مكية، وآياتها سبع وخمسون آية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾

سورة الدخان/ مكية/ الآية ٥١.

الإيمان ما أوجب الأمان، والتقوى توجب الأمان فى الإيمان لقوله تعالى: ﴿الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾، والتقوى أن تتقى الكل لتصل بذلك إلى من له الكل.

يقول الجنيد البغدادى: أهل الجنة باقون ببقاء الحق تعالى، وهم مُبقون ببقاء الحق، والباقى على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقيًا.

ويقول الإمام القشيرى: آمنين من المجن من جميع الوجوه، لباسهم من حرير، وفراشهم من سندس واستبرق، «متقابلين» لا يبرحون ولا يبغون عنها حولاً.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الكاملين فى التقوى باجتناب البقايا فى جنات عالية من الجنان، وعيون من علوم الأحوال والمعارف وغيرها من المنافع الحقيقية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن المتقين شهود ما سوانا فى مقام العرفان، وهو مقام المقربين، ومحل الأمن والأمان فى جنات المعارف، وعيون العلوم والحكم، يلبسون من أسرار الحقيقة وأنوار الشريعة، ما تبتهج به بواطنهم وظواهرهم، متقابلين فى المقامات، يجمعهم الفناء والبقاء، ويتفاوتون فى اتساع المقامات والأسرار. حييت أرواحهم حياة أبدية، وأما الموت الحسى فإنما هو انتقال من عالم إلى عالم، ومن مقام إلى مقام، ووقاهم ربهم عذاب الجحيم، فضلاً منه وإحساناً، خلق فيهم المجاهدة، وقنَّ عليهم بالمشاهدة.

سورة الأحقاف

مكية، وآياتها خمس وثلاثون آية.

إلاّ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ و﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فهى مدنية.

﴿ ... وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا ... ﴾

سورة الأحقاف/ مكية/ الآية ٢٦.

خلق الله تعالى القلوب والأبصار، وجعل عليها أغطية وستوراً وأكنة وأقفالاً، فيهتك الستور بالنور، وترفع الحجب بالذكر، ويفتح الأقفال بالقرب، ويخرج من الأكنة بمشاهدة الآيات.

(راجع تفسير سورة النور/ الآية ٣٧).

يقول الإمام ابن عجيبة: أى: آلات الإدراك والفهم، ليعرفوا بكل واحدة منها ما خلقت له، وما نيطت به معرفته من فنون النعم، ويستدلوا بها على شئون منعهما، ويداوموا على شكرها، ويوحدوا خالقها. فكل ما زاد فى الحس نقص فى المعنى، وكل ما نقص من الحس زاد فى المعنى، والمراد بالمعنى: كشف أسرار الذات وأنوار الصفات، وما مكن الله تعالى عبده من الحواس الخمس إلا ليستعملها فيما يقربه إليه، ويوصله إلى معرفته، فإذا حرفها فى غير ذلك، عوقب عليها.

﴿... فلمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا...﴾

سورة الأحقاف/ مكية/ الآية ٢٩.

أعلى ما أشار إليه الخلق العرش، ثم انقطعت الإشارة والعبارة، لأنه تعالى وراء الإشارة والعبارة، قال الله تعالى: ﴿أَنصِتُوا﴾ أى: انقطعوا عن العبارات التى تعود إليكم أولها وآخرها، وحادثه [كذا] نظر إلي العرش فأخبر، ولو نظر إلى رب العرش لخرس لقوله ﴿أَنصِتُوا﴾ إلا أنه مباين لكل ما خلق لا يسعه غيره، ولا يحجبه سواه.

يقول سهل التسترى: ليس في الحضرة إلاّ الذبول والخمود والسكوت تحت موارد الهيبة، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾.

ويقول النصر آباذى: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحق يقيناً لخرست الألسن من النطق فى ذلك المشهد؛ كالجن لما حضرت النبى ﷺ فأراد أن يقرأ عليهم، وأوصى بعضهم بعضاً بالإنصات.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ حضروا العقل القرآنى الجامع للكمالات عند ظهور النور الفرقانى عليك ﴿قَالُوا أَنصِتُوا﴾ سكنوا، وسكت بعضهم بعضًا عن كلامهم الخاص بهم مثل الأحاديث النفسانية والتصورات والهواجس والوساوس والخواطر والحركات الفكرية والانتقالات التخيلية. والقول ههنا حالى كما ذكر، إذ لو لم يسكنوا وينصتوا مستمعين لما يفيض عليهم من الواردات القدسية لم يبق من الوارد أثر، بل لم يكن يتلقى الغيب، ولا ورود المعنى القدسى، ولا تلاوة الكلام الإلهى كما ينبغى، ولأمر ما كان مبدأ الوحى منامات صادقة، وذلك كون هذه القوى ساكنة متعطلة عند النوم حتى قوى على عزلها عن أشغالها وتعطيلها فى اليقظة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استعملت الجن الأدب بين يديه ﷺ حيث قالوا: أنصتوا، فالجلوس مع الأكابر يحتاج إلى أدب كبير، كالصمت والوقار والهيبة والخضوع.

سورة محمد (القتال)

مدنية، وآياتها ثمان وثلاثون آية.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . . . ﴾

سورة محمد/ مدنية/ الآية ١٩.

العلم الذى دعا إليه المصطفى عليه الصلاة والسلام هو علم الحروف، وعلم الحروف فى لام ألف، وعلم لام ألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية، وعلم المعرفة الأصلية فى علم الأزل، وعلم الأزل فى المشيئة، أى المعلوم، وعلم المشيئة فى غيب الهو، وهو الذى دعا الله تعالى إليه فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ﴾ والهاء راجع إلى غيب الهوية. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ علماً لا عن جهل، لأن المعلوم فى الله تعالى لا يتناهى.

يقول الإمام جعفر الصادق: أزل العلل عن الربوبية، ونزه الحق عن الدرك.

ويقول الجنيد البغدادى: العلم أرفع من المعرفة وأتم وأشمل وأكمل، لذلك تسمى الله عز وجل بالعلم ولم يتسم بالمعرفة، وقال: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، ثم لما خاطب النبى ﷺ خاطبه بأتم الأوصاف وأكملها وأشملها للخيرات؛ فقالك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ ولم يقل فاعرف، لأن الإنسان قد يعرف الشىء ولا يحيط به علماً، وإذا علمه وأحاط به علماً فقد عرفه.

ويقول ابن عطاء: عالم قول ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ يحتاج إلى أربعة أشياء: تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة، فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مراء، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق، ولم يكمل هذه الخصال إلاه للنبى ﷺ لعظيم محله ودعاء الآخرين إلى قوله دون علمه.

ويقول محيى الدين بن عربى: حصل علم اليقين فى التوحيد، ثم أسلك طريقه إذ الاستغفار الذى هو صورة السلوك؛ مسبوق بالإيمان العلمى دون الظنى، لأن من لم يرزق ثبات الإيمان لم يمكنه السلوك، والثبات لا يكون إلاّ باليقين إذ الاعتقاد التقليدى يمكن تغيره، وكل حجاب ذنب سواء كان بالهيئات البدنية أو الصفات النفسانية أو القلبية أو الأنية. فالأمر بالعلم هنا هو الحث على شهود الوحدة، وبالاستغفار لذنبه هو التحريض على التنصل عن ذات ظهور البقية والأنائية.

سورة الفتح

مدنية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ . . . ﴾

سورة الفتح/ مدنية/ الآية ١٠.

لم يظهر الحق تعالى مقام الجمع على أحد بالتصريح إلا على أخص نسبه وأشرفه. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾. فأسقط الوسائط عند تحقيق الحقائق، وأبقى رسومها، وقطع حقائقها، فمن بايع النبى ﷺ على الحقيقة، فإن تلك بيعة الله عز وجل؛ لأن يده فى تلك البيعة يد عارية.

يقول النصر آباذى: فى وقت الاستنفار إلى الروم قد ظهرت صفة البيعة فهل من راغب فيها، بيعة بلا واسطة.

ويقول الإمام القشيرى: هذه البيعة هى بيعة الرضوان بالحديبية تحت سمرة؛ والسمرة: شجرة الطلح. أى: عقدك عليهم هو عقد الله.

ويقول محيى الدين بن عربى: هذه المبايعة هى نتيجة العهد السابق المأخوذ ميثاقه على العباد فى بدء الفطرة، وإنما كانت مبايعته مبايعة الله تعالى، لأن النبى ﷺ قد يفنى عن وجوده ويحقق الله فى ذاته وصفاته وأفعاله، فكل ما صدر عنه ونسب إليه فقد صدر عن الله ونسب إليه، فمبايعته مبايعة الله تعالى، وإنما قلنا إنها نتيجة ميثاق الفطرة إذ لو لم تكن جنسية ومناسبة أصلية بينهم وبينه لما وجدت هذه البيعة لانتفاء الإلفة والمحبة المقتضية لها بانتفاء الجنسية، فهى دليل سلامة فطرتهم وبقائها على صفائها الأصلى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: تشير الآية الكريمة إلى مقام الجمع، الذى هو سر الخلافة والبقاء بالله وهذا الأمر حاصل لخلفائه ﷺ من العارفين بالله، أهل الفناء والبقاء، وهم أهل التربية النبوية فى كل زمان، فمن بايعهم فقد بايع الله، ومن نظر إليهم فقد نظر إلى الله.

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ... ﴾

سورة الفتح/ مدنية/ الآية ٢٩.

سُئل الحسين بن منصور: متى كان محمد ﷺ نبياً؟.. وكيف جاء برسالته؟. فقال: نحن بعد الرسول والرسالة، والنبى والنبوة. أين أنت عن ذكر مالا ذاكر له فى الحقيقة إلاّ هو، وعن هوية من لاهوية له إلاّ بهويته؟ وأين كان النبى عليه السلام عن نبوته حيث جرى القلم بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾، والمكان علة، والزمان علة، فأين أنت عن الحق والحقيقة، ولكن إذا ظهر اسم محمد ﷺ بالرسالة عظم محله بذكره له بالرسالة فهو الرسول المكين والسفير الأمين، جرى ذكره فى الأزل بالتمكين بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام على أعظم محل وأشرف مكان.

يقول ابن عطاء: وصف محمداً ﷺ بأنه رسول، والرسول لا يكون إلاّ أميناً مأموناً ظاهراً وباطناً، سراً وعلناً، ووصف الصحابة الذين معه بأوصاف ثمانية، وهى أحوال خصت بها الخواص من أصحابه وهو حال البقاء واللقاء والحمد والوفاء والصدق والحياء والصحبة والرضا، فخص أبا بكر رضى الله عنه بأحوال هى حال اللقاء لقول النبى الكريم: «إن الله يتجلى للخلق عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة».

ويقول الإمام القشيرى: أشداء جمع شديد، أى: فيهم صلابة مع الكفار.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثياب الكفار، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنهم كانوا لا يرى مؤمن مؤمناً إلاّ صافحه وعانقه.

سورة الحجرات

مدنية، وآياتها ثمانى عشرة آية.

﴿ ... أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ... ﴾

سورة الحجرات/ مدنية/ الآية ٣.

من امتحن الله تعالى قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الإيمان، وسراجه التفكر، وطيبه التقوى، وطهارته التوبة، ونظافته الحلال، وزينته الورع، وعلمه الآخرة، وشغله وثقته بالله تعالى، ومقامه عند الله، وصومه إلى الممات، وإفطاره فى الجنة، وجمعه للحسنات، وكنزه الأخلاق، وحصنته المراقبة، ونظره المشاهدة.

يقول الإمام القشيرى: هم الذين تقع السكنية عليهم من هيبة حضرته، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى بانتزاع حب الشهوات منها، فاتقوا سوء الأخلاق، وراعوا الأدب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله وعند شيخه؛ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، أى: انتزع عنها حب الشهوات، وصفّاها من دنس سوء الأخلاق، وتخلقت بمكارم الأخلاق؛ حتى انسلخت من عادات البشرية.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا . . .﴾

سورة الحجرات/ مدنية/ الآية ١٧.

فى قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾، هذا جواب لما سلف من قولهم «لن تستطيع»، لأن أحدا لا يستطيع حمل منته، فكيف يمن على من لا خطر له عنده، ولا أثر منه عليه، والعجب منه أن لا يمن على أحد إلاه بالمخلوق، ولا وزن للمكنون عنده، فكيف يمن بمن لا وزن له على أحد.

يقول سهل التسترى: استعملت الورع أربعين سنة، ثم وقع منى إليها التفاتة فأدركنى حياء ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾.

ويقول الإمام القشيرى: من لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإن رآها من نفسه كان شركًا، وإن رآها لنفسه كان مكرًا، فكيف يمن العبد بما هو شرك أو بما هو مكر؟!. والذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منه؟. بل المنة لله، فهو تعالى ولى النعمة. ولا تكون المنة منه إلاّ إذا كان العبد صادقًا فى حاله، والمنة تكدر الصنيع إذا كانت من المخلوقين، ولكن بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يعدون إسلامهم منة عليك، والمن: ذكر النعمة على وجه الافتخار. واستشرافك أن يعلم الناس بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك، وكل من غلب عليه الجهل حتى من على شيخه بصحبته له، أو بما أعطاه.

سورة ق

مكية، وآياتها خمس وأربعون آية.

﴿... وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ١.

القرآن المجيد المطهر لمن اتبعه عن دنس الأكوان وهواجس الأسرار.

يقول سهل التسترى: أقسم المولى بقدرته وقوته، ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ المشرف على سائر الكلام.

ويقول ابن عطاء: فى قوله تعالى: ﴿قٓ﴾ أى أقسم بقوة قلب حبيبه محمد ﷺ حيث حمل الخطاب والمشاهدة، ولم يؤثر ذلك عليه وفيه لعلو حاله.

ويقول الإمام القشيرى: ق مفتاح أسمائه «قوي وقادر وقدير وقريب». فأقسم بهذه الأسماء وبالقرآن المجيد، وجواب القسم محذوف؛ ومعناه لتبعثن فى القيامة.

ويقول محيى الدين بن عربى: العقل القرآنى الكامل فيه الذى هو الاستعداد الأولى الجامع لتفاصيل الوجود كله، فإذا برز وصار إلى الفعل كان عقلاً فرقانياً، ولا يخفى مجده وشرفه بهذا المعنى، أو القرآن المجيد النازل عليه الذى هو بعينه الفرقان البارز.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قٓ﴾ أيها القريب المقرب من حضرتنا، إنك لرسول مجيد، ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ذى المجد والشرف على سائر الكتب، أو لأنه كلام مجيد من علم معانيه، وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس.

﴿... شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٢.

القرآن مجيد الشرف على سائر الكلام.

يقول الإمام القشيرى: التعجب نوع من تعبير النفس عن استبعادها لأمر خارج العادة لم يقع به علم من قبل.

ويقول الإمام ابن عجيبة: بيّن تعالى تعجبهم بقوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أى: هذا الذى يقوله محمد عليه الصلاة والسلام من البعث بعد الموت شىء عجيب. أو: كون محمد منذراً بالقرآن شىء يُتعجب منه. ووضع ﴿الْكَافِرُونَ﴾ موضع الضمير للدلالة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على كفر عظيم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ . . .﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٧.

ما كـان عليه قلـوب الأبرار والأخيار، لا يـخطر فيـه إلاّ شهود الحق تـعالى، وأنشد الحلاج لنفسه:

أنعى إليـك قلوبـاً طالما هطلت سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

يقول الإمـام جعفـر الصادق: يعنى قلباً يسمع ويعقل ويبـصر، فكل ما سمع الخطاب بلا واسطة فيمـا بينه وبين الخلق يغفل ما مر عليـه بالإيمان والإسلام من غير مســألة ولا شفيع ولا وسيلة كانت له عند الله تعالى فى الأزل، ويبصر قدرة القادر البارئ فى نفسه وملكوته وأرضه وسمائه، فاستدل بها على وحدانيته وفردانيته وقدرته ومشيئته.

ويقول ابن عطاء: قلب لاحظ الحق بعين التعظيم، فدان له وانقطع إليه عما سواه. موعظة بالغة لمن له قلب بـصير يقوى علـى التجريد مع الله تعـالى، والتفريد له حـتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس، فلا يشغل بغيره ولا يركن إلى سواه.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المعنى المذكور لتذكيرًا ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ كامل بالغ فى الترقى إلى حد كماله.

ويقول الإمام القشيرى: قلب حاضر كالعقل، وقلب على الإحسان مقبل، يعد أنفاسه مع الله، حى بنور الموافقة، غـير معرض عن الاعـتبار والاستبـصار. فكل قلب منع الحق عنه الأوصاف الذميمة وألزمه النعوت الحميدة.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ﴿إِنَّ فِـي ذَلِـكَ﴾ أى: فيما ذكر من قصـصهم، أو فيما ذكر فى السـورة ﴿لَذِكْـرَىٰ﴾ لتذكـرة وعظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ سليم واع يدرك كنه مـا يشاهده من الأمور ويتفكر فيها، ففى ذلك ذكرى لمن كان له قلب سليم من تعلقات الكونين.

﴿... أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٧.

بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين، وطرق السابقين الناجين من الأزل وللأبد وما بينهما من الحدث عبرة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ إذ همّ عوقب القلب على المكان، ولا يعرفه إلاّ العلماء بالله عز وجل.

ويقول أبو سعيد الخراز: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أى: لا يستمع القرآن وهو أن يسمعه من جبريل، وقراءته فى النبى لقوله: «نزل به الروح الأمين»، ثم يرقى كأنه يسمعه من الحق تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

ويقول الإمام القشيرى: استمع إلى ما ينادى به ظاهره من الخلق وإلى ما يعود إلى سره من الحق تعالى.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿أَلْقَى السَّمْعَ﴾ فى مقام النفس إلى القلب لفهم المعانى والمكاشفات للترقى، وهو حاضر بقلبه، متوجه إليه، مفيض لنوره، مترق إلى مقامه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يشهد ما من الله إلى الله، أو يشهد أسرار الذات.

﴿... وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾

سورة ق/ مكية/ الآية ٣٨.

الحق المنشىء بلا عناء ولا لغوب أظهر وأخفى وأوجد وأفقد وأبقى وأفنى وأقرب وأبعد، ظهر من غير ظهور، وبطن من غير بطون، أمر بالطاعة من غير حاجة، ونهى عن المعصية من غير كراهية، أثاب لا لعوض، وعاقب لا لحقد، أظهر الربوبية من غير افتخار، واحتجب عن خلقه بخلقه لا مقصر عنه، ولا غاية وراءه، لا يذكر بالأزمان والأوان؛ لأنه كان قبل الأزمان والأوان، جل ربنا وتعالى.

يقول الإمام القشيرى: وأنى يمسه اللغوب وهو صمد لا يحدث فى ذاته حادث؟!

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ من إعياء ولا تعب فى الجملة، وهذا رد على جهلة اليهود، أنه تعالى بدأ العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على العرش، تعالى عما يقولون علواً كبيراً. لأن أمرنا بين الكاف والنون.

سورة الذاريات

مكية، وآياتها ستون آية.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾

سورة الذاريات/ مكية/ الآية ٢١.

إذا عرج على نفسه، بانت نفسه لنفسه، ومن لم يعرج على جملته كان محتشماً لم يبين خلقه لخلقه، وكان كأن لم يزل، خوطب بلسان الأزل، وجميع نعوته عدم، بقوله: «بلى» فكان المخاطب لهم والمجيب عنهم: بلى هم.

يقول ابن عطاء: إنكم لا تدركون أنفسكم، فكيف تدركون من له السموات؛ ومشيئته نافذة فى كل شىء.

ويقول الإمام القشيرى: كما أن الأرض تحمل كل شىء فكذلك العارف يتحمل كل أحد. ومن الآيات التى فى الأرض أنها يلقى عليها كل قذارة وقمامة، ومع ذلك تنبت كل زهر ونور. كذلك العارف يتشرب كل ما يسقى من الجفاء، ولا يترشح إلاّ بكل خلق علىّ؛ وشيمة زكية.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ من أنوار تجلياتها ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ فى سماء الروح.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ آيات وعجائب القدرة؛ إذ ليس شىء فى العالم إلاّ وفى الأنفس له نظير. ﴿أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ أى: تنظرون نظر من اعتبر.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾

سورة الذاريات/ مكية/ الآية ٥٦.

كيف يجوز أن يظهر الحق فيما أوجده بهذا النقص والعلة، كلا وحاشا، وثبت أن الحق سبحانه وتعالى ألزم فى كتابه وصف العبودية للخلق أجمع.

يقول الجنيد البغدادى: ألزمهم دوام العبادة، وضمن لهم عليها فى العاجل الكفاية فى الآخرة جزيل الثواب.

ويقول ابن عطاء: لا يعرفون ولا يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به فإن الله تعالى خلق الدنيا إظهاراً لقدرته، وخلق الآخرة جزاءً لخلقه، ورفع السماء تبيانًا لملكه، ونصب الجبال تعظيمًا لجبروته، ومد الأرض إعلامًا ببطشه، وأجرى الأنهار إخباراً برأفته، وخلق الجنة لأوليائه بيانًا لفضله تعالى، وخلق النار لأعدائه إظهارًا لعدله، وخلق الأنبياء تأكيداً لحجته، وخلق ما فى الدنيا إظهاراً لبره ولطفه واستشهاداً لربوبيته وكبريائه.

ويقول الإمام القشيرى: الذين اصطفيتهم فى آزالى، وخصصتهم اليوم بحسن إقبالى، ووعدتهم جزيل أفضالى. ما خلقتهم إلاّ ليعبدون. والذين سخطت عليهم فى آزالى، وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من أعمالى، وخلقت النار لهم بحكم إلهيتى ووجوب حكمى فى سلطانى، ما خلقتهم إلاّ لعذابى وأنكالى، وما أعددت لهم من سلاسلى وأغلالى. ما أريد منهم أن يطيعوا أو يرزقوا أحداً من عبادى، فإن الرزاق أنا، وما أريد أن يطعمون فإننى أنا الله «ذو القوة» المتين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: إلاّ لنأمرهم بالعبادة والخضوع لربوبيتى، لا لنستعين بهم على شأن من شئونى، كما هى عادة السادات فى كسب العبيد، ليستعينوا بهم على أمر الرزق والمعاش.

سورة الطور

مكية، وآياتها سبع وأربعون آية.

﴿وَالطُّورِ﴾

سورة الطور/ مكية/ الآية ١.

﴿وَالطُّورِ﴾ أى: وطيران سرك إلينا وإليك بنا، وفرارك عما سوانا.

يقول الإمام جعفر الصادق: ما يطوى على قلب أحبابى من الأنس بذكرى والالتذاذ بحبى، وهو ما كتب الحق تعالى على نفسه لهم من الاقتراب والقربة.

ويقول الإمام القشيرى: أقسم الله، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾. والطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى عليه السلام، لأنه محل قدم الأحباب وقت سماع الخطاب. ولأنه الموضع الذى سمع فيه موسى ذكر محمد ﷺ وذكر أمته حتى نادانا ونحن أصلاب آبائنا.

ويقول محيى الدين بن عربى: الطور هو الجبل الذى كلم عليه موسى عليه السلام، وهو الدماغ الإنسانى الذى هو مظهر العقل والنطق أقسم به لشرفه وكرامته، ولكون الفلك الأعظم الذى هو محدد الجهات بالنسبة إلى العالم بمثابة الدماغ بالنسبة إلى الإنسان، يمكن أن يكون إشارة إليه، وأقسم به لشرفه وكونه مظهر الأمر الإلهى وحل القضاء الأزلى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أقسم الله تعالى بجبل العقل، الذى أرسى به النفس أن تميل إلى ما فيه هلاكها، وبما كتب فى قلوب أوليائه من اليقين والعلوم والأسرار.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...﴾

سورة الطور/ مكية/ الآية ٤٨.

﴿وَاصْبِرْ﴾ فإن صبرك بتوفيقنا وبشهود غيوبنا، فلذلك حصلت الظنون منك ظنونًا، إذ أنت الناظر إلينا بنا وأنت تنظر إلينا بما لنا وعنا، فتكون بذلك محجوباً عن واجبنا.

يقول الإمام جعفر الصادق: عند هذا الخطاب سهل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤنه، وكذلك كل حال ترد على العبد فى محل المشاهدة.

ويقول ذو النون: انظر لا تتقدم في همة، ولا تتأخر فى أخرى تلقى عن قلبك ذكر ما مضى وذكر ما بقى، وتكون قائماً بوقتك ودوام علمك كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

ويقول ابن عطاء: فإنك مغمور فى حفظنا، غريق فى فضلنا، مستور بحفظنا. ومن اختص بالله كان فى حفظه، ومن كان فى حفظه كان فى مشاهدته، ومن كان فى مشاهدته استقام معه ووصل إليه. ومن وصل إليه انقطع عما سواه، ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين.

ويقول الإمام القشيرى: أنت بمرأى منّا، وفى نصرة منّا. فاصبر لما حكم به فى الأزل، فإنه لا يتغير حكمنا الأول إن صبرت وإن لم تصبر، لكن إن صبرت على قضائى جزيت ثواب الصابرين بغير حساب.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَاصْبِرْ﴾ بمنع النفس عن الظهور بالاعتراض على الحكم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: اصبر لما حكم به عليك من شدائد الوقت، وأذاية الخلق؛ بإمهالهم إلى اليوم الموعود مع مقاساتك آذاهم.

﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ...﴾

سورة الطور/ مكية/ الآية ٤٨.

قال تعالى للكليم عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ ليس من هو بالعين كمن هو على العين، وليس من فنى بالشىء كمن فنى عن الشىء، لأن الفناء بالشىء لمعنى الجمع، والفناء عن الشىء بمعنى الاحتجاب.

يقول الإمام القشيرى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فى هذا تخفيف عليه وهو يقاسى الصبر. والتعبير بالجمع يفيد زيادة الرعاية فى حق المصطفى صلوات الله عليه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هو حكم سيدك الذى يُربيك ويقوم بأمورك وحفظك، فما فيه إلا نفعك ورفعة قدرك، وجمع العين والضمير للإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ والرعاية. فإنك من جملة أعيننا، وأعيان الحق الكُمَّل من الأنبياء والرسل والملائكة وأكابر أوليائه، فإنهم أعيان تجلياته.

سورة النجم

مكية، وآياتها اثنتان وستون آية.

وهى أول سورة أعلن بها النبى ﷺ.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ٣.

من عرف اللطائف علت أخطاره وجلت أقداره، وصار الشبح عليه فتنة. قال لصفيه عليه السلام: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، أخذته النعوت فنبذته فى شواهد شعاعها، فلا يهتم لآدم عليه السلام ومن دونه لفنائهم عنده، ومن لبس الأزلية بتيقنه، وارتدى الآخرية بتوحيده ارتفع كل حدث عن صفاته وأحواله.

يقول الإمام جعفر الصادق: كيف ينطق عن الهوى من هو ناطق بإظهار التوحيد وإتمام الشريعة وإيجاب الأمر والنهى. بل ما نطق إلاّ بأمر وما سكت إلاّ بأمر، أُمر فكان أمره قربة من الحق تعالى، ونهى فكان نهيه أدبًا وزجرًا.

ويقول الإمام القشيرى: ما ينطق بالهوى، وما هذا القرآن إلاّ وحى يوحى وفى هذا أيضاً تخصيص له بالشهادة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ بظهور صفة النفس فى التلوين.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ما يصدر نطقه بالقرآن الكريم أو غيره عن هواه ورأيه أصلاً. فأقسم الله تعالى بنجم العلم إذا طلع فى أفق سماء القلوب الصاحية، إن هذا القلب الذى طلع فيه نجم العلم بالله، وأشرقت عليه شمس الحقائق لا يضل صاحبه ولا يغوى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، لأنه مستغرق فى شهود الحق، لا يتجلى فيه إلاّ الحق. أى: ما يتجلى فيه إلاّ وحى يُوحى من قبل الإلهام الإلهى، علمه شديد القوى، وهو الوارد الربانى.

﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ١٧.

ما زاغ البصر إلى الدنيا، وما طغى إلى العقبى.

يقول الإمام جعفر الصادق: شاهد من علامات المحبة ما كبر عن الإخبار عنها.

ويقـول ابن عطاء: رأى من آيات ربه تعالى الكبرى؛ فهرب منها والتجئ حتى أدنى محل الرؤية فشكر. لم يـره بطغيان مـيل، بل رآه على شرط اعتـدال القوى. فلا شك فـيه ولا امتراء.

ويقول الإمام القشيرى: ما مال صلوات الله عليه وسلامه ببصره عما أبيح له من النظر إلى الآيات، والاعتبار بدلائلها. فما جاوز حده، بل راعى شروط الأدب فى الحضرة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أى: بصر محمد ﷺ ما عدل عن رؤية العجائب التى مكن من رؤيتـها ﴿وَمَـا طَغَى﴾ وما جاوز ما أمر برؤيته. زاغ بصـر البصيرة عن شهود تلك الأسرار، وما حجبه عنها أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسى، لتلطف تلك العوالم فى نظر الـعـارف ﴿وَمَـا طَغَى﴾ وما جاوز الـعبودية حتى يطمع فى الإحـاطة بعظمة كنه الربوبية، فإن الإحاطة لا تمـكن لا فى هذه الدار، ولا فى تلك الدار، بل يبقى الترقى فى الكشـوفات، والمزيد من حـلاوة الشهـود أبدًا سرمـدًا. لقد رأى هذا القلب الصـافى من عجائب ربه الكبرى، حيث وسع من لم تسعه أرضه ولا سماؤه.

﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ٢٤.

قال الحسين بن منصور الحلاج رضوان الله عليه: الاختيار طلب الربوبية، والتمنى الخروج من العبودية، وسبب عقوبه الله تعالى عباده ظفرهم تمنيهم.

يقول الإمام القشيرى: ليس للإنسان ما يتمناه؛ فإنه يتمنى طول الحياة والرفاهية وخصب العيش، . . وما لا نهاية له. ولكن أحدًا لا يبلغ ذلك بتمامه. فما يتمناه الإنسان أن يرتفع مراده واجبًا فى كل شىء، وأن يرتفع مراد عبد واجبًا فى كل شىء ليس من صفات الخلق، بل هو الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: من يهدى إلى طريق السلوك، بقطع العلائق النفسانية والقلبية، وهم خلفاء الرسول عليه أفضل السلام، الداعون إلى الله تعالى، من شيوخ التربية فى كل زمان. ﴿أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، ليس له ما يتمنى إلاّ بسابق العناية، فلا يدرك العبد من الدنيا والآخرة ومن الله تعالى، إلاّ ما سبق به القدر.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾

سورة النجم/ مكية/ الآية ٤٢.

قيل للحسين بن منصور الحلاج رحمة الله عليه: ما التوحيد؟. فقال: أن يعتقد أنه معل الكل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾، عند ذلك بطلت المعلولات، منه الابتداء، وإليه الانتهاء. قال الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ ذهبت المعلولات وبقى المعل لها.

يقول ابن عطاء: إذا وصل العبد إلى معرفة الربوبية تنحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له.

ويقول الإمام القشيرى: إليه المرجع والمصير، فابتداء الأشياء من الله خلقًا، وانتهاء الأشياء إلى الله مصيرًا. فإذا انتهى الكلام إلى الله تعالى فاسكتوا. وإذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس بعده شيء، إلاّ ألطافًا من مال أو منال أو تحقيق آمال أو أحوال يجريها على مراده، وهى حظوظ للعباد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: انتهى سير السائرين إلى الوصول إلى الله، والعكوف فى حضرته. ومعنى الوصول إلى الله: العلم بأحدية وجوده فيمتحى وجود العبد فى وجود الرب تعالى، وتضمحل الكائنات فى وجود المكون، فتسقط شفعية الأثر، وتثبت وترية المؤثر.

سورة القمر

مكية، وآياتها خمسون آية.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾

سورة القمر/ مكية/ الآية ٥٠.

الأمر: عين الجمع، والإرادة: عين العلم، ثم بين أن أفعال العباد جرت على سابق تقديره.

يقول الإمام القشيرى: إذا أردنا خلق شىء لا يتعسر، ولا يتعذر علينا، نقول له: كن، فيكون بقدرتنا، كما أن هذا القدر عندكم ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ لا تلحقكم به مشقة؛ كذلك عندنا: إذا أردنا نخلق شيئا ـ قل أو كثر، صغر أو كبر ـ لا تلحقنا فيه مشقة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ﴾ كلمة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ أى: تعلق المشيئة الأزلية الموجبة لوجود كل شىء فى زمان معين على وجه معلوم ثابت فى لوح القدرية المسمى فى الشرع: كن. فيجب وجوده فى ذلك الزمان على ذلك الوجه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: هذا فى عالم الأمر، ويسمى عالم القدرة، وأما فى عالم الخلق ويسمى عالم الحكمة، فجله بالتدريج والترتيب، سترًا لأسرار الربوبية، وصونًا لسر لقدرة الإلهية، ليبقى الإيمان بالغيب، فتظهر مزية المؤمن، ويقال لأهل العناد المتجبرة: ولقد أهلكنا أشياعكم؛ إما بالهلاك الحسى أو المعنوى، كالطرد والبعد، فهل من متعظ يرجع عن عناده؟.

سورة الرحمن

مدنية، وآياتها ست وسبعون آية.

وقيل مكية.

﴿الرَّحْمَنُ﴾

سورة الرحمن/ مدنية/ الآية ١.

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

سورة الرحمن/ مدنية/ الآية ٢.

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أى: علم الأرواح القرآن شفاهاً ومخاطبةً، فأخذته الأنفس وتعلمته بتلقين الوسائط.

يقول ابن عطاء: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أى: الذى علم آدم عليه السلام الأسماء وفضله بها على الملائكة، هو الذى علمكم القرآن الكريم وفضلكم به على سائر الأمم.

ويقول الإمام القشيرى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذى عرفه الموحدون وجحده الكافرون هو الذى ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾، فرحمهم، وعن الشرك عصمهم، وبالإيمان أكرمهم، وكلمة التقوى ألزمهم. وعلم الأرواح القرآن قبل تركيبها فى الأجساد بلا واسطة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ اسم خاص من أسماء الله تعالى باعتبار إفاضة أصول النعم كلها من الأعيان وكمالاتها الأولية بحسب البداية، وإنما أورد ههنا لعموم وصفيته الشاملة للأوصاف التى تحت معناه فى المبدئية ليسند إليه الأصول المختلفة الواردة بعده. ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ أى: الاستعداد الكامل الإنسانى المسمى بالعقل القرآنى الجامع للأشياء كلها، حقائقها وأوصافها وأحكامها إلى غير ذلك مما يمكن وجوده، ويمتنع بإبداعه فى الفطرة الإنسانية وركزه فيها، ولأن ظهوره وبروزه إلى الفعل بتفصيل ما جمع فيه. وصيرورته فرقانًا إنما تكون بحسب النهاية ما ذكر الفرقان لأنه من باب الرحمة الرحيمية لا الرحمانية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ من الأسماء الخاصة بالذات العلية، ولما كان القرآن من أجل النعم عبر عن تعليمه بالرحمانية، التى هى من الصفات الخاصة؛ لأن القرآن المجيد مظهر لأوصاف الذات وأسرارها وأفعالها، وكاشف لحقائقها عند من فُتحت بصيرته.

﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ...﴾

سورة الرحمن/ مدنية/ الآية ٥٦.

حارت فى رؤيتها الأبصار، و﴿قَاصِرَاتُ﴾، قصرت عن إدراك وصفها الأفكار لا بترحم عنها لفظ اللسان.

يقول سهل التسترى: من قصر طرفه فى الدنيا عن الحرام والشبهات، وعن اللذات وزينتها؛ أعطاه الله فى الآخرة قاصرات الطرف التى وعد.

ويقول الإمام القشيرى: فى الجنان حور قصرن عيونهن عن غير أزواجهن، وإذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، وإذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير أزواجهن فأولى بالعبد إذ رجا لقاءه سبحانه أن يقصر طرفه ويغضه عن غير مباح؛ بل عن الكل، إلى أن يلقاه. ويقال: هن لمن قصرت يده عن الحرام والشبهة، وطرفه عن الريب.

ويقول محيى الدين بن عربى: مما يتصلون بها من النفوس الملكوتية التى فى مراتبها وما تحتها سماوية كانت أو أرضية، مزكاة صافية مطهرة لا يجاوز نظرها مراتبهم ولا تطلب كمالاً وراء كمالاتهم لكون استعدادتها مساوية لاستعدادهم أو أنقص منها، وإلاّ جاوزت جناتهم وارتفعت عن درجاتهم، فلم تكن قاصرات الطرف ولم تقنع بوصالهم ولذات معاشراتهم ومباشراتهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فِيهِنَّ﴾ أى: الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس، أو: فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والغرس والجنى ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ جوار قصرن أبصارهم على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم.

سورة الواقعة

مدنية، وآياتها ست وتسعون آية.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

سورة الواقعة/ مكية/ الآية ٢٤.

رد الشبح إلى الشبح، والمخلوق إلى المخلوق، ولما كانت أفعالهم مخلوقة، وأذكارهم مخلوقة معلومة؛ جعل جزاءها ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾، وحور عين وما يشبهها، ولما كان فضله وإحسانه إلى عباده بديا غير مخلوق جعل ثوابه وجزاءه مما يليق به فقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾.

يقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فى حال الاستقامة من الأعمال الإلهية المقصودة لذاتها المقارنة لجزائها، أو بما كانوا يعملون فى حال السلوك من أعمال التزكية والتصفية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: يفعل بهم ذلك لجزاء أعمالهم الصالحة، فنفس الدخول للجنة بمحض الرحمة، وكثرة النعيم والغرف بالعمل والترقى باليقين والمعرفة.

سورة الحديد

مدنية، وآياتها تسع وعشرون آية.

وفيها آيات مكية.

﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٣.

هداهم باسمه ﴿الأَوَّلُ﴾ إلى الغيب المحيط، وعرفهم باسمه ﴿الآخِرُ﴾ الشأن القائم الدائم، وبصرهم باسمه ﴿الظَّاهِرُ﴾ النور العزيز المبين، وأوزعهم باسمه ﴿الْبَاطِنُ﴾ الحق والشهادة. فهو الأول الذى لا تخرجه الأولية ولا الآخرية ولا الظاهرية ولا الباطنية إلى نعوت الحلول والافتراق، وكيف يسعه أو يدركه شىء من خلقه وهو المحيط بالأزل، والأزل والأبد والآباد من جميع الوجوه، وإليه الغاية والمنتهى، أزلى العلم، أزلى القدرة، أزلى الشأن، أزلى المشيئة، أزلى النور، أزلى الرحمة. البادى لكل علم ومعلوم وشاهد ومشهود جل وعلا.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو الذى أول الأول، وآخر الآخر، وأظهر الظاهر، وأبطن الباطن. فسقطت هذه المعانى وبقى هو تعالى.

ويقول أبو الحسن النورى: الأولية هى الآخرية، والآخرية هى الأولية، كما أن الأزلية هى الأبدية، والأبدية هى الأزلية، ليس بينهما حاجز. إلاَّ أنه يفقدك وقتًا ويشهدك وقتًا لتجديد اللذة ورؤية العبودية.

ويقول ابن عطاء: من كان شغله من هذه الأسامى بالأول، كان شغله بما سبق فى السبق من مشيئته وقضائه؛ ومنعه وعطائه. ومن كان شغله بالآخر؛ كان شغله بما يستقبله من الأمر فى التنقيل والتحويل على الدهور. الأول يكشف أحوال الآخرة حتى لا يشكون فيها، والآخر يكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبون فيها. فهو الأول بتكوين البدائع، فليس قبله شىء، والآخر بعد طمس الخلائق، فليس بعده شىء.

ويقول محيى الدين بن عربى: عرفت الله بجمعه بين الضدين، وهذا مدرك عزيز المنال؛ يتعذر تصوره على من لا أنسة له بالعلوم الإلهية التى يعطيها التجلى والنظر الصحيح. فسر الأبد هو نفى الآخرية، فهو أول وآخر بنسبتين مختلفتين، وسر الحال هو الديمومة ومالها أول ولا آخر ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ الذى يبتدئ منه الوجود الإضافى باعتبار إظهاره ﴿وَالآخِرُ﴾ الذى ينتهى إليه باعتبار إمكانه وانتهاء احتياجه إليه، فكل شىء به يوجد فيه يفنى، فهو أوله وآخره فى حالة واحدة.

﴿... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٣.

هو أول لا أول له، وآخـر لا آخر له، وظاهـر لا ظاهر له، وباطن لا باطن له، به تُوصف الصفـات لا بها يُوصف، وبه تُعرف المعارف لا بهـا يُعرف، به عُرف المكان؛ ولا مكان له ولا عرف فيه، وبه كان الخلق لا فى خلقه كان.

يقول الإمام القـشيرى: علم ما يفعله عباده ولم يمنعه عـلمه من تعريفهم، ورأى ما عملوا ولم يمنعه ذلك من غفرانهم و﴿الظَّاهِرُ﴾ ليس يخفى عليه شىء من شأنهم، وليس يدع شيئاً من إحســانهم و﴿الْبَـاطِنُ﴾ بعلم ما ليس لهم به علم من خسرانهم ونقـصانهم فيدفع عنهم فنون محنهم وأحزانهم.

ويقول الشيخ الأكـبر ابن عربى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لأن عين ماهيتـه صورة من صور معلوماته؛ إذ صور الأشياء كلهـا فى اللوح المحفوظ وهو يعلم اللوح مع تلك الصور بعين ماهية اللوح المنقش بتلك الصور فعلمه بها عين علمه بذاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لا يغرب عن علمه شىء من الظاهر والخفى.

﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٤.

مـا فارق الأكـوان الحق تعـالى، ولا قارنهـا، كـيف يفارقـهـا وهو موجـدها وحافظهـا، وكيف يقارن الحدث القـدم وبه قوام الكل، وهو بائن عن الكل، ألا تراه تعالـى يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. سُئل الحسين الحـلاج رحمه الله: ما التوحيد؟ قال: أن يعتقـد أنه معل الكل بقوله سبحانه: ﴿هُـوَ الأَوَّلُ﴾ عنـد ذلك يصل لكل مـعلول. فـهـو أول لا أول له، وآخـر لا آخـر له، وظاهر لا ظاهر له، وباطن لا باطن له، به تُوصف الصـفات لا بهـا يُوصف، وبه تُعرف المـعارف لا بها يُعـرف، وبه عُرف المكان ولا مكان له ولا عـرف فيه، وبـه كان الخلق لا فى خلقه كان.

يقول الإمام القشيرى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بالعلم والقدرة، فإذا دفن العبد فالله سبحانه يعلم ما الذى كان فى قلبه من إخـلاص فى توحيده، ووجوده أحزانه خسـرانه، وشكه وجحوده، وأوصافه المحمودة والمذمومة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ بالعلم والقدرة والإحاطة الذاتية.

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾

سورة الحديد/ مدنية/ الآية ٢١.

لما باشرت هذه المخاطبة العقول نهضت مستحضة للجوارح بحسن التوجيه؛ لإقامة ما به يحطون عند من استجابوا لدعوته، فظنوا لإثارته، وأقاموا تحت العلم بقربه، وقرب عيونهم بما أورد على قلوبهم بالسرور بالخلوة جلاسًا أناسًا أكياساً لا يرهبون فى الطريق إلى غيره، ولا يتوسلون إليه إلاّ به، ولا يسألونه شيئًا غير التمتع بخدمته، وحسن المعرفة على موافقته.

يقول الإمام القشيرى: أى، سارعوا إلى عمل يوجب لكم مغفرة من ربكم، وذلك العمل هو التوبة.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ لما حقر الحياة الحسية النفسية الفانية؛ وصورها فى صورة الخضراء السريعة الانقضاء، دعاهم إلى الحياة العقلية القلبية الباقية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿سَابِقُوا﴾ بالأعمال الصالحة، أو سارعوا مسارعة السابقين لأقرانهم فى المضمار. وفيه إغراء على النهوض إلى الله تعالى، وسرعة السير إلى الحق تعالى، والتنافس فى السبق.

سورة المجادلة

مدنية، وآياتها اثنتان وعشرون آية.

﴿... مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٧.

أصحب أقواماً بأرواح ظاهرة وملاحظات دائمة وأنوار قائمة ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ علمًا وحكمًا، لا نفسًا وذاتًا.

يقول الإمام القشيرى: أهل التوحيد وأصحاب العقول من أهل الأصول يقولون: الله واحد لا من طريق العدد، والحق يقول: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾. فحيثما كنت فأنا معك؛ إن كنت فى المسجد فأنا معك، وإن كنت فى المصطبة فأنا معك، إن طلب العلماء التأويل وشوشوا قلوب أولى المواجيد فلا بأس؛ فأنا معهم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ لا بالعدد والمقارنة؛ بل بامتيازهم عنه بتعيناتهم واحتجابهم عنه بماهياتهم وأنياتهم وافتراقهم منه بالإمكان اللازم لماهياتهم وهوياتهم وتحققهم بوجوبه اللازم لذاته واتصاله بهم بهويته المندرجة فى هوياتهم، وظهوره فى مظاهرهم وتستره بماهياتهم ووجوداتهم المشخصة وإقامتها بعين وجوده وإيجابهم بوجوبه، فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم، ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم. ولهذا قيل: لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة.

ويقول الإمام ابن عجيبة: استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى، ومبين لكيفيته. أى: ما يقع من تناجى ثلاثة نفر في مسارتهم ﴿إِلاَّ هُوَ﴾ تعالى ﴿رَابِعُهُمْ﴾ أى: جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم فى الإطلاع عليها.

﴿... أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

فى قوله تعالى عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أى: فى قلوب المؤمنين ليكون أثبت وأبقى لوقوع المناسبات. وأقبل عليهم بنظره، وملكهم بقدرته، وأحصاهم بعلمه، وأحاطهم بنوره، ودعاهم إلى معرفته.

يقول الإمام القشيرى: خلق الله الإيمان فى قلوب أوليائه وأثبته. جعل قلوبهم مطرزة باسمه، . . وأعزز بحلة لأسرار قوم طرازها اسم الله تعالى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر، وما فيه من معنى البعد لرفع درجتهم فى الفضل. أي: أثبته فيها، وفيه دلالة على خروج الأعمال من مفهوم الإيمان، فإن جزء الثابت فى القلب ثابت فيه، ولا شيء من أعمال الجوارح يثبت فيه.

﴿...وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

أقبل عليهم بنظره، وملكهم بقدرته، وأحصاهم بعلمه، وأحاطهم بنوره، ودعاهم إلى معرفته.

يقول سهل التسترى: كتب الله الإيمان فى قلوب أوليائه سطوراً، فالسطر الأول التوحيد، والثانى المعرفة، والثالث اليقين، والرابع الاستقامة، والخامس الثقة، والسادس الاعتماد، والسابع التوكل. وهذه الكتابة هى فعل الله تعالى لا فعل العبيد، وفعل العبيد فى الإيمان هو ظاهر الإسلام؛ وما يبدو منه ظاهراً، وما كان باطنًا فهو عقل الله عز وجل.

ويقول محيى الدين بن عربى: **﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾** لاتصالهم بعالم القدس أو بنور تجلى الذات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: **﴿وَأَيَّدَهُم﴾** أى: قوّاهم من عنده تعالى، وهو نور اليقين، أو القرآن الكريم، أو النصر على العدو، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان، أى: بروح الإيمان. وهو مقام الشهود والتجلى العيانى، وهو حقيقة السر عند القوم، وعلم يمتد ظله فى الأرواح المواجهة على حسب قابليتها واستعدادها، كما خصصتها المشيئة الإلهية، وهو التعليم الإلهامى للأولياء، والتنزل الوحيى للأنبياء عليهم السلام.

﴿...حِزْبُ اللَّهِ...﴾

سورة المجادلة/ مدنية/ الآية ٢٢.

﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ تعالى الذين إذا نطقوا أبهـروا، وإن سكتوا أظهروا، وإن غابوا أحضروا، وإن ناموا أشهـدوا وسلموا، وإن كلموا تكلموا، وأن نجت عنهم علل التخليط تطهروا ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

يقول سهل التسترى: الحزب سبعة؛ وهم الأبدال، والأرفع منهم الصديقون، ألا إن حزب الله هم المفلحون الغالبـون، إلاّ أن الوارثين لأسرار علومهم المشرفين على مـعادن ابتدائهم إلى انتهائهم هم المفلحون.

ويقـول ابن عطاء: إن لله عبادًا اتصالهم به دائم وأعينهم به قريرة أبداً، لا حياة لهم إلاّ به لاتصال قلوبهم به؛ والنظر إليهم بصـفاء اليقين فحياتهم بحيـاته موصولة لا موت لهم أبداً ولا صبر عنه، لأنه قد سبى أرواحهم، فـعقلها عنده وثم مأواها قد غشى قلوبهم من النور ما أضاءت به وأشرقت، ونمى زيادتها على الجـوارح؛ وصاروا فى حرزه وحماه، ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

ويقول مـحيى الدين بـن عربى: ﴿حِـزْبُ اللَّهِ﴾ السابقـون الذين لا يلتفتون إلى غـيره ولا يثبتونه.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار حقه، ورعاة خلقه، وهو بيان لاختصاصهم به عز وجل.

سورة الحشر

مدنية، وآياتها أربع وعشرون آية.

﴿...أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

سورة الحشر/ مدنية/ الآية ٨.

سئل الحسين بن منصور رحمة الله عليه: من الفقراء؟.. فقال: الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان إرادته فيهم.

يقول الإمام القشيرى: الفقير الصادق هو الذى يترك كل سبب وعلاقة، ويفرغ أوقاته لعبادة الله، ولا يعطف بقلبه على شىء سوى الله تعالى، ويقف مع الحق سبحانه راضيًا بجريان حكمه فيه.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: **﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾** فى الإيمان اليقينى لتصديق أعمالهم دعواهم، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح بحيث لا تمكن حركاتها إلاّ على مقتضى شاهدهم من العلم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الذين يستحقون المواهب والفيض الإلهى والاصطفاء ثلاثة أصناف: الأول الفقراء الذين هاجروا أوطانهم وتركوا ديارهم وعشائرهم؛ طلبًا لصلاح قلوبهم وأسرارهم، والثانى القوم الذين نزلوا بهم إذ آووهم وآثروهم بأموالهم وأنفسهم، الثالث من جاء بعدهم طلبًا لذلك.

﴿...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ...﴾

سورة الحشر/ مدنية/ الآية ٩.

من رأى لنفـيه ملكـا لا يصح له الإيثار، لأنه يرى نفسـه أحق بالشىء برؤية ملكه، إنما الإيثـار لمن يرى الأشـياء للحـق، فمن وصل إليـه فـهو أحق به، فـإذا وصل شىء من ذلك إليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب، أو يد أمانة يوصلها إلى صاحبها، ويؤديها إليه.

يقـول ذو النون المصـرى: ماحـد الزاهد المشروح صدره؟. ثلاثة: تفريق المجـموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت.

ويقول سهل التسترى: حرص نفسه على شىء هو غير الله تعالى والذكر له، فأولئك هم المفلحون الباقون مع الله أحياء بحياته.

ويقول الإمام القشيرى: صاحب الإيثار يؤثر الشبعان على نفسه وهو جائع، ومن ميز بين شخص وشخص فليس بصـاحب إيثار حتى يؤثر الجميع دون تميـيز. وعزيز من لا يطلب من الحق تعالى لنفسه شيئًـا؛ لا فى الدنيا من جاه أو مال، ولا فى الجنة من الأفضال، ولا منه أيضًا ذرة من الإقبال والوصال وغير ذلك من الأحوال.

ويقول مـحيى الدين بـن عربى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ بعصمـة الله وكلاءته، فإن النفس مأوى كل شر ووصف ردئ، وموطن كل رجس وخلق دنئ، والشح من غرائزها المعجونة فى طينتها لملازمتها الجهة السفلية ومحبتها الحظوظ الجزئية؛ فلا ينتفى منها إلاّ عند انتفائها. ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمة الله.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: من يقيه الله شح نفسه حتى يغالبـها فيما يغلب عليها من حب المال وبُغض الإنفاق.

سورة الجمعة

مدنية، وآياتها إحدى عشرة آية.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ...﴾

سورة الجمعة/ مدنية/ الآية ٤.

جاد الجواد تعالى بجوده بغير علة، وتفضل بالتفضل، وعمها بالمن، وغشاها بالنعم إذ يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فقطع بالمشيئة وتحقق بالأسباب، فكان الكرم منه صرفاً لا تمازجه العلل، ولا يكتسبها الحيل، جاد به فى الدهور قبل إظهار الأمور.

يقول الإمام القشيرى: يقصد به هنا النبوة، يؤتيها ﴿مَن يَشَاءُ﴾ وفى ذلك رد على من قال: إنها تستحق لكثرة طاعة الرسول، ورد على من قال: إنها لتخصيصهم بطينتهم؟.. فالفضل ما لا يكون مستحقًا، والاستحقاق فرض لا فضل. و﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ هنا هو التوفيق حتى يؤمنوا به، وهو الأنس بالله، والعبد ينسى كل شيء إذا وجد الأنس.

ويقول الإمام ابن عجيبة: كل من يعرف الله معرفة العيان، فهو من الأميين، فكما مَنَّ الله تعالى على عباده ببعثه الرسول عليه الصلاة والسلام بعد أن كانوا فى ضلال مبين، كذلك مَنَّ على أمته بعده، فبعث مشايخ التربية يتلو عليهم آياته الدالة على شهوده وظهوره، ويزكيهم من الرذائل التى تحجبهم عن الله، ويُعلمهم أسرار الكتاب، وأسرار الحكمة وهى الشريعة، إذ لا يوقف على أسرارهما إلاّ بعد تطهير القلوب وتزكية النفوس، وإن كانوا من قبل ملاقاة المشايخ لفى ضلال مبين، حائدين عن طريق الشهود، وبعث أيضاً فى آخرين منهم من يُذكرهم ويعرفهم بالله، وهكذا لا ينقطع الداعى إلى يوم القيامة، لكن لا يصل إليه إلاّ من أراد الله تعالى أن يوصله إليه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾.

سورة التغابن

مدنية، وآياتها ثمانى عشرة آية.

وقيل مكية، إلاّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ إلى آخر السورة، فإنه مدنى.

﴿... وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾

سورة التغابن/ مدنية/ الآية ٣.

أحسن الصور صورة أعتقت من ذل «كن»، وتولى الحق تصويرها بيده، ونفخ فيه من روحه، وألبثه شواهد البعث، وجلاه بالتعليم وشفاهًا، وأسجد له الملائكة المقربين، وأسكنه فى المجاورة، وزين باطنه بالمعرفة، وظاهره بفنون الخدمة. قال النبى ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» أى، صورته التى صوره عليها «فأحسن صورته».

يقول الإمام القشيرى: ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أى وهو محق فى خلقه ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ لم يقل لشىء من المخلوقات هذا الذى قال لنا، صور الظاهر وصور الباطن؛ فالظاهر شاهد على كمال قدرته، والباطن شاهد على جلال قربته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أنشأكم فى أحسن تقويم، وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة، ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة، وخصكم بخلاصة خصائص مُبدعاته، وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته، فالكائنات كلها منطوية فى هذه النشأة. وهو الذى خلقكم، فمنكم كافر بطريق الخصوص حائدًا عنها، ومنكم مؤمن بها، داخل فيها. أى: فمنكم عام ومنكم خاص.

سورة الطلاق

مدنية، وآياتها اثنتا عشرة آية.

﴿... وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ...﴾

سورة الطلاق/ مدنية/ الآية ٢.

المتوكل على الحقيقة لا يأكل شيئًا وفيمن حوله من هو أحق منه، ومن رأى السبب فهو مُدَّعٍ. والتوكل هو الاستكفاء بالله والاعتماد على الله تعالى، ومن يتوكل على الله كفاه وصدق التوكل أن لا يخاف من غير الله جل وعلا، وحقيقة التوكل الاستئناس بالله تعالى.

يقول ذو النون المصرى: التقوي فى أشياء كثيرة، فمن تلبسً بالتقوى وكملت له المعرفة لا يحوج إلى أن يتعب فى طلب الرزق. وخص الله أهل ولايته بالانقطاع إليه ليعرفهم فضله وإحسانه، فانصرفت هموم الدنيا عن قلوبهم وعظم شغل الآخرة فى صدورهم لما سكنها من هيبة ربهم؛ فألزموا قلوبهم من العبودية وطرحوا أنفسهم فى شرائح التوكل.

ويقول سهل التسترى: التقوى، أى: التبرى من الحول والقوة والأسباب وكل ما دونه والرجوع إليه، ليجعل له الحق تعالى مخرجاً مما كلفه بالمعونة عليه والعصمة من الطوارق فيها.

ويقول ابن عطاء: من فارق ما يشغله عن الله، أقبل عليه وشغل جوارحه بخدمته، وأنس قلبه بالتوكل، وزين سره بالتقوى، وأيد روحه باليقين.

ويقول الإمام القشيرى: إذا صدق العبد فى تقواه أخرجه من بين أشغاله كالشعرة من بين العجيب لا يعلق بها شىء. ويضرب الله تعالى على المتقى سرادقات عنايته؛ ويدخله فى كنف الإيواء، ويصرف الأشغال عن قلبه، ويخرجه من ظلمات تدبيره، ويجرده من كل أمر.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ بحسب مقتضى مقامه واجتنب ذنب حاله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ التقوى الكاملة، يجعل له من كل مشكل وشُبهة ومتشابه مخرجًا، فينحل له كل ما أشكل على الناس فى أمر الدين والدنيا، ويرزقه من العلوم والأسرار والمعارف ما لا يخطر على بال.

سورة القلم (نون)

مكية، وآياتها اثنتان وخمسون آية.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة القلم/ مكية/ الآية ٤.

لأنك تنظر إلى الأشياء بشاهد الحق، ولا تنظر إلى الأشياء بشاهدك. فإن من نظر إلى الأشياء بشاهده هلك. ومعناه أنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق تعالى. عظم خلقك حيث لم ترض بالأخلاق وسرت ولم تسكن إلى النعوت حتى وصلت إلى الذات، ثم فنيت عن الذات بالذات حتى وصلت إلى حقيقة الذات، ومن فنى بالفناء عن الفناء كان القائم عنه غيره بالبقاء. فكيف لا يكون خلقه عظيما وقد تجلى الله سره بأنوار أخلاقه، وحق لمن وقعت له المباشرة أن يكون مفضلاً فى خلقه صغر الأكوان فى عينك بعد مشاهدة مكونها.

يقول الإمام جعفر الصادق: هو صرف الإيمان وحقيقة التوحيد، على النور الذى خصصت به فى الأزل.

ويقول سهل التسترى: تأدب بأدب القرآن المجيد ولا تتجاوز حدوده لقوله تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان».

ويقول ابن عطاء: جُدت بالدنيا والآخرة عوضًا منا. والخلق العظيم أن لا يكون له اختيار، ويكون تحت الحكم والصفح والعفو مع فناء النفس؛ وفناء المألوفات.

ويقول الإمام القشيرى: كما عرّفه الله سبحانه أخبار من قبله من الأنبياء عرفه أنه اجتمعت فيه متفرقات أخلاقهم. وقد عرض عليه تعالى مفاتيح الأرض فلم يقبلها، ورقاه ليلة المعراج، وأراه جميع المملكة والجنة فلم يلتفت إليها. ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ لا بالبلاء تنحرف، ولا بالعطاء تنصرف؛ احتمل صلوات الله تعالى عليه فى الأذى شبح رأسه وثغره.

ويقول محيى الدين بن عربى: لكونك متخلقًا بأخلاق الله تعالى، متأيدًا بالتأييد القدسى فلا تتأثر بمفترياتهم، ولا تتأذى بمؤذياتهم إذ بالله تصبر لا بنفسك.

ويقول الإمام ابن عجيبة: حسن الخلق دليل على ثبوت الخصوصية.

سورة الحاقة

مكية، وآياتها إحدى وخمسون آية.

﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾

سورة الحاقة/ مكية/ الآية ٣٨.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾أى: ما أظهر الله تعالى للملائكة والقلم واللوح، ﴿وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ مما اختزن من خلقه الذى لم يجر القلم به؛ ولم يشعر الملائكة بذلك، وما أظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه، وأبدى لهم من علمه فى جنب ما اختزن عنهم إلاّ كذرة فى جميع الدنيا والآخرة، ولو أظهر الله تعالى من حقائق ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلاً عن حملها.

يقول الإمام جعفر الصادق: ﴿مَا تُبْصِرُونَ﴾ من صنعى فى ملكى، ﴿وَمَا لا تُبْصِرُونَ﴾ من برى بأوليائى.

ويقول ابن عطاء: ما تبصرون من آثار القدرة، وما لا تبصرون من سر القدرة.

ويقول الإمام القشيرى: «لا» صلة. والمعنى: أقسم؛ كأنه قال: أقسم بجميع الأشياء، لأنه لا ثالث لما يبصرون وما لا يبصرون.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ بالظاهر والباطن من العالم الجسمانى والروحانى، فالوجود كله ظاهرًا وباطنًا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: أقسم تعالى بذاته المقدسة، ما وقع به التجلى وما لم يقع، أى: ما ظهر منها فى عالم الشهادة وما لم يظهر، على حقية القرآن الكريم، وأنه خرج من حضرة الحق إلى الرسول الحق، ناطقًا بالحق، على لسان السفير الحق، متجليًا من ذات الحق، واصلاً من الحق إلى الحق، مشتملاً على علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

سورة الجن

مكية، وآياتها ثمان وعشرون آية.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ...﴾

سورة الجن/ مكية/ الآية ٧.

هذا ظن أحد النفوس الكاذبة، والأمانى الخاتلة، والوساوس الحاجبة، من قبل أنهم جعلوا أنفسهم علمًا للوصول إليه من الجهة التى من أجلها لم يجعلها دليلاً، فشاهدوا النفوس بشهود الحظوظ والتفريط.

يقول الإمام القشيرى: أى، ظنوا كما ظن الكفار من الجن ألا بعث ولا نشور، كما ظننتم أيها الأنس.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ قبل التنور بنور الهدى.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أى: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا أهل مكة. كما كانت الجن تسمع من الرسول ﷺ وتأخذ عنه، كذلك تسمع من خلفائه من الأولياء والعلماء الأتقياء، فهى تحضر مجالس الذكر والتذكير والعلم، على حسب ما يطلب كل واحد منهم.

سورة المدثر

مكية، وآياتها ست وخمسون آية.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٣.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٤.

عظم قدره عن احتياجه إليك فى الدعـوة إليه، فإن إجابة دعوتك ممن سبقت له الهداية.

يقول الإمام القشيرى: كبره عن كل طلب ووصل وفـصل وعلة وخلق. وطهر قلبك عن الخلائق أجمع وعن كل صفة مذمـومة، وطهر نفسك عن الزلات، وقلبك عن المخالفات، وسرك عن الالتفاتات. وأهلك طهرهم بالوعظ؛ قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ سورة البقرة/ مدنية/ الآية ١٨٧، فيعبر عنهن أحيانًا بالثياب واللباس.

ويقول الشيخ الأكـبر ابن عربى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إن كنت تكبر شيئا وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبـير، لا يعظم فى عينك غيـره ويصغر فى قلبك كل مـا سواه بمشاهدة كبريائه. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ظاهرك طهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى إلى العذاب.

ويقول الإمـام ابن عجيـبة: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّـرْ﴾ أى: خص ربك بالتكبيـر، وهو التعظيم قولاً واعتقادًا، فلا يكبر فى عينك إلاّ الله تعالى. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ مما ليس بطاهر، فإنه واجب فى الصلاة، فلا تصح إلاّ بها.

﴿... أَصْحَابَ النَّارِ...﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٣١.

﴿أَصْــحَــابَ النَّارِ﴾ هم أصــحاب الرســوم والعــادات، وأصحــاب الجنة هم أصحاب الحقائق والمشاهدات.

يقول الإمام القـشيرى: حين قال المشركون نحن جمع كثير. فـما يفعل بنا تسعة عشر؟!. فأنـزل الله سبحـانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً﴾، فـيزداد المؤمنون إيماناً، ويقـول هؤلاء: أى فائدة فى هذا القدر؟.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ لتغلبهم وتقهرهم فإن عالم الملك فى قهر عالم الملكوت وتسخيره.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ﴿أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أى: خزنتها، المدبرين لهـا، القائمين بتعذيب أهلها ﴿إِلاَّ مَلائِكَةً﴾، لأنهم خلاف جنس المعذبين، فلا تأخذهم الرأفة والرقة، ولأنهم أشد الخلق بأسًا، فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ...﴾

سورة المدثر/ مكية/ الآية ٥٢.

كيف لهم بهذه الإرادة ولهم نفوس خالية عن الحق، معرضة عن أمور الحق، غافلة عن الوقت بين يدى الحق، كيف تفهم الصحف المنشورة أسرار خافية، أبكار ما افتضها خاطر حق قط. وأصلها أن البشرية لا تضاد الربوبية.

يقول الإمام القشيرى: بل يريد كل منهم أن يعطى كتابًا منشورًا.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ لم يكتفوا بتلك التذكرة، ولم يرضوا بها، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ أن يؤتى ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ وذلك أنهم قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، يؤمر فيه باتباعك. وقالوا: إن كان محمد صادقًا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار.

سورة التكوير (كورت)

مكية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾

سورة التكوير/ مكية/ الآية ١.

تطمس الشمس بعد تكويرها، وتغور البحار بعد تسخيرها، وتنسف الجبال بعد تسييرها، وتدرس العشار بعد تعطيلها، وتخمد الجحيم بعد تسعيرها، وتطوى الصحف بعد النشر، وتحشر الوحوش بعد القبر، وتزلزل الأرض وتخرج أثقالها للعرض على الجبار، وذلك أصعب مقام للمخالفين، وأهون مقام على الموافقين، فطوبى لمن أثبت فى ذلك المقام.

يقول الإمام القشيرى: ذهب ضوؤها.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: إذا كورت شمس الروح بطئ ضوئها الذى هو الحياة وقبضها عن البدن وإزالتها، وإذا انكدرت نجوم الحواس بذهاب نورها، وإذا سيِّرت جبال الأعضاء بتفتيتها وجعلها هباء، وإذا عطلت عشار الأرجل المنتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها، أو الأموال النفسية المنتفع بها، فإن العشار أنفس أموال العرب، وإذا حشرت وحوش القوى الحيوانية بأن هلكت وأفنيت من قولهم: حشرتهم السنة إذا بالغت فى إهلاكهم أو حشرت بالإحياء عند البعث. وإذا سجرت، أى: ملئت بحار العناصر بأن فجر بعضها إلى بعض واتصل كل جزء بأصله فصار بحرًا واحدًا، وإذا زوجت النفوس بأن تحشر كل نفس إلى ما تجانسه وتشاكله من صنف فصنفت أصنافًا من السعداء والأشقياء كل مع قرنائه، وإذا سئلت موؤودة النفس الناطقة التى أثقلتها وائدة النفس الحيوانية فى قبر البدن وأهلكتها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: فى قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إشارة إلى تكوير النفس وطيها، حتى انتقلت إلى مرتبة الروح.

سورة الانفطار (انفطرت)

مكية، وآياتها تسع عشرة آية.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

سورة الانفطار/ مكية/ الآية ٨.

من قصده بنفسه صرف عن حظه، ومن قصده به فهو المحجوب عن نفسه، لأنه يقول: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾. أي: فى أى حالة بما شاء أنشأك، لأنه تعالى خلق آدم عليه السلام لألطاف بره، وباشره بإعلاء قدره، وأظهر الأرواح من بين جماله وجلاله، فخصه بنفخ الروح فيه، وكساه كسوة لولا أنه سترها لسجد لها كل ما أظهر من الكون، فمن رداه برداء الجمال فلا شىء أجمل من كونه، ومن رداه برداء الجلال وقعت الهيبة على شاهده.

يقول ابن عطاء: فى أى حالة ما شاء صرفك.

ويقول الإمام القشيرى: ركب أعضاءك على الوجوه الحكيمة فى أى صورة ما شاء، من الحسن والقبح، والطول والقصر. ويصح أن تكون الصورة هنا بمعنى الصفة، و«فى» بمعنى «على» فيكون معناه: على أى صفة شاء ركبك؛ من السعادة أو الشقاوة، والإيمان أو المعصية.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة، ثم شوقك إلى السير إليه بالنظر إلى صورة بشريتك، فإنه عدلها فى أحسن تقويم، ثم نفخ فيه روحًا قدسية سماوية من روحه القديم.

سورة البروج

مكية، وآياتها اثنتان وعشرون آية.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾

سورة البروج/ مكية/ الآية ٣.

قال الحسين بن منصور فى قوله تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الشاهد العبد، والمشهود عليه أفعاله. وقيل: الشاهد أفعال العبد، والمشهود عليه العبد. والخلق مشهودون لما شهدهم به قبل خلقهم، ففى هذه الآية الكريمة بانت علامات إنه ما انفصل الكون على المكون، ولا قارنه.

يقول سهل التسترى: الشاهد الملائكة، والمشهود الإنسان، والشاهد نفس الروح، والمشهود نفس الطبع.

ويقول ابن عطاء: هو الذى يشهد له تعالى بأحواله على أحواله لما كان الحق تولاها فى أزليته قبل أن خلقها ويسرها بتقديره حتى أخرجها إلى الكون بتدبيره كذلك فى صفاته وأحواله. فالشاهد الحق تعالى، والمشهود الكون: أعدمهم ثم أوجدهم على قوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾.

ويقول الإمام القشيرى: الشاهد الله، والمشهود الخلق. شهد لنفسه بالوحدانية، والمشهود هو لأنه شهد لنفسه.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ أى: الذى شهد الشهود الذاتى فى عين الجمع ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ أى: الذات الأحدية. ومعنى التنكير التعظيم، أى: شاهد لا يعرفه أحد ولا يقدر قدره إلا الله تعالى لفنائه فيه وانتفاء عينه وأثره فكيف يعرف؟!، ومشهود لا يعلمه أحد إلا هو. ولعمرى إنه عين الشاهد لا فرق إلا بالاعتبار وجواب القسم محذوف.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿وَشَاهِدٍ﴾ هو الذى يشهد ذات الحق عياناً، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ هو عظمة الذات العلية وأسرارها وأنوارها.

سورة الغاشية

مكية، وآياتها ست وعشرون آية.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾

سورة الغاشية/ مكية/ الآية ٨.

أى شاهدت بمشاهدته حقيقة عين الحق.

يقول الجنيد البغدادي رحمه الله: جعل الله تعالى الطاعة والخوف على الأشباح، وخص بالمعرفة الأرواح.

ويقول محيى الدين بن عربى: تظهر عليها نضرة النعيم من اللطافة والنورية لتجردهم لسعيها وجدها فى طريق البر واكتساب الفضائل والسير فى الله.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ذات بهجة وحسن، ناعمة بلذة الشهود والعيان، لأجل سعيها بالمجاهدة، راضية حيث وصّلتها إلى صريح المشاهدة، فى جنة عالية من جنان المعارف.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾

سورة الغاشية/ مكية/ الآية ١٢.

جـريان الأحوال علـيه، يجـرى به من عين إلى عين، حـتى يحـصله فى عين العين.

يقول الإمام القـشيرى: المراد عيونًا؛ لأن العين اسم جنس، والعيـون الجارية هنالك كثيرة ومختـلفة. فتلك العيـون الجارية غدًا لمن له اليوم عـيون جارية بالبكاء، وغدًا لهـم عيون ناظرة بحكم اللقاء.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ﴾ من عيون مياه علوم المعارف والذوق والكشف والوجدان والتوحيد.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أى: عيون كثيرة تجرى مياهها، وهى سير القلب إلى حضرة الرب تعالى.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾

سورة الغاشية/ مكية/ الآية ١٨.

أي إلى سماء الأسرار كيف أشرقت بالمكاشفات.

يقول الإمام القشيرى: القوم كانوا أصحاب البوادى لا يرون شيئًا إلا السماء والأرض والجبال.... فأمرهم بالنظر فى هذه الأشياء.

ويقول الإمام ابن عجيبة: رفعًا بعيدًا بلا عمد ولا مساك، أو بحيث لا ينالها فهم ولا إدراك. وإلى الأرواح كيف رفعت، لأنها محل أفكار العارفين، وإلى جبال العقل كيف نصبت لتمييز الحس من المعنى، والشريعة من الحقيقة، وإلى أرض البشرية كيف سطحت حيث استولت عليها الروحانية، وتصرفت فيها.

سورة الفجر

مكية، وآياتها تسع وعشرون آية.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾

سورة الفجر/ مكية/ الآية ٢٧.

﴿النَّفْسُ الْمُطْمَـئِنَّةُ﴾: هى النفس الواحـدة، والنـفس الشـاكـرة وهى النفس المرحـومـة، والنفس الخـاصة هـى النفس العـارفة، والـنفس العـاقلة هى النفس الراضية، والنفس الأمارة هى النفس الجاهلة.

يقول الجـنيد البـغدادى : ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَـئِنَّةُ﴾ ألبسها الحق أوصاف الهـداية، فصارت نفسا لوامة.

ويقول ابن عطاء: المطمئنة هى العارفة بالله تعالى، والتى لا تصبر عن الله طرفة عين.

ويقول الإمام القـشيرى: الروح المطمئنة إلى النفس بالمعرفة؛ وبذكـر الله تعالى؛ وبالبشارة بالجنة. والنفس المطمئنة هى الروح الساكنة.

ويقول محـيى الدين بن عربى: ﴿النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ التى نزلت عليهـا السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت إلى الله تعالى من الاضطراب.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ التى اطمأنت بشهود الحق، ودام فناؤها وبقاؤها بالله تعالى، ارجعى إلى ربك، إلى شهود ربك بعد أن كنت عنه محجوبة، راضية عن الله تعالى فى الجلال والجمال، مرضية عنده فى حضرة الكمال، وعلامة الطمأنينة: أن صاحبها لا ينهزم عند الشدائد وتفاقم الأهوال.

سورة العلق (اقرأ)

مكية، وآياتها تسع عشرة آية.

﴿... وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾

سورة العلق/ مكية/ الآية ١٩.

فى هذه الآية مـا مـعناه أن الله عـز وجـل لم يبح للجـوارح ترك التـجلى بمحـاسنها، وذلك نـفس إظهار الربوبيـة على العـبوديـة، لذلك قال الله تعـالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾، وهو معنى التحريض على العـبادة. أى: اقترب إلى ظاهر معدتك ومرجـعك هو التراب، ومن يمكنه أن يقترب بنفسـه إلاّ أن يقرّب بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ سورة الواقعة/ مكية/ الآية ٨٨.

يقول ذو النـون المصرى: إذا رأيت أنى أذنت لك فى السجود فـاعلم أنى قد قربت منك، فاقترب منى بسرك فإن النبى ﷺ يقول: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد».

ويقول ابن عطاء: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ إلى بساط الربوبية، فقد اعتقناك من بساط العبودية.

ويقـول الإمام القـشيـرى: اقترب من شـهود الربوبية بقلبك، وقف على بسـاط العبودية بنفسك. فاسجد بنفسك، واقترب بسرك.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿وَاسْجُدْ﴾ سجود الفناء فى صلاة الحضور ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ إليه بالفناء فى الأفـعال، ثم فى الصفـات، ثم فى الذات، أى: دم على حالة فنـائك التام فى مقام الاسـتقامة والدعوة حتى تكـون فى حالة البقاء به فانيًا عـنك، ولا يظهر فيك تلوين بوجود بقية من إحدى الثلاث، ولهذا قرأ علـيه السلام فى هذه السجدة: «أعوذ بعفوك من عقـابك» أى: بفعل لك من فعل لك، «وأعـوذ برضاك من سخطك» أى: بصـفة لك من صفة لك، «وأعوذ بك منك» أى: بذاتك من ذاتك، وهو معنى اقترابه بالسجود.

ويقول الإمام ابن عجيبة: واظب على سجودك وصلاتك غير مكترث، وتقرّب بذلك إلى ربك. اسجد بقلبك وجوارحك، وتقرب بذلك إلى مولاك، حتى تظفر بالوصول إليه.

سورة البينة (لم يكن)

مدنية، وآياتها ثمان آيات.

واختلف فيها بين مدنية أو مكية. وإن كان الأشهر كونها مكية

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٥.

الإخلاص: تصفية العمل من شوائب الكدر، وهو باطن والخشوع ظاهر.

يقول ذو النـون المصرى: الإخلاص لا يتم إلاَّ بالصدق، والصبـر عليه والصدق لا يتم إلاَّ بالإخلاص فيه، والمداومة عليه.

وسئل الجنيد البغدادى: عن الصدق والإخلاص أبينهما فرق؟ قال: فرق وحال. فما الفرق وما الحـال؟. . الصدق أصل وهو الأول، والإخلاص فـرع وهو تابع، والصدق أصل كل شىء، والإخلاص لا يكون إلاَّ بعد الدخـول فى الأمان. ها هنا حال إخلاص ومـخالصة فى الإخلاص. والصـدق أن تجرى مع موافـقة الله فى كل موطن؛ فـالصدق غير مـفارق للعبد، والإخلاص إنما يكون فى فعل، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. إنما هو العقل.

ويقول محـيى الدين بن عربى: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ أى: أهل الكتابين المحـجوبون بأهوائهم عن الدين بما أمروا فيهما ﴿إِلاَّ﴾ لأن يخصصوا العبادة لله.

ويقول الإمام ابن عـجيبة: ما أمروا فى التوراة والإنجـيل إلاَّ لأجل أن يعبدوا الله وحده من غير شرك ولا نفاق. والإخلاص فى المأمـورات عبارة عن: خلوص النية لوجه الله، بحيث لا يشوبها أخرى، فـإن كانت كذلك فالعمل خالص، وإن كـانت لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمـل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة؛ ففى ذلك تفصيل.

﴿... خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٨.

الأبد إشارة إلى ترك القطع فى العدد، ومحو الأوقات فى السرمد.

يقول أبو بكر الشبلى: الأبد هو البقاء الذى لا يزول، وإذا زالت الأسماء والصفات بزوال الخلق فإن الله تعالى باق بأسمائه وصفاته.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حيث بلغوا من الأمانى قاصيها، وملكوا من المآرب ناصيتها، وأتيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فمن كفر بأهل الخصوصية من أهل العلم وغيرهم لهم نار الحجاب والقطيعة، ومن آمن بهم، ودخل تحت تربيتهم، له جنات المعارف خالدًا فيها رضى الله عنهم حيث قرّبهم إليه، ورضوا عنه حيث سلموا الأمر إليه، وخشوا بُعده وطرده.

﴿...رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾

سورة البينة/ مدنية/ الآية ٨.

الرضا يكون لقدر قوة العلم والرسوخ فى المعرفة، فكل قوى علمه كان من الراضين فى معرفته، ويكون قويًا فى حاله بقوة علمه. والرضا حال يصحب العبد فى الدنيا والآخرة، وهى حالة تصحبهم فى الجنة لأنهم منعمون بالرضا ويسألون الله تعالى حتى يقول لهم: «برضاى أحلكم دارى» أى: برضاى عنكم أرضيتكم؛ وذلك الذى أحلكم المحل وليس كل الرضا محل الخوف والرجاء والصيد والإشفاق وسائر الأحوال التى تزول عن العبد فى الآخرة، وحال الرضا والمحبة يصحبان العبد فى الدنيا والآخرة، وهى حالة رقيقة لا يجدها إلاّ الأنبياء عليهم السلام، والصديقون وأكابر الأولياء من المؤمنين رضى الله عنهم.

(راجع سورة المائدة/ الآية ١١٩، وسورة التوبة/ الآية ١٠٠، وسورة المجادلة/ الآية ٢٢).

يقول الإمام جعفر الصادق: فى قوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما كان سبق لهم من الله تعالى العناية والتوفيق، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما مَنَّ عليهم بمتابعتهم لرسول الله ﷺ وقبول ما جاء به، وإنفاقهم الأموال والمهج بين يدى رسول الله ﷺ.

ويقول ذو النون المصرى: الرضا سرور القلب بمر القضاء.

ويقول سهل التسترى: الخشية سر، والخشوع ظاهر.

ويقول أبو الحسين النورى: الرضا استقبال الأحكام بالفرح.

ويقول الإمام القشيرى: لم تبق لهم مطالبة إلاه حققها سبحانه لهم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: الخشية محلها البواطن، والخشوع ظهور أثر الخشية فى الظاهر.

سورة الزلزلة

مدنية، وآياتها ثماني آيات.

واختلف حول كونها مكية أو مدنية.

﴿... الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

سورة الزلزلة/ مدنية/ الآية ٢.

تزلزل الأرض، وتخرج أثقالـها للعرض، فيقـول مالها، ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ وتظهر أسـرارها، فيسـألها ما تقدمت من فـعلها كمـا غيب، فهـبت من عظم ما عاينت، فتشاهدت مذعنة قد خضعت، ويكتب له رسمها.

يقول الإمام القشيرى: أمواتها، وما فيها من الكنوز والدفائن.

ويقول الشيخ الأكـبر ابن عربى: ﴿الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أى: متاعهـا التى هى بها ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعـمال، والاعتقادات الراسخة فى القـلب جمع ثقل وهو متاع البيت.

ويقـول الإمام ابن عـجيـبة: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أى: ما فى جـوفهـا من الأموات والدفائن، فـإذا زُلزلت أرض النفوس زلزالهـا اللائق بها، وحُـركت بالواردات والأحوال، وتحققت الغيبة عنها بالكلية، أشرقت شمس العرفان، فغطت وجود الأكوان.

سورة التكاثر

مكية، وآياتها ثمانى آيات.

﴿... عِلْمَ الْيَقِينِ﴾

سورة التكاثر/ مكية/ الآية ٥.

﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ما يستجلب بالدلائل، و﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هو علم لا منازعة له، ولا اضطراب فيه.

يقول أبو سعيد الخراز: نجاة القلب فى ثلاثة: علم عين اليقين، ووجود عين اليقين، وشهود حق اليقين.

ويقول سهل التسترى: اليقين ناراً، والإقرار باللسان من فتيله، والعمل زينة، وابتداء اليقين المكاشفة ثم المعاينة؛ والمشاهدة.

ويقول الإمام القشيرى: لو علمتم حق اليقين لارتدعتم عما أنتم فيه من التكذيب.

ويقول محيى الدين بن عربى: لو ذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية والإدراكات النورية المستعلية على هذه الحسيات والخياليات الفانية؛ لكان مالا يدخل تحت الوصف من الندم والتحسر على فوات العمر العزيز فيها والذهول عنها بها.

ويقول الإمام ابن عجيبة: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين، كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم من الطاعات مالا يوصف، ولا يكتنه كنهه. ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، لتوجهتم إليه بكل حال، لترون الجحيم، أى: نار القطيعة.

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

سورة التكاثر/ مكية/ الآية ٧.

إذا كان العبد فى عين اليقين، لا فى علم اليقين فجلس عن الكسب، وضعف عن القيام، وكان ممن لا يسكن ولا يتحرك إلاّ بيقين اليقين فطالبته نفسه بالحركة والاكتساب. لست أعلم أنه بقى لى أجل ولا رزق، فـاتحرك فيه، لم يجب عليه الحركة إذ لم يكن له أمل فى النفس الثانى.

يقول أبو سعيد الخراز: عين اليقين هو أن يرفع الحجب عن قلوبهم، ويتجلى لأسرارهم؛ وأرواحهم، ويكشف عن أوهامهم حـتى يرونه عين اليقين، فيرجعـوا عنه سكرى، وينتهوا عنه خيارى.

ويقول سهل التسترى: عين اليقين ليس هو من اليقين، لكنه نفس الشىء.

ويقول الإمام القـشيرى: أراد جميع ما أعطاهم الله من النعمـة، وطالبهم بالشكر عليها. ومن النعم الذى يُسـأل عنه العـبد تخـفيف الشـرائع؛ والرخص فى العـبادات، والرضـاء بالقضاء؛ والقناعة فى المعيشة.

ويقول محيى الدين بن عربى: ﴿ثُمَّ﴾ لتذوقها عيانًا يقينيًا بالذوق والوجدان فوق العلم

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ تكرير للتأكيد ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ أى: الرؤية التى هى نفس اليـقين وحاصلتـه، فإن علم المشـاهدة أقصى مراتـب اليقين. لترونـها عين النعمة.

سورة الكافرون

مكية، وآياتها ست آيات.

﴿قُلْ يا أَيُّها الْكَافِرُونَ﴾

سورة الكافرون/ مكية/ الآية ١.

إن الله تعالى أورد تكليفه على ضروب، منهم من استعبد وأسعد بخصائص العبودية، كما خاطب به نبيه ﷺ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ إنك لن تبلغ استحقاق العبودية بالجهد؛ وخطاب تكليف خاطب به الكفار، وذلك أنه عز وجل أمر نبيه عليه السلام أن يخاطبهم بقوله تعالى: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.

يقول الإمام القشيرى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من أصنامكم.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الذين ستروا نور استعدادهم الأصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة، فحجبوا عن الحق بالغير.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المخاطبون كفرة مخصوصون، علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون. ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ بطريق التجريد، التى هى سبب حصول التوحيد والتفريد.

سورة الإخلاص (التوحيد)

مكية، وآياتها أربع آيات.

وقيل: مدنية.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

سورة الإخلاص/ مكية/ الآية ١.

قيل للحسين الحلاج: أهو هو. قال: بل هو وراء كل هو، وهو عبارة عن ملك ما لا يثبت له شيء دونه. الواحد فى معناه، والكامل فى ذاته هو الأبد فى دوام الأوقات، والأحد الكائن عند كل منعوت، وإليه يصير كل مربوب، يطمس على ساكنه، ويطرح من نازله، أن أشهدك إياه فاتك؛ وإن غيبك عنه دعاك. فتوحيد الأئمة توحيد رضى به لهم، فأما الذى يستحقه الحق تعالى، فلا! لأن القائل عنكم سواكم، والمعبر عنكم غيركم فسقطتم أنتم، وبقى من لم يزل كما لم يزل. وقد خلق الله تعالى الخلق على علمه، وأظهر الأشياء فيهم بقدرته، ودعاهم إلى توحيده ووحدانيته فى المعرفة الأصلية بلسان الطبائع، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

يقول الإمام جعفر الصادق: يعنى أظهر ما تريده النفوس بتأليف الحروف، فإن الحقائق مصونة عن أن يبلغه وهم أو فهم. وإظهار ذلك بالحروف ليهتدى بها من «ألقى السمع» وهو إشارة إلى غائب، والهاء هو تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس. و«الأحد» الفرد الذى لا نظير له، لأنه هو الذى أحد الآحاد.

ويقول أبو سعيد الخراز: إن الله أول من دعا عباده، دعاهم إلى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما ورائها وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فتم به المراد للخواص.

ويقول ابن عطاء: ﴿قُلْ﴾ فى غير هذا الموضع فى القرآن الكريم أى: أظهر ما أوحينا إليك وبينا لك بتأليف الحروف التى قرأناها عليك لتهدى بها أهل الهداية. والهاء تنبيه عن معنى ثابت، والواو إشارة إلى ما لا يدرك حقائق نعوته وصفاته بالحواس، و«الأحد» المتفرد الذى لا نظير له. والتوحيد هو الإقرار بالأحدية والوحدانية، وهو الانفراد؛ فهو المتفرد بإيجاد المفقودات، والمتوحد بإظهار الخفيات.

ويقول محيى الدين بن عربى: قل، أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل؛ هو عبارة عن الحقيقة الأحدية الصرفة، أى: الذات من حيث هى بلا اعتبار صفة لا يعرفها إلاّ هو.

سورة الفلق (المعوذتان)

مكية، وآياتها خمس آيات.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

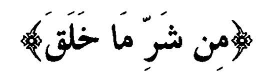
سورة الفلق/ مكية/ الآية ١.

﴿الْفَلَقِ﴾: فلق الملكوت من القلوب فأبداها على الألسنة، وأشار الحق تعالى إلى جميع خلقه فى معنى القطيعة عنه بكلمة واحدة، وهى من لطائف القرآن المجيد: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و«فالق الإصباح» و«فالق الحب والنوى»، وفالق البحر لموسى عليه السلام، وفالق الأسماع والأبصار، وفالق القلوب حتى انكشف لها الغيوب، قال النبى ﷺ: «سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره»، وفلق الصدور وفتقها وشرحها لتدارك ما جرى فيها من المباشرة؛ إذ فى ذلك صحة الحيرة وصفائها وصفادها.

يقول الإمام القشيرى: امتنع واعتصم برب الفلق. والفلق الصبح.

ويقول الشيخ الأكبر ابن عربى: ألتجئ إلى الإسم الهادى وألوذ به بالاتصاف به والاتصال بروح القدس فى الحضرة الأسمائية، لأن الفلق هو نور الصبح المقدم على طلوع الشمس، أى: برب نور صبح تجلى الصفات الذى هو مقدمة طلوع نور الذات، ورب نور صبح الصفات هو الإسم الهادى، وكذا معنى كل مستعيذ بربه من شر شىء فإنه يستعيذ بالإسم المخصوص بذلك الشىء كاستعاذة المريض مثلاً بربه فإنه يستعيذ بالشافى، وكاستعاذة الجاهل من جهله بالعليم.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أى: أتحصن واستجير برب الفلق. والفلق الصبح؛ لأنه يفلق عنه الليل، وهو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات، والجبال عن العيون... والحب والنوى عما يخرج منهما، والبطون والفروج عما يخرج منهما، وغير ذلك مما يفلق ويخرج منه شىء.



سورة الفلق/ مكية/ الآية ٢.

أن يكون مربوطاً، فـإن علت أحواله وعظمت أخطاره فـإن الانقطاع علامـته الارتباط بما دونه من خلقه وفلقه.

يقول الإمام القشيرى: من الشرور كلها.

ويقول الشـيخ الأكبـر ابن عربى: من شر الاحتجاب بالخلق وتأثـيرهم فيه فإن من اتصل بعالم القدس فى حضرة الأسماء؛ واتـصف بصفاته تعالى، أثر فى كل مخلوق، ولم يتأثر من أحد، لأنهـم فى عالم الآثار ومقـام الأفعـال، وقد ارتقى هو عن مـقام الأفـعال إلى مباديها من الصفات.

ويقول الإمام ابن عجيبة: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من الثقلين وغيرهم، كائنًا ما كان، وهذا شامل لجميع الشرور الجمادية والحيوانية والسمـاوية: كالصواعق وغيرها. وإضافة الشر إليه، أى: إلى كل ما خلق لاخـتصاصه بعالم الخلق، المؤسـس على امتزاج المواد المتباينـة، وتفاصيل كيفياتها المتـضادة المستتبعة للكون والفساد فى عالم الحكمـة، وأما عالم الأمر فهو منزه عن العلل والأسباب.

* **البسطامى (١٨٨ ـ ٢٦١ هـ = ٨٠٣ ـ ٨٧٤م)**

أبو زيد الأكبر (بايزيد) طيفور بن عيسى البسطامى، نسبة إلى بسطام خراسان. لا كتابات له، ولكن أقواله مرصودة لدى أصحابه ومحبيه ومريديه وخصومه على السواء، وتسمى طريقته الطيفورية: وهو مذهب فى المحبة والفناء. اشتهر بالشطح فى حال وجده، وكان همه الأكبر التوحيد.

* **البصرى (٢١ ـ ١١٠ هـ = ٦٤١ ـ ٧٢٨م)**

الحسن بن أبى الحسن بن سيار البصرى، أبو سعيد. تابعى، ولد لأب إيرانى من ميسان، وسباه المسلمون لدى فتح العراق، وسكن المدينة المنورة، فشب فى كنف على بن أبى طالب رضى الله عنه، بعد أن أعتقه من كان عندهم من الأنصار. غادر المدينة إلى البصرة، وعكف على التعلم حتى صار إمام أهل البصرة وحبر الأمة فى زمنه، واستكتبه الربيع بن زياد والى خراسان فى عهد معاوية، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف: من تصانيفه: كتاب فى فضائل مكة، وكتاب الإخلاص.

* **ابن بنان (ت: ٢٨١ هـ = ٨٩٤م)**

أبو الحسين محمد بن عبد الله بن بنان. شيخ مشايخ مصر، ولد بالقاهرة، وزار العديد من البلدان، صحب أبو سعيد الخراز وغيره من أكابر الصوفية. واشتهر بالواله السكران، مات فى التيه.

* **الترمذى (٢٠٥ ـ ٣٢٠ هـ = ٨٢٠ ـ ٩٣٢م)**

محمد بن على بن الحسن، أبو عبد الله الترمذى. كتب الكثير من الحديث ورواه، وهو من أكابر شيوخ خراسان، صحب القصار وابن خضرويه،

وتسمى طريقته الحكيمية، فقد غلب عليه لقب الحكيم الترمذى. من تصانيفه: كتاب ختم الولاية وعلل الشريعة، وكتاب نوادر الأصول فى أحاديث الرسول، وكتاب الفروق.

*** التسترى (٢٠٣ ـ ٢٨٣ هـ = ٨١٨ ـ ٨٩٦م)**

سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد، سهل التسترى. من خوزستان. سكن البصرة وعبادان، وكان أحد أئمة الصوفية وعلمائهم، والمتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال، وتسمى طريقته السهلية. من تصانيفه: كتاب تفسير القرآن العظيم، وكتاب رقائق المحبين.

*** الجريرى (ت: ٣١١ هـ = ٩٢٣م)**

أبو محمد أحمد بن محمد الحسين الجريرى، من أكابر رجال الصوفية، صحب الجنيد البغدادى وسهل التسترى. وقد أقعد فى موضعه لتمام حاله وصحة طريقته، وغزارة علمه، تولى مشيخة بغداد بعد وفاة الجنيد.

*** الجنيد (ت: ٢٩٧ هـ = ٩١٠)**

الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز، أبو القاسم البغدادى. أصله من نهاوند، بغدادى المولد والمنشأ والوفاة، كان فقيها يفتى فى حلقته، وصحب السرى السقطى والمحاسبى والقصاب، وهو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، ويعده العلماء شيخ مذهب التصوف وتاج العارفين.

*** الخراز (ت: ٢٨٦ هـ = ٨٩٩م)**

أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز، من مشايخ بغداد الكبار؛ وهو أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، وقد صحب ذا النون المصرى وأبا عبد الله النباجى وأبا عبيد اليسرى والسرى السقطى وبشر الحافى، وكنى الخراز لاشتغاله بالخرازة. من تصانيفه: كتاب الصدق والصفاء، وكتاب الكشف والبيان والحقائق.

* **ابن خفيف (ت: ٣٧١ هـ = ٩٨١م)**

أبو عبد الله محمد بن اسفكشاد الضبى، أبو عبد الله بن خفيف، كانت أمه نيسابورية، وقد صحب الجريرى وابن عطاء والتقى بالحلاج، وكان عالمًا بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق. ترقى فى الطريق حتى صار شيخ مشايخ شيراز.

* **الخواص (ت: ٢٩١ هـ = ٩٠٤م)**

أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، من كبار الصوفية وعظماء مشايخهم، ولد فى سر من رأى، ولقب بالخواص لبيعه الخوص. صحب الجنيد البغدادى والنورى، واعتمد فى طريقته على التوكل. مات بالرى.

* **الدقاق (٣٠٤ ـ ٣٩٠ هـ = ٩١٦ ـ ٩٩٩م)**

أبو على محمد بن عبد الله، أبو الحسين الدقاق، محدث ثقة، بغدادى الأصل والمنشأ، تفقه فى علوم الظاهر والحديث. من تصانيفه: كتاب الفوائد المنتقاه، وكتاب الغرائب الحسان من الشيوخ العوالى، وكتاب التفسير والحديث.

* **ذو النون (١٠٠ ـ ٢٤٥ هـ = ٧٧١ ـ ٨٥٩م)**

ثوبان بن إبراهيم ذو النون الأخميمى المصرى، أبو الفيض، أحد الزهاد العباد المشهورين من أهل مصر؛ نوبى الأصل من الموالى، كانت له فصاحة وحكمة، وهو أول من تكلم بمصر فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية؛ فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وسعى إلى المتوكل العباسى؛ فاستحضره من مصر، فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرمًا، وقد توفى ودفن بالجيزة.

* **الرازى (٥٦٤ ـ ٦٥٤ هـ = ١١٦٨ ـ ١٢٥٦ م)**

عبد الله بن محمد بن سهل الرازى، ولد بخوارزم، وتوفى فى بغداد، من

أكابر مشايخ الصوفية، درس على شيخه أبو عمران الاصطخرى. وكان من خلفاء نجم الدين البكرى. من تصانيفه: كتاب بحر الحقائق والمعانى فى تفسير المثانى، وكتاب معيار الصدق فى مصداق العشق، وكتاب كشف الحقائق وشرح الدقائق.

*** رويم (ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١م)**

رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم، صوفى شهير من أهل بغداد وكبار مشايخها، وله كلام وأقوال وبحوث فى التصوف والصوفية.

*** السلمى (٣٢٥ ـ ٤١٢ هـ = ٩٣٦ ـ ١٠٢١م)**

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد، أبو عبد الرحمن السلمى، الإمام الحافظ المحدث المفسر المؤرخ، شيخ خراسان وكبير الصوفية. ورث التصوف عن أبيه وجده وبيعت تصانيفه بأغلى الأثمان، ومنها: كتاب طبقات الصوفية، وكتاب آداب الصحبة، وكتاب حقائق التفسير.

*** الشبلى (٢٤٧ ـ ٣٣٤ هـ = ٨٦١ ـ ٩٤٥م)**

دلف بن جحدر أو جعفر بن يونس، أبو بكر الشبلى، خراسانى الأصل، بغدادى المولد والمنشأ، صحب الجنيد البغدادى ومن عاصره من المشايخ. تفقه على مذهب مالك بن أنس، ولى الحجابة للموفق العباسى. مات ودفن بمقبرة الخيزران.

*** الصادق (٨٠ ـ ١٤٨ هـ = ٦٩٩ ـ ٧٦٥م)**

أبو عبد الله جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين، ابن الحسين السبط. ولد بالمدينة المنورة وتوفى فيها، وهو الإمام الناطق، وصاحب الزمام السابق، لقب الصادق لأنه لم يعرف الكذب قط. عاش بالعراق مستغرقًا فى العلم، وآثر العبادة والعزلة. قال فيه الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أفقه من جعفر.

* **ابن عجيبة (١١٦٠ ـ ١٢٢٤ هـ = ١٧٤٧ ـ ١٨٠٩م)**

أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى الحسنى، ابن عجيبة ويبدو أن أسمه كان تعبيراً من أهل زمنه على سعة اطلاعه وتمكنه من ثقافته وقدرته على شرح آراء غيره واستيعابها. من تصانيفه: كتاب الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية، وكتاب إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، وكتاب البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد. وقد مات ودفن ببلدة أنجره من المغرب.

* **ابن عربى (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ = ١١٦٥ ـ ١٢٤٠م)**

أبو بكر بن على بن محمد بن عربى الحاتمى الطائى الأندلسى، المعروف بمحيى الدين بن عربى؛ وابن العربى، الملقب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين فى كل علم. ولد فى مرسية بالأندلس، وانتقل إلى أشبيلية، وزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، تزيد تصانيفه عن الأربعمائة، منها: كتاب الفتوحات المكية، وكتاب فصوص الحكم، وكتاب مفاتيح الغيب، وكتاب السراج الوهاج فى شرح كلام الحلاج، وكتاب عنقاء مغرب.

* **ابن عطاء (ت: ٣٠٩ هـ = ٩٢٢م)**

أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمى رضى الله عنه، والآدمى نسبة إلى الأدم وهو الجلد. كان ينام فى اليوم والليلة ساعتين، زاهد صحب الجنيد وإبراهيم المارستانى، وكان أبو سعيد الخراز يعظم من شأنه، وقد تفرد بتفسير آيات القرآن الكريم. من تصانيفه: كتاب البيان فى فهم القرآن.

* **القشيرى (٣٧٦ ـ ٤٦٥ هـ = ٩٨٦ ـ ١٠٧٣م)**

أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى، واعظ من علماء نيسابور، من بنى قشير، زار بغداد فى طريقه للحج، ووعظ بها فوقعت فتنة

بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان، فذهب إليه ولقى منه إكرامًـا. وعاد إلى نيسابور ليـلازم الوعظ والتدريس إلى أن توفى. من تصانيفه: كتاب المقامات والآداب، وكتاب لطائف الإشارات.

*** ابن معاذ (ت: ٢٥٨ هـ = ٨٧٢م)**

يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى، واعظ زاهد من أهل الرى، أقام فى بلخ؛ ولم يكن له نظيـر فى وقـته، وكـان من العلماء بالـفقـه والشريعـة وعلوم التفسير، توفى فى نيسابور.

*** المرسى، أبو العباس (٦١٦ـ ٦٥٦ هـ = ١٢١٩ـ ١٢٥٨م)**

شهـاب الدين أبو العبـاس أحمـد بن عمر الأنصـارى، المرسى. ولد بمدينة مرسية بالأندلس، وفيها نشـأ، فحفظ القرآن الكريم، وتفقه فى علوم الدين المختلـفة. وفى عام ٦٤٠هـ = ١٢٤٢م أبحـر مع أسرته عن طريـق الجزائر للحج، وفى تونس صاحـب قطب الزمان أبى الحسن الشـاذلى؛ مما كان له كـبير الأثر فى ارتـياد المرسى طريـق التصـوف. وحين عـاد الشـاذلى إلى الأسكندرية صـحبـه أبو العبـاس، وكان من أهم إنجـازات المرسى تفسـيره لمواقف النفرى رضى الله عنه، ولكنه لم يسطر علومـه فى كتب، فهو يراها علوم تحقيق لا تستوعـبها العوام، وصارت كتبه هم أصحـابه الذين يقتسبون بعضاً من فيوضاته ومعارفه.

*** المكى (ت: ٢٩٧ هـ = ٩٠٩م)**

عمرو بن عثمان بن كرب المكى. انتـسب إلى الجنيد البغدادى فى الصحبة، كما صحب أبا سـعيد الخراز، وهو عالم بعلوم الأصـول. روى عن محمد بن إسـمـاعيل ويـونس بن عبـد الأعلى، وهو مـعـدود فى الأوليـاء. من تصانيفه: كتاب أجوبة لطيفة فى العبارات والإشارات.

* **النصر آباذى (ت: ٣٦٧ هـ = ٩٧٧م)**

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمويه النصر آباذى، شيخ خراسان فى وقته. ينسب إلى نصر آباذ، وهو نيسابورى الأصل والمنشأ والمولد، ويرجع إليه فى أنواع من العلم من حفظ السنن وجمعها؛ وعلوم التواريخ، وعلوم الحقائق، وكان أوحد المشايخ فى وقته علمًا وحالاً. صحب الشبلى وأبا على الروزبارى وأبا محمد المرتعش.

* **النهرجورى (ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١م)**

أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجورى، نسبته إلى نهرجور بالقرب من الأهواز. من مشايخ الصوفية، صحب الجنيد البغدادى وعمرو المكى وغيرهم من المشايخ، وأقام مدة بالحرم الشريف مجاورًا، وتوفى فى مكة.

* **النورى (ت: ٢٩٥ هـ = ٩٠٧م)**

أحمد بن محمد، أبو الحسين النورى المعروف بابن البغوى، ينسب إلى قرية بغشور بخراسان. ولد ونشأ فى بغداد، وقيل: النورى، نسبة إلى قرية تسمى نور، أو لنور حسن فى وجهه. كان من كبار علماء الصوفية وأكابرهم سندًا فى الحديث، وتسمى طريقته النورية. من تصانيفه: كتاب مقامات القلوب.

* **الوراق (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ = ٨٣٨ ـ ٩٢٢م)**

أبو بكر محمد بن عمر بن أحمد الوراق، وقيل: البلخى. كان وراقًا من أهل الرى، ومؤرخاً من حفاظ الحديث، رحل فى طلب العلم وتدوين الحديث، واستوطن مكة المكرمة والمدينة المنورة وهو فى طريقه للحج. من تصانيفه: كتاب المعاملات، وكتاب التفسير، وكتاب الكنى والأسماء.

المصادر والمراجع

* بدر، على/ **ماسينيون فى بغداد/** منشورات الجمل/ ألمانيا ٢٠٠٥.

* بدوى، عبد الرحمن (الدكتور)/ **شخصيات قلقة فى الإسلام/** دار سينا/ القاهرة ١٩٩٥.

* بروكلمان، كارل/ **تاريخ الأدب العربى/** نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار/ دار المعارف/ القاهرة ١٩٩٦.

* البغدادى، اسماعيل باشا/ **هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين/** استانبول ١٩٥١.

* البقلى، صدر الدين روزبهان/ **شرح الشطحيات/** تحقيق: هنرى كوربان/ مركز الدراسات الإيرانية الفرنسية/ إيران ١٩٦٠.

* الجنابى، هيثم/ **حكمة الروح الصوفى/** دار المدى/ سويا ٢٠٠١.

* الحلاج، الحسين بن منصور/ **الديوان ويليه كتاب الطواسين/** منشورات الجمل/ ألمانيا ١٩٩٧.

* الحلاج، الحسين بن منصور/ **كتاب الطواسين/** دار النديم/ القاهرة ١٩٨٩.

* حنفى، حسن (وآخرين)/ **فى قلب الشرق: قراءة معاصرة لأعمال ماسينيون/** المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة ٢٠٠٢.

* خرطبيل، سامى/ **أسطورة الحلاج/** دار ابن خلدون/ بيروت ١٩٧٩.

* الخطيب، على (الدكتور)/ **اتجاهات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن عربى/** دار المعارف/ القاهرة ١٩٨٤.

* خليفة، حاجى/ **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون/** وكالة المعارف/ استانبول ١٩٤٣.

* الزركلى، خير الدين/ **الأعلام/** دار العلم للملايين/ بيروت ١٩٩٠.

* ابن زنجى/ **ذكر مقتل الحلاج**/ تحقيق: محمود الهندى/ دار قباء/ القاهرة ١٩٩٨.

* الزين، سميح عاطف/ **الحلاج**/ الشركة العالمية للكتاب/ لبنان ١٩٨٨.

* الساعى، على بن أنجب/ **أخبار الحلاج**/ در الطليعة الجديدة/ سوريا ١٩٩٦.

* سركيس، يوسف اليان/ **معجم المطبوعات العربية والمصرية**/ القاهرة ١٩٢٨.

* سرور، طه عبد الباقى/ **الحسين بن منصور الحلاج**/ نهضة مصر/ القاهرة ١٩٩٦.

* سزكين، فؤاد/ **تاريخ التراث العربى**/ ترجمة: د. محمود فهمى حجازى، ود. فهمى أبو الفضل/ هيئة الكتاب/ القاهرة ١٩٧٨.

* السعيدى، سمير/ **الحسين بن منصور الحلاج**/ منشورات علاء الدين/ دمشق ١٩٩٦.

* السقاف، أبكار/ **الحلاج: أو صوت الضمير**/ دار رامتان/ القاهرة ١٩٩٥.

* السلمى، أبو عبد الرحمن/ **حقائق التفسير**/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠١.

* السلمى، أبو عبد الرحمن/ **مجموعة آثار**/ مركز نشر دانشكاهى/ إيران ١٩٣٠.

* الصادق، الإمام جعفر/ **التفسير الصوفى العرفانى للقرآن**/ تحقيق: د. على زيعور/ دار البراق/ بيروت ٢٠٠٢.

* عباس، قاسم محمد/ **الحلاج: الأعمال الكاملة**/ رياض الريس/ بيروت ٢٠٠٢.

* عبد الباقى، محمد فؤاد/ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**/ دار الشعب/ القاهرة ١٩٦٥.

* عبد الفتاح، سعيد/ **أخبار الحلاج**/ المكتبة الأزهرية للتراث/ القاهرة ٢٠٠٢.

* ابن عجيبة، أبو العباس أحمد/ **البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد**/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٥.

* ابن عربى، محيى الدين/ **تفسير القرآن الكريم**/ تحقيق: د. مصطفى غالب/ دار الأندلس/ بيروت ١٩٦٨.

* ابن عربى، محيى الدين/ **تفسير القرآن**/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠١.

* عيون السود، محمد باسل/ **ديوان الحلاج**/ دار الكتب العلمية/ بيروت ٢٠٠٢.

* غالب، مصطفى (الدكتور)/ **الحلاج**/ مؤسسة عز الدين/ بيروت ١٩٨٢.

* القشيرى، الإمام عبد الكريم/ **لطائف الإشارات**/ تحقيق: د. إبراهيم بسيونى/ هيئة الكتاب/ القاهرة ٢٠٠٠.

* القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على/ **صبح الأعشى**/ دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٩١٨.

* اللاذقانى/ محيى الدين/ **آباء الحداثة العربية**/ هيئة الكتاب/ القاهرة ١٩٩٨.

* ماسينيون، لويس/ **آلام الحلاج**/ ترجمة: الحسين مصطفى الحلاج/ شركة قدمس/ بيروت ٢٠٠٤.

* ماسينيون، لويس (وبول كراوس)/ **أخبار الحلاج**/ دار التكوين/ دمشق ٢٠٠٦.

* ماسينيون، لويس (وبول كراوس)/ **كتاب أخبار الحلاج**/ منشورات الجمل/ ألمانيا ١٩٩٩.

* مكارم، سـامى/ **الحلاج فى مـا وراء المعنى والخط واللون**/ رياض الـريس لندن ١٩٨٩ .

* المنجد، صلاح الدين/ **معجم المخطوطات المطبوعة**/ بيروت ١٩٦٧ .

* ابن النديم، محمد بن إسحاق/ **الفهرست**/ مكتبة العربى/ القاهرة ١٩٩٨ .

الفهرس

الصحفة

إهداء	٥
تقديم	٧
سيرة الحلاج	١٩
كتاب التفسير	٤٧
الفاتحة	٤٩
بسم الله	٥٠
الحمد لله	٥٢
اهدنا	٥٣
البقرة	٥٤
يستهزئ بهم	٥٥
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم	٥٦
وإذا قلنا للملائكة اسجدوا	٥٧
فتوبوا إلى بارئكم	٥٨
قد علم كل أناس مشربهم	٥٩
فإينما تولوا فثم وجه الله	٦٠
الله لا إله إلاّ هو الحى القيوم	٦١
وسع كرسيه السموات والأرض	٦٢
آل عمران	٦٣
شهد الله أنه لا إله إلاّ هو	٦٤
هو العزيز الحكيم	٦٦
قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء	٦٨
فاتبعونى يحببكم الله	٦٩
وسيداً وحصورا	٧٠
وله أسلم ما فى السموات والأرض	٧١
إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة	٧٢
وما محمد إلاّ رسول	٧٣
الذين يذكرون الله	٧٤

النساء ٧٥
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ٧٦
لعلمه الذين يستنبطونه منهم ٧٧
وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ٧٨
واتخذ ٧٩
أيبتغون عندهم العزة ٨٠
ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ٨١
المائدة ٨٢
وتعاونوا على البر والتقوى ٨٣
وجعلكم ملوكًا ٨٤
يا أيها الذين آمنوا ٨٥
وابتغوا إليه الوسيلة ٨٦
ذلك فضل الله ٨٧
تعلم ما فى نفسى ٨٨
هذا اليوم ينفع الصادقين ٨٩
الأنعام ٩٠
هو الذى خلقكم من طين ٩١
وهو القاهر فوق عباده ٩٢
قل أى شىء أكبر شهادة ٩٣
وكذلك فتنا بعضهم ببعض ٩٤
لكل نبأ مستقر ٩٥
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ٩٦
قوله الحق وله الملك ٩٧
فلما جن عليه الليل ٩٨
وما قدروا الله حق قدره ٩٩
قل الله ثم ذرهم ١٠٠
وهو اللطيف الخبير ١٠١
الأعراف ١٠٢
آلمص ١٠٣

ربنا ظلمنا أنفسنا ١٠٤
كما بدأكم تعودون ١٠٥
أفأمنوا مكر الله ١٠٦
أرنى أنظر إليك ١٠٧
لن ترانى ١٠٩
واتبعوه لعلكم تهتدون ١١٠
ألست بربكم ١١١
قالوا بلى ١١٣
واذكر ربك فى نفسك ١١٤
التوبة (براءة) ١١٥
عفا الله عنك لم أذنت لهم ١١٦
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ١١٧
ومن أوفى بعهده من الله ١١٨
لقد جاءكم رسول من أنفسكم ١١٩
يونس ١٢٠
آلر . تلك آيات الكتاب ١٢١
فذلكم الله ربكم الحق ١٢٢
هل من شركائكم من يبدو الخلق ١٢٣
أفمن يهدى إلى الحق أحق ١٢٤
ومنهم من يستمعون إليك ١٢٥
ويحق الله الحق بكلماته ١٢٦
هود ١٢٧
الر . كتاب أحكمت آياته ١٢٨
يمتعكم متاعًا حسنًا ١٢٩
ونادى نوح ربه ١٣٠
لأملأن جهنم من الجنة ١٣١
يوسف ١٣٢
فصبر جميل ١٣٣
وما أغنى عنكم من الله من شىء ١٣٤

نرفع درجات من نشاء ١٣٥
وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون ١٣٦
الرعد ١٣٧
وكل شيء عنده بمقدار ١٣٨
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم ١٣٩
فلله المكر جميعا ١٤٠
إبراهيم ١٤١
وما لنا ألا نتوكل ١٤٢
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ١٤٣
ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن ١٤٤
الحجر ١٤٥
إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ١٤٦
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ١٤٧
النحل ١٤٨
أموات غير أحياء وما يشعرون ١٤٩
الإسراء (بنى اسرائيل) ١٥٠
ولقد كرمنا بنى آدم ١٥١
ولولا أن ثبتناك لقد كدت ١٥٢
قل أدعو الله أو ادعو الرحمن ١٥٣
الكهف (أهل الكهف) ١٥٤
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ١٥٥
أم حسبت أن أصحاب الكهف ١٥٦
لو اطلعت عليهم ١٥٧
وهم لكم عدو ١٥٨
من عندنا وعلمناه من لدنا علما ١٥٩
فأردت ١٦٠
فأردنا ١٦٠
فأراد ربك ١٦٠
إن الذين آمنوا وعملوا ١٦١

قل لو كان البحر مداداً ١٦٢
مريم ١٦٣
وآتيناه الحكم صبيًا ١٦٤
واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ١٦٥
واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقًا ١٦٦
ثم ننجى الذين اتقوا ١٦٧
آتى الرحمن عبداً ١٦٨
طه ١٦٩
لا إله إلاّ أنا ١٧٠
وما تلك بيمينك يا موسى ١٧١
عصاى أتوكأ عليها ١٧٢
رب اشرح لى صدرى ١٧٣
فيذرها قاعاً صفصفا ١٧٤
الأنبياء ١٧٥
خلق الإنسان من عجل ١٧٦
من يكلؤكم بالليل والنهار ١٧٧
أنى مسنى الضر ١٧٨
إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ١٧٩
الحج ١٨٠
سكارى وما هم بسكارى ١٨١
المؤمنون (قد أفلح) ١٨٢
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ١٨٣
ثم أنشأناه خلقًا آخر ١٨٥
ثم إنكم بعد ذلك لميتون ١٨٦
ما اتخذ الله من ولد ١٨٧
النور ١٨٨
ما ليس لكم به علم ١٨٩
الخبيثات ١٩٠
ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها ١٩١

الله نور السموات والأرض........................ ١٩٢
كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة........................ ١٩٣
نور على نور........................ ١٩٤
يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار........................ ١٩٥
وإن تطيعوه تهتدوا........................ ١٩٦
الفرقان........................ ١٩٧
وخلق كل شىء فقدره تقديراً........................ ١٩٨
ولا يملكون لأنفسهم ضراً........................ ١٩٩
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة........................ ٢٠٠
وكان ربك بصيراً........................ ٢٠١
فاسئل به خبيراً........................ ٢٠٢
الشعراء........................ ٢٠٣
فإن عصوك فقل إنى برئ........................ ٢٠٤
سيعلم الذين ظلموا........................ ٢٠٥
النمل........................ ٢٠٦
قالت يا أيها الملأ أنى ألقى إلى كتاب كريم........................ ٢٠٧
قل الحمد لله وسلام على عباده........................ ٢٠٨
أمن يجيب المضطر إذا دعاه........................ ٢٠٩
القصص........................ ٢١٠
فسقى لهما ثم تولى إلى الظل........................ ٢١١
وما كنت بجانب الطور........................ ٢١٢
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار........................ ٢١٣
إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد........................ ٢١٤
الروم........................ ٢١٥
الله الذى خلقكم ثم رزقكم........................ ٢١٦
ومن آياته أن يرسل الرياح........................ ٢١٧
السجدة........................ ٢١٨
يدعون ربهم خوفًا وطمعًا........................ ٢١٩
الأحزاب........................ ٢٢٠

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا ٢٢١
إن المسلمين والمسلمات ٢٢٢
إنا عرضنا الأمانة ٢٢٣
فاطر (الملائكة) ٢٢٤
يا أيها الناس أنتم الفقراء ٢٢٥
ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا ٢٢٦
يس ٢٢٧
إنما تنذر من اتبع الذكر ٢٢٨
ومالى لا أعبد الذى فطرنى ٢٢٩
إن أصحاب الجنة اليوم ٢٣٠
إنما أمره إذا أراد شيئًا ٢٣١
الصافات ٢٣٢
إن إلهكم لواحد ٢٣٣
إن هذا لهو البلاء المبين ٢٣٤
إلاّ له مقام معلوم ٢٣٥
ص ٣٣٦
إنا وجدناه صابرًا ٢٣٧
الزمر ٢٣٨
وإذا مس الإنسان ضر ٢٣٩
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ٢٤٠
وأنيبوا إلى ربكم ٢٤١
الله خالق كل شىء ٢٤٢
تعالى عما يشركون ٢٤٣
غافر (المؤمن) ٢٤٤
رفيع الدرجات ذو العرش ٢٤٥
لمن الملك اليوم ٢٤٦
إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا ٢٤٧
هو الحى لا إله إلاّ هو ٢٤٨
الشورى (حم عسق) ٢٤٩

ليس كمثله شيء ٢٥٠
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ٢٥١
الزخرف ٢٥٢
فى السماء إله وفى الأرض إله ٢٥٣
الدخان ٢٥٤
إن المتقين فى مقام أمين ٢٥٥
الأحقاف ٢٥٦
وجعلنا لهم سمعًا وأبصارًا ٢٥٧
فلما حضروه قالوا أنصتوا ٢٥٨
محمد (القتال) ٢٥٩
فاعلم أنه لا إله إلاّ الله ٢٦٠
الفتح ٢٦١
إن الذين يبايعونك ٢٦٢
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ٢٦٣
الحجرات ٢٦٤
أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ٢٦٥
يمنون عليك أن أسلموا ٢٦٦
ق ٢٦٧
والقرآن المجيد ٢٦٨
شيء عجيب ٢٦٩
إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ٢٧٠
ألقى السمع وهو شهيد ٢٧١
وما مسنا من لغوب ٢٧٢
الذاريات ٢٧٣
وفى أنفسكم أفلا تبصرون ٢٧٤
وما خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبدون ٢٧٥
الطور ٢٧٦
والطور ٢٧٧
واصبر لحكم ربك ٢٧٨

فإنك بأعيننا ٢٧٩
النجم ٢٨٠
وما ينطق عن الهوى ٢٨١
ما زاغ البصر وما طغى ٢٨٢
أم للإنسان ما تمنى ٢٨٣
وإن إلى ربك المنتهى ٢٨٤
القمر ٢٨٥
وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح البصر ٢٨٦
الرحمن ٢٨٧
الرحمن ٢٨٨
علم القرآن ٢٨٨
فيهن قاصرا الطرف ٢٨٩
الواقعة ٢٩٠
جزاء بما كانوا يعملون ٢٩١
الحديد ٢٩٢
هو الأول والآخر ٢٩٣
وهو بكل شيء عليم ٢٩٤
وهو معكم أينما كنتم ٢٩٥
سابقوا إلى مغفرة من ربكم ٢٩٦
المجادلة ٢٩٧
ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ٢٩٨
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ٢٩٩
وأيدهم بروح منه ٣٠٠
حزب الله ٣٠١
الحشر ٣٠٢
أولئك هم الصادقون ٣٠٣
ومن يوق شح نفسه ٣٠٤
الجمعة ٣٠٥
ذلك فضل الله ٣٠٦

التغابن ٣٠٧
وصوركم فأحسن صوركم ٣٠٨
الطلاق ٣٠٩
ومن يتق الله ٣١٠
القلم (ن) ٣١١
وإنك لعلى خلق عظيم ٣١٢
الحاقة ٣١٣
فلا أقسم بما تبصرون ٣١٤
الجن ٣١٥
وأنهم ظنوا كما ظننتم ٣١٦
المدثر ٣١٧
وربك فكبر ٣١٨
وثيابك فطهر ٣١٨
أصحاب النار ٣١٩
بل يريد كل امرئ منهم ٣٢٠
التكوير (كورت) ٣٢١
إذا الشمس كورت ٣٢٢
الانفطار (انفطرت) ٣٢٣
فى أى صورة ما شاء ركبك ٣٢٤
البروج ٣٢٥
وشاهد ومشهود ٣٢٦
الغاشية ٣٢٧
وجوه يومئذ ناعمة ٣٢٨
فيها عين جارية ٣٢٩
وإلى السماء كيف رفعت ٣٣٠
الفجر ٣٣١
يا أيتها النفس المطمئنة ٣٣٢
العلق (اقرأ) ٣٣٣
واسجد واقترب ٣٣٤

البينة (لم يكن) ٣٣٥
وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله ٣٣٦
خالدين فيها أبدا ٣٣٧
رضى الله عنهم ورضوا عنه ٣٣٨
الزلزلة ٣٣٩
الأرض أثقالها ٣٤٠
التكاثر ٣٤١
علم اليقين ٣٤٢
ثم لترونها عين اليقين ٣٤٣
الكافرون ٣٤٤
قل يا أيها الكافرون ٣٤٥
الإخلاص (التوحيد) ٣٤٦
قل هو الله أحد ٣٤٧
الفلق (المعوذتان) ٣٤٨
قل أعوذ برب الفلق ٣٤٩
من شر ما خلق ٣٥٠
ثبت أئمة المفسرين بالكتاب ٣٥١
ثبت المصادر والمراجع ٣٥٨

صدر للمؤلف:

* **مختارات من الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى** (نصوص ولوحات) المجلس الأعلى للثقافة وهيئة الكتاب ١٩٩٥/ ١٩٩٦.

* **الأغانى الشعبية فى صعيد مصر** (بالاشتراك مع د. أحمد مرسى) مكتبة الأسرة/ القاهرة ٢٠٠٠.

* **ذكر مقتل الحلاج** لابن زنجى (تحقيق ولوحات) دار قباء ١٩٩٨.

* **الإعلام السياسى فى نهج البلاغة** (بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ (طبعة أولى)، مكتبة الأسرة/ القاهرة ٢٠٠٥ (طبعة ثانية).

* **ابن عروس** (السيرة/ اللوحات/ النصوص) دار قباء ١٩٩٩ (طبعة أولى) الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦ (طبعة ثانية).

تحت الطبع:

* **ديوان النفرى** (نصوص ودراسة ولوحات) دار الشروق.

* **الأعمال الكاملة للحلاج** فى ١١ مجلد/ دار مدبولى.

* **معجم الأكابر للمصطلح الصوفى** فى ٦ مجلدات.

* **التفسير العرفانى الصوفى للقرآن الكريم** فى ٨ مجلدات من تفاسير أكابر أئمة الصوفية/ دار مدبولى.